الجزء الرابع المجلد الثاني والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

مجلة محكّمة فصلية

رمضان/ ١٤٢٨هـ
تشرين الأول/ ٢٠٠٧م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع

هيئة التحرير

الدكتور محمد إحسان النص الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

الدكتور محمود السيد

أمين المجلة: الأستاذ محمود الحسن

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابِها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

بدوي الجبل شاعر المحبة والحرية والانتماء القومي

د. محمود السيد

يعدُّ الشاعر بدوي الجبل «محمد سليمان الأحمد» قامة شعرية شامخة في أدبنا العربي الحديث، ولقد كانت شخصيته متعددة الجوانب، ومتنوعة الأطياف، وغنية بالرؤى والتطلعات، وهذا ماجعل شعره متميزًا في مضمونه، وساميًا في قيمه، ورائعًا في ديباجته. ونحاول في هذا البحث الموجز الوقوف على إيمانه بالمحبة ديدنًا له وشعارًا وسلوكًا وممارسة، وإيمانه بحرية الفكر والتعبير مبدأً ومنطلقًا إلى الحياة العزيزة الكريمة، وعلى انتمائه القومي وتعلقه بالشام قبلةً له ومحجًا، وعلى تفاؤله بانتصار الشعب وبقاء الأمة.

فتح الشاعر عينيه على المحبة:

فتحت عيني على حبٍّ صفا وزكا فصنته لضياء العين إنسانا

وآمن أن في الحب الخير والجمال، وأن ثمة تلازمًا لا انفصام فيه بين الحب والنور:

وآمنت أن الحب خيرٌ ونعمةٌ ولا خير عندي في وغى وحروبِ

وآمنت أن الحب والنور واحدٌ ويكفر باللألاء كلُّ مريب

ومن هنا كانت نفسه صافية كالغدير في منأى عن أي ضغينة أو كراهية، وهو القائل:

يشهد الله ما بقلبي حقدٌ شفَّ قلبي كما يشفُّ الغدير

وأكد أن بناء الأمم إنما يقوم على المحبة، وشتان بين المحبة والحقد، بين الجنة والنار:

وما بُنيتْ إلا على الحبّ أمةٌ وما عزَّ إلا بالحنان زعيمُ
ولا فوق نعماءِ المحبةِ جنةٌ ولا فوقَ أحقادِ النفوسِ جحيمُ
ويا ربّ قلبي ما علمتَ محبةٌ وعطرٌ ووهجٌ من سناك صميمُ

ولئن كان يجمع بين المحبة والحنان فما ذلك إلا انسجامٌ مع طبيعته وجبلته القائمةِ على كليهما:

طبعيَ الحبُّ والحنانُ فما أعرف للمجد غيرَ حبي طريقا
لا أريدُ الإنسانَ إلا رحيمًا باختلافِ الهوى وإلا شفيقا

وما أروع ذلك التعاطفَ وتلك المشاركةَ الوجدانية التي يبديها الشاعر تجاه المعذَّبين والمتألمين! وما أسماه من حب ينتظم العالم بأسره! وهل ثمة أبلغ من قوله:

وأنا الذي وَسِعَ الهمومَ حنانُه وبكى لكل معذّب ملتاح
أشقى لمن حمل الشقاء كأنما أتراحُ كلِّ أخي هوىً أتراحي
ووددت حين هوى جناحُ حمامةٍ لو حلَّقتْ من خافقي بجناح
حبٌّ قد انتظم الوجودَ بأسره أسد الشرى وحمامةَ الأدواح

وهذا مايذكرنا بمنهجية الحب لدى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الذي وسع حبه الوجود بأسره.

ولئن كان الحب منطلقًا له ومنهجًا في حياته فإن الحرية هي الأخرى منطلق وغاية وهدف، فيرى أن:

سبةَ الدهرِ أن يحاسبَ فِكْرٌ في هواه وأن يُغَلَّ لسانُ

ولقد شارك المتنبي في رؤيته أن الرأي قبل شجاعة الشجعان، وأن الفكر يجيء في أولوية الأولويات لإصلاح الأمور، فها هو ذا يرى أن:

الكون في أسراره وكنوزه للفكر لا لوغًى ولا لسلاحِ

وأنه:

لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها إلا بفكر كالشعاع صُراح

وأن الفكر هو الذي يضيء الدروب، ويملأ الكون سناءً إذ يقول:

إذا ملكوا الدنيا على الحرّ عنوةً ففي نفسه دنيا هي العزُّ والكبرُ

وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكًا أضاء له كونٌ بعيدٌ هو الفكرُ

ومن هنا كان احترامه للفكر والرأي الصراح، وكانت ثورته على الطغاة المستبدين، واصمًا إياهم بالجبناء:

والظلمُ من طبع الجبانِ وكلُّ طاغيةٍ جبانُ

كما يرى أن الضحى والشجاع حلفا كفاح، وأنه ما احتمى بالظلام إلا الجبان، وأن النصر للشعوب لا للطغاة لأن الشعب هو القوي، أما الطاغية المستبد فهو الضعيف:

كل طاغٍ — مهما استبدَّ – ضعيفٌ كل شعبٍ — مهما استكان – قديرُ

وهب الله بعضَ أسمائه للشعب، فهو القديرُ وهو الغفورُ

لقد آمن بقوة الشعب. ومن هنا كانت دعوته للحكام إلى أن يرجعوا إلى شعوبهم مصارحة ومحبة وتحنانًا:

ارجعوا للشعوب يا حاكميها لن يفيد التهويل والتغريرُ

صارحوها فقد تبدَّلت الدنيا وجدَّت بعد الأمور أمورُ

وتنطلق رؤيته من أن الفرد لا يمكن أن يستمر، ولا يمكن أن يبقى، أما الشعب فهو المستمر، وهو الباقي إلى جانب الحق والدهر:

أرى الفرد لا يبقى وإن طال حكمه ويبقى بقاءَ الحق والزمن الشعبُ

ومع إيمان شاعرنا بقوة الرأي وقوة الحق:

وما أكبرتْ نفسي سوى الحق قوة وإن كان في الدنيا لها النهيُ والأمرُ

فإنه يدعو في الوقت نفسه إلى أن يكون المرء قويًا حتى يصون حقه، لأن الحياة للأقوياء، فينادي أحبته:

أحبابنا لا تضعُفوا فالضعف داعية الفناء
وتعلَّمُوا أنّ الحَيا ة وصَفْوها للأقوياء

وأن شريعة القوة هي المسيطرة على ممر الدهور وتوالي العصور، ويظل الأقوياء مرهوبي الجانب:

هذي الحياةُ لمن مضى كالليث مرهوبَ الجوائح

ويرى من استقراء مسيرة البشر عبر التاريخ أن شريعة الحياة هي إلى جانب القوي لا الضعيف:

ضلّ الذي زعم الأنام عن القديم تقدَّموا
الناسُ في كل العصور كما علمتَ هُمُ هُمُ
يشقى الضعيف ويستبد به الكميُّ المعلمُ
وتحلّل الأطماع ما تختاره وتحرّمُ

وما كانت الحياة إلا مطواعًا للأقوياء، مادام للقوة الأمر والنهي:

الشرع ما سنَّ القويُ بسيفه فلسيفه التحريمُ والتحليلُ

وإذا ما انتقلنا إلى الانتماء القومي لدى شاعرنا فإننا نجد أنه قد آمن بالعروبة انطلاقًا من إيمانه بالحق والخير والجمال، وهو القائل «من أراد العروبة إيمانًا في قلبه وفناءً في حبه، وأنسًا في وحشته، وهناءة في سريرته، وعالمًا في وحدته، فليتقرب إلى نعمتها بالحق والخير والجمال» على حدّ تعبيره.

وأشاد بالدور الذي اضطلع به المسيحيون في خدمة الفصيحة لغة القرآن

الكريم والموحدة بين العرب، فوقفوا إلى جانبها في محنتها، وحافظوا عليها في الأديرة، وكان ثمة تعاضد وتكاتف بين الأذان والناقوس في تعزيز روابط الوحدة الوطنية وحماية اللغة العربية إذ يقول:

صانت مسوحُكُم الفصحى وكان لها منكم بمحنتها الأركان والعمدُ
مَرَّت بأديرة الرهبان يغمُرُها شوق البنين وحبٌّ مترَفٌ رَغِدُ
لم يخذلوا لغة القرآن أمَّهُمُ وكيف يخذل قربى كفّه العضدُ
تعانقت مريمٌ فيه وآمنةٌ وحنَّ للرَّشد الإيمان والرَّشدُ

وندّد الشاعر بالمؤامرات التي تعرضت لها العربية الفصيحة، وما كانت لتتعرض لها إلا لأنها عامل توحيد بين العرب، وأفضل أم برة بهم، وأب حان عليهم، وما أجمل إيمانه بانتصار الفصيحة على المؤامرات التي تحاك لها:

للضاد ترجع أنساب مفرَّقة فالضاد أفضل أمٍّ برَّةٍ وأبِ
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدةً شجًى بحلقِ غريبِ الدارِ مغتصبِ

ولئن أشار شاعرنا إلى الروابط القومية التي توحد بين العرب متمثلة في اللغة فإنه لم يغفل الإشارة إلى التاريخ معتزًا بالمناقب الرفيعة للفتوحات العربية ومستذكرًا المقولة المشهورة: لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب، فلنستمع إليه يقول عن العربي:

أريحيٌّ تكاد تورق بالنعمى لأعدائه القنا والنصولُ

ولقد تغنى شاعرنا بالأرض العربية إلى جانب تغنيه بالفصيحة والتاريخ مؤكدًا أن سالف الشرق، مِلك قحطان وأن اليوم لقحطان، وأن له الغد المأمول، ويتابع قائلاً:

وله هذه الجبال المنيفات وتلك الرُّبا وهذي السهول

ثم يعدِّد بعض المناطق العربية معتزًا بهويتها:

أرزُ لبنان أيكةٌ في ذرانا والفراتان ماؤنا والنيلُ
ورياحيننا على تونسَ الخضراءِ خضراءُ أين منها الذبولُ؟

ومع تنوع المناطق العربية وأقاليمها يبقى بيت العروبة قبلة الشاعر:

بيتُ العروبة حين أسجُدُ قبلتي لا طورُه قصدي ولا عرفاتُه
من بعض أسماءِ العروبة أرزُه يوم الفخار ونيلُهُ وفراتُهُ
كالروض ملتفَّ الخمائل ناضرًا ما ضرّه لو نُوّعتْ أزهارُهُ

ولكم كانت تسوؤه رؤية الحدود الفاصلة بين الأقطار العربية، انطلاقًا من إيمانه أن الأرض العربية هي أرض الوطن العربي الواحد الموحد. ومن هنا كان دعاؤه الحار بأن يهدِمَ الله هذه الحدود المصطنعة:

ليس بين العراق والشام حدٌّ هَدَم الله ما بَنَوا من حدودِ

ويرى أن الأرض العربية على امتدادها واتساعها إنما هي وطنه الذي به يعتز:

كل الربوع ربوعِ العرب لي وطنٌ ما بين مبتعِدٍ منها ومقترِبِ

ولذلك كان يرى أن الخلاف بين الأشقاء العرب مدعاة للغرابة والاستنكار:

للخلف في الناس أنواع وأغربها خلف الشقيقين من قومي بلا سببِ

وأن الأمر الطبيعي هو الاتحاد بين الأشقاء، أما الأمر المستكره فهو الشقاق:

لبنان والغوطة الخضراء ضمهما ما شئت من أدب عال ومن نسبِ
ما في اتحادهما تالله من عجبٍ هذا الفراق لعمري منتهى العجبِ!

وما أشبه اليوم بالبارحة، لقد عتب على لبنان تصرف بعض بنيه في

الخمسينيات تجاه سورية وإظهارهم العداء لها، وها هو ذا قلبه يتمزق أسىً من مثل هذه التصرفات المعادية فيقول:

ضاق لبنان بي وكان رحيبًا وتترّى حقدًا وكان رفيقا
ما للبنان رحت أسقيه حبي وسقاني مرارةً وعقوقا
قد أرادوا لبنان سفحًا ذليلاً وأردناه شامخًا مرموقا

ويبين الشاعر أن الشام لم ولن تحمل بين جوانحها إلا الحب الصافي للبنان، وأن هذا الحب كبير وواسع يسمو فوق الجراح، ولا يشوبه مَنٌّ ولا أذى.

وما أسمى تعبيره عن هذا الموقف المبدئي الثابت الذي وقفته وتقفه سورية تجاه أهلنا في لبنان ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً:

عروبة الشام يا لبنان صافية سمحاءُ كالنور لا مكرٌ ولا عقد
تنزّه الحب عن مَنٍّ وعن نكدٍ وقد ينغِّص حسن النعمة النكدُ
نحن المحبين نهواكم ونؤثركم هل كان من دلّلوا القربى كمن وَأَدُوا
نحن الظماءَ ونسقي الحب أرزكم الحب في الشام لا نزرٌ ولا ثَمَدُ

لقد ندّد الشاعر بالأعمال التي قام بها الاستعمار الفرنسي في سورية، ومن منا ينسى تلك القصيدة الرائعة التي نظمها الشاعر في تبيان أساليب المستعمرين الفرنسيين وأعمالهم إبان احتلالهم لسورية والتي مطلعها:

يا سامر الحيّ هل تغنيك شكوانا رقَّ الحديد وما رقّوا لبلوانا

ومما يقوله فيها:

سمعتُ باريس تشكو زهو فاتحها هلاّ تذكرت يا باريس شكوانا
عشرين عامًا شربنا الكأس مترعةً من الأذى فتملَّي صِرْفَها الآنا

وتغنى الشاعر بشهداء الوطن وبرموز الثورة السورية على الفرنسيين

وبرجالات الحركة الوطنية، من أمثال سلطان باشا الأطرش وإبراهيم هنانو وسعد الله الجابري وشكري القوتلي وفارس الخوري...وغيرهم.

وحمل شاعرنا الهم القومي في فلسطين، فعبّر أيما تعبير عن ذلك الجرح النازف من جسم الأمة، وأبان مأساة اللاجئين الفلسطينيين تحت الخيام قائلاً:

الخيام الممزقات وأم في الزوايا وكسرة وحصيرُ
وفتاةٌ أذلها العري والجوع ويلهو بالرمل طفل صغيرُ
كلما أنَّ في الخيام شريدٌ خجِل القصرُ والفِراش الوثيرُ

كما صوّر الأعمال الإجرامية التي يقوم بها العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة من حيث الحرق والإبادة والتدمير:

يحرُقُ المدن والعذارى سبايا وصغيرٌ لذبحه وكبيرُ
دينه الحرق والإبادة والحقد وشتمُ الأعراض والتشهيرُ
صوّرته التوراة بالفتك والتدمير حتى لَيَفْزَعَ التصويرُ

وثمة حقيقة يراها في التلازم بين مجد العروبة ومجد الشام، فإذا اعترى مجد العروبة في الشام خطر فالخطر كل الخطر على العرب كافة:

إذا ظل مجد العرب في الشام سالمِا فمجدُ بني قحطان في الشرق سالمُ

ومن هنا كان تعلّق الشاعر بالشام وتقديره لمكانتها وموقعها على الساحة العربية، وحنينه الدائم لها إذ إنها قبلته، وإن الله عزّ وجل يغفر له إن صلى والشام قبلته فيقول:

ويا ربّ إن صليت والشام قِبلتي فأنت غفور للذنوب رحيمُ
تهلَّل عفو الله للذنب عندما أطلَّ عليه الذنب وهو وسيمُ

وجميل جدًا قوله:

تطوّحني الأسفار شرقًا ومغربًا ولكنّ قلبي بالشآم مقيمُ

وما أرقه من قول:

لقد زعموا أني بجلّق هائمٌ أجلْ، والهوى إني بجلّق هائمُ

ولكم كان يحن إلى الشام في غربته فيناديها:

يا شام يا لدة الخلود وضمَّ مجدكما انتسابُ
من لي بنزر من ثراك وقد ألحَّ بي اغترابُ
فأشمه وكأنه لَعَس النواهد والملابُ
وأضمُّه فترى الجواهر كيف يكتنز التراب
هذا الأديم شمائل غرٌّ وأحلامٌ عذابُ
هذا الأديم أبي وأمي والبداية والمآبُ
ووسائدي وقلائدي ودمى الطفولة والسِّخابُ
أغلى عليَّ من النجوم ولا أُلام ولا أُعابُ

إذا كان شاعرنا المبدع يتسم برقة المشاعر ونبل الأحاسيس وسمو القيم وروعة البيان فإن الحكمة تزين تلك السمات كافة، والحكمة هي أصفى رحيق يقطّره عقل الإنسان، ومن حِكَمه:

قد تطول الأعمار لا مجد فيها ويضم الأمجاد يومٌ قصيرُ

ويرى أن المجد الحقيقي هو الذي يُبنى على المكابدة والمعاناة والمشقة والصعوبات:

لصغار النفوس كانت صغيرا تُ الأماني وللخطير الخطيرُ
يندر المجد والدروب إلى المجـ ـد صعابٌ ويكثر التزوير
علموا أنه عسير فهابو هـ ولا بدع فالنفيسُ عسيرُ

كما يقول:

قل لمن يحسد العظيم ترفقْ إن خلفَ الأمجاد همًّا وسُهدا

وما أروع حكمته في الدعوة إلى القوة والتضامن:

فقل لضعيفٍ راح يسأل رحمة رويدك ما للضعف في الناس راحمُ

وقل للذي جافى على القرب أهلَه رويدك تقوى بالخوافي القوادمُ

وما أعمق حكمته في بث التفاؤل في نفوس أبناء الأمة عندما يشير إلى أن المحتلين والغزاة لا محالة زائلون:

سألوني عن الغزاة فجاوبتُ رياح هبّت ونحن ثبيرُ

سألوني عن الغزاة فجاوبتُ رمالٌ تُسفى ونحن الصخورُ

سألوني عن الغزاة فجاوبتُ ليالٍ تمضي ونحن الدهور!

لقد اتسم شعر البدوي بالخلود، لأنه كان الناطق بلسان التاريخ والعالم، باتجاه إنساني انطلاقًا من إيمانه أن وظيفة الشعر تتمثل في الدفاع عن إنسانية الإنسان في هذا العالم، وأن الذين حملوا مشاعل المثل الإنسانية اندلعت شعلاتهم من وهج التفكير والشعور، انسجامًا مع الرغبة الدائمة للتعبير بطريقة تغني قيم الخير والجمال، وتوضح الحقيقة تخليدًا للمعاني الروحية والعاطفية وصولاً إلى خلود العبقرية الإنسانية.

فالدهر مِلْكُ العبقرية وحدها لا مِلكُ جبّار ولا سفّاح

ومعذرة منك أيها الشاعر الكبير إذا كنت لم أتمكن من إيفائك بعض حقك، ولتسمح لنا أن نستعير من دررك هذا البيت لنستشهد به على تقصيرنا تجاه الإحاطة بفكرك:

واعذر إذا لم أوف مجدك حقه لجج الخضم طغت على السبّاح

أبو بَكرالكُتنْدي الأندلسي

(٥١٣ – ٥٨٤)

حياتُه وأَدَبُه ومَجْمُوع شعره

د. محمّد رضوان الدَّايَة

(القسم الأول)

حياتُه وأَدَبُه

[١]

في شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري شاعر كان له ديوان شعر مَرْوِيٌّ متداول، وكان واحدًا من ثلّة من الشعراء وأهل الأدب يحرّكون الإبداع الشعريّ، ويواصلون إضفاء الحياة والحيويّة على حركة الشعر في شرقيِّ الأندلس، وصولاً إلى غَرْناطة جنوبًا؛ والشّاعر المشار إليه هو: أبو بكر الكُتندي[١].

وعاصَر الكُتندي في حياته في القَرْن السّادس (٥١٣– ٥٨٤) ثلاث مراحل سياسية في الأندلس، كانت لها آثار ثقافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة؛ وهي:

١– أواخر مدّة دولة المرابطين، ومَن كان يدعو بدعوتهم بعد اضطراب أحوالهم،

٢– ومدّة ظهور المتوثِّبين[٢]، في عدد من المدنِ والمناطقِ للأخذ بنصيب من

(١) فيما يأتي من صفحات البحث (القسم الأول) كلام على ضبط اسم هذه البلدة التي ينتسب إليها الشاعر الأندلسي: أبو بكر الكتندي. تُنظر الصفحات ٦٩٩– ٧٠٥.

(٢) يُنظر مثلاً ما أورده لسان الدين بن الخطيب تحت عنوان «ذكر مَنْ كان في أُخريات دولة المرابطين اللمتونيّين من الملوك والرؤساء والثوار» من كتابه أعمال الأعلام: (٢٤٨) ومابعدها.

تركة المرابطين في الأندلس؛ وهي مدّة مضطربة أبرزت عددًا من الطامحين، والطامعين من مشارب شتّى. ولم تكن مصلحة «الوطن» كما نقول اليوم هاجسهم، ولا دافعهم إلى الثورة والانقلاب،

٣- ومدّة سيطرة دولة بني عبد المؤمن (عُرفت بدولة الموحِّدين) التي ورثت دولة المرَابطين.

ومعلومٌ أنّ الأندلس كوّنت مع المغرب دولة واحدةً منذ أنْ عزَم يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين على التخلّص من ملوك الطوائف ابتداءً من سنة ٤٨٤هـ. وكان أوّل الذين خسروا «ملكهم» المعتمد بن عَبّاد صاحب دويلة إشبيلية، وتبعه في ذلك معظم «ملوك» الطوائف. واستبقى أمير المرابطين بني هُود في منطقة سَرَقُسْطةَ رجاءَ أن يكونوا عونًا على دَرْءِ هجمات «قشتالة» وسواها من القوى المعادية[٣].

ولم يَطُلْ عُمرُ دولة المرَابطين، وكان أوَّلهم يوسف بن تاشفين الذي تلقّب بلقب أمير المسلمين (متحاشِيًا التلقّبَ بأمير المؤمنين الذي كان يَشْغَلُه خليفةُ بغداد) وقد توفي سنة ٥٠٠هجرية. وخَلَفَهُ ابنهُ أبو الحسن عليّ إلى سنة ٥٣٧، وجاءَ بعد ابنه تاشفين الذي انتهى حُكمه بعد نحو سنتين ٥٣٩ بظهور الموحِّدين، وتغلّبهم على المغرب (بحدوده آنذاك) وعلى الأندلس.

وكان انتقاضُ دولة المرَابطين قد بَدأ في عُقْرِ دارِهم من المغرب، ثم انتقل إلى الأندلس. ولكنّ القُطْر الأندلسيّ لم ينتظر طويلاً بعد سنة ٥٣٩؛ فقد ظهرت مجموعةٌ من المتوثّبين: أكثرَهُمْ من القُضاة، وبعضُهم من أهلِ القلم: الكُتّاب والأدباء؛ وبعضهم من المغَامِرين. وهكذا اضطربت البلادُ بهؤلاء «الثائرين». قال الأستاذ عنان: «كان من الطبّيعي أن تنشب بين المرابطين والموحِّدين وهم سادةُ

(٣) يُنظر مثلاً: دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحّدين: (١- ٢).

الأندلس الجُدد المعركةُ التي تُغَذّيها عواملُ مختلفةٌ؛ هي مِحنة الأندلس الحقيقيّة، وكانت تتجدّد من خلالها صُوَر المعارك الانتحارية التي أثخنت الأندلس أيامَ الطوائف بجراحها الدّامية... على أَنَّ الثّورة على سُلطان المرابطين في الأندلس لم تضطرم إلاّ في أَواخِر عَهدهم في شِبه الجزيرة في الوقت نفسه الذي اضطرم فيه المغرب بثورةِ (حركة) الموحِّدين الجارفة. وتَضعضَع سلطانُ المرَابطين في عُقر دولتهم، وتعذّر عليهم إرسال الإمداد إلى ما وراء البحر...»[٤].

وهكذا نشأت مُدَّةٌ في الأندلس بين الانقضاض على السُّلطة المرابطية وبين تثبيت السُّلطة الموحِّدية هي أشبهُ بمدّة دُوَل الطّوائف في القرن الخامس؛ ما بين نهاية السُّلطة الأُموية وبين بَسط يوسف بن تاشفين سلطة المرابطين في الأندلس.

ونتجَ عن هذه الفوضى العارمة — بظهور هؤلاء المتوثّبين — نتائج خَطيرة من تكالُب العدوّ على الأندلس واقتطاعه أجزاءً بَعْدَ أَجزاء من الأرض التي كان يَصْعُبُ استردادُها، أَو يَقِلُّ احتمالُ استردادِها مَرَّةً أُخرى.

وفي أخبار أبي بكر الكُتندي أنّه عمل كاتبًا لبعض وُلاة مالَقَة[٥]، التي كان كثير الإقامة فيها والتردّد عليها. ولم تذكر كُتُبُ التَّراجم اسم الوالي أو «صاحب المركز» الذي كتَب له. فقد كانت الأيدي كثيرة، وكانت الفتنة واسعة، وكان المتوثّبون كُثرًا. كأنَّ الحُكْمَ أو التحكم صارَ هوايةً من الهِوايات، أو صَنْعةً من الصَّنائع يَطلُبها من يَستطيعُ ومن لا يَستطيع. وكان ولاةُ الموحدين كُثرًا أيضًا.

وحين كانت الأندلسُ دولةً وولاياتٍ في حاجة إلى الحاكم الخبير الحازم والمحارب للعَدُوّ المتمكّن البارع كان قادةُ «الثّورة» على المرابطين — في معظمهم —

(٤) المرجع السّابق (١/ ٢٧، ٢٨).

(٥) أعلام مالقة (١٠٦).

من القُضاة وأَربابِ القَلم: ففي قُرْطُبَةَ وجَيّانَ وغَرْناطةَ ومالَقَةَ ومُرْسِيَةَ وبَلَنْسِيَةَ وغيرها كانوا من القضاة، والفقهاء والأدباء والشّعراء: من أعلام التّفكير[٦]، في ذلك العصر. وقد أثبتت الأحداثُ المتلاحقةُ عَجْزَهم جميعًا عن أن يكُونوا سياسِيّن قادرين، أو يكونوا قادةً ناجحين، بل إنّهم في جُملتهم لم يَنْصَحُوا الأُمَّة، ولم يَصُونوا حِمَاها.

ومن «الثوّار» في وسَط الأَندلس وجَنُوبيِّها: ابنُ حَمْدِين بِقُرْطُبة، وابنُ أَضْحى بِغَرْناطة، وابنُ حَسُّون بمالَقَة، وابن مِلْحان في وادي آش. وكان أكبر الثائرين في شرقيِّ الأندلس محمّد بن سَعد بن مَرْدَنيش، وقام في جَيّان ابنُ جُزَيّ: كما قام في قادِس عليّ بن عيسى بن ميمون، وفي بَطَلْيَوس محمّد بن علي الحجّام... وفي بَلَنْسِيَة (ثم شاطِبَة ولَقَنْت) ابنُ عبد العزيز، وفي مُرْسِية ابنُ رشيق، وابن أبي جَعْفر، وفي أُوْرْيُوْلَة أحمد بن عاصم...

وضَمَّ الموَحّدون هذا الشتات طَوْعًا وكرْهًا، وقال لسان الدين بن الخطيب في وصف الحال: «وقد كانت أيدي هذه الدّولة المؤمنيّة – دولة الموحِّدين – نَقّت الأَرْضَ من عُشْبِ الثّوارِ فلم تَترُك عَيْنًا إلا صَيرته أَثَرًا...»[٧].

[٢]

قدّمت تراجم الكتندي معلومات محدودة عن شخصيّته، وعن تنقلّه في البلاد الأندلسية، وأعماله التي مارَسها، وقدّمت لنا أسماء عدد كبير من شيوخه وأصحابه وتلامذته. وأفصحت عن ثقافته ووجوه نشاطه الأدبي شعرًا ونثرًا.

(٦) عصر المرابطين والموحدين (١/ ٣١٨)؛ والعبارة له.

(٧) أعمال الأعمال (٢٧٠).

ومن هذه التراجم واحدة لصاحب كتاب المطرب، أبي الخطّاب عمر بن حسين بن دحية المتوفى ٦٣٣؛ فقد عاصره، ولقيه، وأخذ عنه، وروى بعض شعره، وأثنى عليه ثناء كبيرًا، وفي هذه الترجمة:«لقيتُ بمدينة غرناطة الوزير الأجَلّ أبا بكر محمّد بن أبي العافية الأزدي القُتندي الأصل الأغرناطي المنشأ، وكان من بقايا الأدباء وفحول الشعراء، ورواة الحديث عن العلماء»[٨]. وذكر من أساتذته عددًا ثم قال: «وله شعر كثير وأدب غزير» [٩].

وقد عَيَّنَ ابن دحية[١٠] تاريخ ولادة الكتندي بسنة ثلاث عشرة وخمسمئة[١١]، وعَيَّن تاريخ وفاتِه بسنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمئة، وتردّد أكثر الذين ترجموا له في وفاته بين ٥٨٣ و ٥٨٤.

وقد رَجَّحْتُ التّاريخين اللّذين حدَّدهما ابنُ دِحْيَة: لمعرفته به وتلَقّيه عنه، وقد قال: «سَمِعْتُ منه، وأجاز لي ولأَخي أبي عمرو جميع ما رواه ونثَرَه، ونظمه» وذكر من أَساتذته، وأَصحابه، وتلاميذه.

ولنا أن نُقَدِّرَ — تقديرَ الظَّنّ — أنّ أسرة الكُتندي غادرت بَلْدة كُتَنْدة، عند احتدام الصّراع الأندلسي المرابطي مع قوّات العَدُوّ المتكالبة، ولا نعرف المدينةَ التي استقرّت فيها الأُسرة، لكنّنا نَستشفّ من أخبار الشّاعر أنه أكثر الإقامة في

(٨) يُقال فيها: غرناطة وأغرناطة.

(٩) المطرب لابن دِحية (٨١- ٨٢).

(١٠) المطرب (٨٢).

(١١) في بغية الوعاة (١/ ١٥٥) أنه «ولد سنة ستّ وخمسين وخمسمئة» هكذا. وفي العبارة خطأ من المؤلّف أو الناسخ أو الطابع. وقرأ الدكتور عمر فرّوخ التاريخ هكذا: «ولد سنة ٥٠٦» ولم أجد هذا الرقم عند غيره.

مالَقَة[١٢]، وفي غَرْنَاطة. ومن هنا ترجم له صاحبُ (أُدَباء مالقة) في كتابه، وتَرْجَم له صَفوان بن إدريس في كتابه (زاد المسافر) وسَجَّلَ إلى جانب اسمه أَنّه: غَرْناطيّ؛ فهو معدودٌ – إذن – في أهلِ غَرْناطة[١٣]، وسكن المَنَكّبَ[١٤] أيضًا.

(١٢) مالقة (Malaga) مدينة على البحر المتوسط، جنوبي الأندلس، وهي اليوم حاضرة ولاية بهذ الاسم. وكانت مدينة زراعية، وصناعية، وكانت ذات أهمية من الناحية التجارية: البحرية، والعسكرية؛ واشتهرت بصناعة الخزف المالقي، وبالتّين الجيّد الذي كان يُصَدّر إلى أنحاء بعيدة في العالم القديم. وكانت مالقة أيام دولة غرناطة ذات أهمية عظيمة حربيًّا واقتصاديًّا، وقد سقطت مالقة سنة ٨٩٢ قبل غرناطة بنحو سبعة أعوام.

ومن الطرائف والحقائق أنّ الأدوات الخزفية ماتزال تسمّى في بلا الشام، وخصوصًا في دمشق والغوطتين باسم (المالقي). وحدّثني زميل من تونس أنهم يقولون عن الخزف: (المالقي) أيضًا.

يُنظر: الرّوض المِعطار: (٥١٧) ومُعجم البلدان (٥/ ٤٣)، والآثار الأندلسية الباقية (٢٤٢)، ورحلة الأندلس (٢٥٢)، وآخر أيام غرناطة: (٥٣) .

– ويُنظر للإطراف، ولإظهار الصلة بين الأندلس والمشرق عامة والشام خاصة مادّة (المالقي) في بعض كتبي من سلسلة الموسوعة الشامية مثل: معجم الأمثال العامية الشامية، ومعجم المآكل الشامية – وتُراجع الفهارس.

(١٣) مدينة كبيرة من مدن جنوبي الأندلس، برزت في أواخر القرن الرابع وحلّت محل= =مدينة إلبيرة، وصارت إحدى حواضر الأندلس سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وحين انهارت الأندلس الكبرى أواخر حكم الموحدين اتخذ محمد بن الأحمر غرناطة عاصمة للدولة التي عُرفت بدولة (مملكة) غرناطة، ودولة بني نصر (أو بني الأحمر): من ٦٣٥ إلى ٧٩٨ وكانت آخر مدن الأندلس سقوطًا.

ويُقال فيها غَرْناطة وأغرناطة Granada ومعناها الرمّانة. وما يزالُ شعارُ المدينة هو: ثمرة الرمان.

وكانت غرناطة – وما تزال – مثل معظم المدن الأندلسية مجالاً لأقوال الشعراء وذكرياتهم.

(الروض المعطار: (٤٥) ومُعجم البلدان (٤/ ١٥) ونُزهة المشْتاق (٢٩٧) وآثار البلاد (٥٤٧)

[٣]

في تلخيصٍ مُكَثف أفادنا ابن عبد الملك في الذَّيل والتكملة[١٥] بحركة الكُتندي وتنقّله في عددٍ من المدن الأَندلسيّة، وقال فيه:

«محمّد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الأَزديّ[١٦]: غَرْناطي، كتنديّ الأصل، سكن مُرْسِيَة[١٧]، ومالقة كثيرًا، ثُمّ غَرْناطة والمنكَّب».

والآثار الأندلسية الباقية: (١٦٠) ورحلة الأندلس (١٥٨) وآخر أيام غرناطة: مواضع متفرقة).

(١٤) المنكّب، هي اليوم Al muñecar (ومعناه في أصله العربي: الحصن المرتفع) مرسى على البحر المتَوسّط جنوبي ولاية غرناطة، وراء المرسى مدينة وصفتها المراجع الإسلامية بأنها «حسنة متوسّطة، كثيرة مصايد السّمك وبها فواكه جمّة» وقال الأستاذ عنان في وصف المدينة حين زارها قبل نحو أربعة عقود خلت إن هذا الوصف لمدينة المنكب ينطبق عليها اليوم فهي مدينة جميلة متوسطة...، ثم قال: وقد رأينا حين طوافنا بالمدينة نخلاً مثمرًا في هذا الوقت من الشتاء.

– وكانت المنكّب أولّ بلدة أندلسية استقبلت عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الذي أعاد الدولة الأموية في الأندلس (سنة١٣٨). وأُقيم بالمدينة تمثال كبير لعبد الرحمن تخليدًا لذكراه وأقيم لذلك ندوة حافلة في دمشق وأُقيم تمثال مصغّر من ذلك الأندلسي، في إحدى ساحات دمشق تكريمًا لهذه الشخصية العبقرية.

الروض المعطار (٥٤٨) ومعجم البلدان (٥/ ٢١٦)، ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب (٧٩)، والآثار الأندلسية الباقية (٢٥٨)، ونهاية الأندلس للأستاذ عنان: (٥١٠) وآخر أيام غرناطة: (٦٤).

(١٥) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (٦/ ٣٤٩ – ٣٥٠).

(١٦) سَأُورد مصادر ترجمته بعد قليل. والأزدي نسبة إلى الأزد من عرب اليمن.

(١٧) مدينة مُرسِيَة من بناء الأُمويّين في الأندلس بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (يُعرف بعبد الرحمن الثاني – الأوسط) سنة ٢١٦ واتّخذت «دار العمال وقرار القوّاد». وهي على

وتَنَقَّلَ أَبُو بكر الكُتندي في عددٍ من مُدن الأندلس: تبعًا لظروف أعماله التي مارسَها، ووجوه نشاطه التي اشتهر بها من الكتابة الديوانية، والمهام التعليميّة، وغير ذلك ممّا أتقنه وبرع فيه. وهكذا نُسِبَ أبو بكر إلى كُتَنْدَة التي ترجع أُصول أسرته إليها، وإلى غرناطة، وإلى مالقة.

وكُتَنْدة بلدة صغيرة ذكرها الجغرافيّون لوقوعها في مفترق طرق القوافل، ثم اشتهرت بعد وقعة حربية بين المرابطين والأندلسييّن من جهة وقوات الشمال المتحالفة من جهة ثانية، عُرفت باسم هذ البلدة كُتَنْدَة: Cutanda(١٨).

نهر كبير، وفيها الأشجار المثمرة الكثيرة، وسائر أنواع الزراعة، وبجبالها معدن الفضة، واشتهرت بصناعة البسط الراقية. وذكر في الروض المعطار استعمال أهلها للدّواليب والسّواني رفع الماء. وقد رأيت في أرباضها ومزارعها نواعير كتلك التي كانت في غوطة دمشق (سقى الله أيّام غوطة دمشق وأيام العرب في الأندلس!) وكنتُ مررت بها سنة ١٩٧٦ مُصْعِدًا من جنوبي الأندلس إلى شماليِّها الشرقيّ.

– والدواليب التي ذكرها الحميري في الروض المعطار هي النّواعير تديرها بعض الحيوانات القوية.

– سقطت مُرسية سنة ٦٤١ (١٢٤٣). وما تزال فيها آثار عربيّة وإسلامية.

– وسجّل أ. عنان رحمه الله في «الآثار الأندلسية الباقية» كثرة النخيل فيها على غرار ماكانت عليه أيام الحكم الإسلامي، وقال: «في مرسية طائفة من الجَنَّانين (البُستانييّن والحدائقييّن) لها عاداتٌ وأغانٍ خاصّة» ص٢٥٨.

(١٨) وقعت المعركة في ظاهر بلدة كتندة cutanda في الرابع والعشرين من ربيع الأول ٥١٤هـ (أو ربيع الآخر) الموافق حزيران (أو تموز) ١١٢٠م.

– قاد الجيش المعادي ألفونسو الملقب بالمحارب، وقاد القوّات المرابطيّة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكانت النتيجة هزيمة منكرة للقوات المرابطية وسقوط مواقع كثيرة. (عصر المرابطين والموحدين – محمد عبد الله عنان – القسم الأول: ١٠٢).

وقد اختلف رَسْمُ اسم المدينة، وضَبْطُهَا بين المصَادر الأندلسيّة والمغربية من جهة والمشرقية من جهة ثانية. فهذه فرصة لاستعراض القول في (كتندة) وضبطها.

[٤]

كتندة:

١ً – ورد ذكر كتندة في كتاب «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك» لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلاّئي[١٩]، وفيه تحت عنوان «أقاليم سَرَقُسْطة»[٢٠]: «إقليم قُتَنْدَة وهو على ستّين ميلاً من مدينة سَرَقُسْطَة» واسم البلدة هكذا: حُروفًا وضبْطًا في الكتاب المذكور.

٢ً – وذكر البَلْدَةَ الشّريف الإدريسي في نُزهة المشتاق[٢١]، حين وصل إلى «ذكر الأندلس ووصف بلادها وطُرقاتها...» وقال[٢٢]:

«ومن مدينة بلنسية إلى سرقسطة تسع مراحل على كتندة، وبين بلنسية وكتندة ثلاثة أيام، ومن كتندة إلى حصن الرّياحين مرحلتان...» إلخ.

– ولم يُضبط اسم كُتندة، ولكنه أوردها بالكاف.

٣ً – ووردت في نص لابن الأبّار ورد في الملحق (٢) من مرويّات ابن

(١٩) نشَر الباقي منه أُستاذنا الدكتور عبد العزيز الأَهْوَاني، رحمه الله، في مدريد تحت عُنوان: «نُصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبُستان في غَرائب البُلدان، والمسالك إلى جميع الممالك» وهو من منشورات معهد الدراسات= = الإسلامية في مدريد (مطبعة معهد الدراسات الإسلامية).

(٢٠) نصوص عن الأندلس، (٢٤– ٢٥).

(٢١) كتاب نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشّريف الإدريسي – عالم الكتب – بيروت.

(٢٢) نُزهة المشتاق (٢/ ٥٥٦).

مغاور[٢٣]، وفيه[٢٤]:

«حُدّثتُ عن أبي محمد بن سفيان حدّثنا أبو عبد الله بن مغاور حدّثنا أبو علي بن سكّرة قراءة عليه وأنا أسمع بشاطبة مَقْدمَهُ علينا غازيًا إلى كُتَنْدَة أخبرنا أبو القاسم بن فهد...».

٤ً – وذكر البلدة المؤرخ الجُغرافيّ الأديب أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد في كتابه المغرب في حُلى المغرب[٢٥]، في عناوين كتبِ شرقيِّ الأندلس وعند التفصيل فيها، فقال: «كتاب رونق الجِدَّة في حُلى قرية كُتَنْدة» [٢٦]، من قرى مرسية، وترجم لأبي بكر محمد بن عبد الرحمن الكُتندي الذي نترجم له، ونعرِضُ الباقي من شعره.

– والضّبط من الكتاب المذكور.

٥ً – وذكر ابن سعيد: الكُتندي أيضًا في كتابه: رايات المبرّزين[٢٧].

٦ً – وذكر المقري في نفح الطيب[٢٨]، البلدةَ استطرادًا عند ذكر القاضي

(٢٣) ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره – دراسة وتحقيق: محمد بن شريفة – الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٤ .

(٢٤) ابن مغاور: ٢٦٤.

(٢٥) المغرب في حلى المغرب – لابن سعيد – حقّقه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف – طبعة ثانية منقحة – صدر عن دار المعارف بالقاهرة.

(٢٦) يُنظر (٢/ ٢٤٣) و (٢/ ٢٦٣).

(٢٧) رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد – حققه وعلّق عليه محمد رضوان الداية– دار طلاس – الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(٢٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد المقَّرِيّ التلمساني – حققه الدكتور إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت ١٣٨٨– ١٩٦٨.

الشهيد أبي علي الصّدفي الذي استشهد في الوقعة المشهورة سنة ٥١٤، وعُرِفت باسم كتندة لوقوعها عند تلك البلدة. قال[٢٩]:

«فلمّا كانت وقعة كُتَنْدَة كان ممّن حضَرها فَفُقِدَ فيها سنة أربع عشرة وخمسمئة، رحمه الله تعالى».

– وردت «كُتَنْدَة» بالكاف، مضبوطة هكذا: بضم ففتح.

٧ً –ووردت نسبة الكتندي مضبوطةً ضبطًا تامًّا هكذا الكُتندي في زاد المسَافر[٣٠]، قال: «أَبُو بكر الكُتندي – أَغرناطي» وقد نَبّهت في سياق الكلام على أبي بكر الكتندي على اشتهاره بالنسبة إلى كتندة (فأصْلُه منها) وإلى غرناطة (لطول مكثه فيها).

٨ً – وترجم له ابن الأبّار في التّكملة[٣١] وقال فيه[٣٢]:

«من أهل غرناطة، يُكنى أبا بكر، ويُعرف بالكُتندي لأنّ أصله منها».

٩ً – وترجم له كتاب أعلام مالقة[٣٣]، وقال فيه[٣٤]:

(٢٩) نفح الطيب (٢/ ٩٢).

(٣٠) زاد المسافر وغُرّة محيّا الأدب السَّافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المُرْسي – أعدّه وعلّق عليه عبد القادر مِحْداد – دار الرائد العربي – بيروت، ١٩٧٠.

(٣١) التكملة لكتاب الصّلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (المعروف بابن الأبّار) بعناية عزّة العطار الحسيني – القاهرة ١٣٧٥– ١٩٥٦.

(٣٢) التكملة (٢/ ٥٣٥).

(٣٣) أعلام مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس – تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط التَّرغي – دار الغرب الإسلامي ودار الأمان – مطابع دار صادر بيروت، ١٤٢٠ – ١٩٩٩.

(٣٤) أعلام مالقة: (١٠٦).

«المعروف بالكُتندي، يُكنى أبا بكر...» إلخ.

١٠ً – وعرّف الدكتور حسين مؤنس بالإمام الصّدفي في الحاشية (٢) من الجزء الثاني من الحلة السّيراء[٣٥]، وذكر استشهاده وقال[٣٦]:

«وقد تُوفّي أبو علي مستشهدًا في وقعة كُتَنْدَة (وتكتب أيضًا قُتَنْدَة)... انتهى.

١١ً – ووردت (كتندة) في كتاب الدكتور حسين مؤنس (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) [٣٧] وإلى جانبها: [٣٨] Cutanda.

والبلدة ما تزال قائمة، وتُعرَف بهذا الاسم الذي يُطابق النصّ العربيّ كما اشتهر في آثار الأندلسيين، ومَنْ زارهم.

فالمصادر الأندلسيّة، والمغربيّة ذكرت المدينة على وجهين:

- كُتَنْدَة (بالكاف).
- و قُتَنْدَة (بالقاف).

وضُبطت على وجهي قراءة الحرف الأَوّل هكذا بضم القاف أو الكاف، وفتح التاء.

....

(٣٥) الحلّة السيراء لابن الأبّار – تحقيق د. حسين مؤنس – نشر الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٣.

(٣٦) الحلة السيراء ٢: ١١٨.

(٣٧) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – د. حسين مؤنس – مطبعة معهد الدراسات الإسلامية – مدريد ١٣٨٦ – ١٩٦٧.

(٣٨) يُنظر ص (٢٦٢) و (٦٩٤).

المصادر والمراجع المشرقية:

١ً – في معجم البلدان[٣٩]: «قُتُنْدَة بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة...» إلخ.

٢ً – وفي مراصد الاطّلاع[٤٠] كلام مماثل.

٣ً – وفي تاج العروس «كتندة، لغة في قتندة بالأندلس» والنص في المطبعة الخيريّة بمصر ١٣٠٧هجرية مُهملٌ من الضبط بالشكل والحُروف.

– وفي تاج العَرُوس (ط الكويت ٩/ ٩٧) مضبوطة بالشكل كُتُنْدَة وقُتُنْدَة، دون الضبط بالحروف. ولم يبيّن في الحاشية الجهة التي اعتمد عليها المحقّق في ضبط الكلمة، وأظنّ المحقق ركنَ إلى ما في معجم البلدان[٤١].

٤ً – وفي سِيَر أعلام النُّبلاء (طبع مؤسسة الرسالة)

– في الجزء ١٩: «قُتَنْدَة» على الرسم الأندلسي.

– وفي الجزء ٢٠ «قُتُنْدَة»، بضمّتين.

٥ً – وفي الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٨٦) «كُتندة» بضبط الحرف الأوّل وَحْدَه. (طبعة دار صادر بيروت).

٦ً – ورسمها في بغية الوعاة بالكاف «كتندة» وجاءت مضبوطة بضمّتين:

---

(٣٩) مادّة (كتندة) في المعجم (طبعة دار صادر – بيروت).

(٤٠) مادّة (كتندة) في الكتاب (طبعة مصورة – بيروت ٣ أجزاء).

(٤١) [جاء في تاج العروس / ط الكويت، ج(٩/ ٨) النص الثاني: «وقُتُندة، بضمتين: بلد بالأندلس، وقعته مشهورة، ويُقال فيه بالكاف أيضًا».

وجاء في تاج العروس / ط الكويت ج(٩٧/٩) النص الثاني: «كُتُنْدةُ: لغةٌ في قُتُنْدة، بالأندلس». فقد ذكر صاحب التاج عند إيراده: قتندة، أنها بضمتين، فضبطها بالحروف] / المجلة.

الكُتْندي[٤٢].

٧ً – وفي الوافي بالوفيات[٤٣] ، ورد اسمُ الكتندي الشاعر هكذا:

«أبو بكر الكُتْندي: بضمّ الكاف والتاء ثالث الحروف وسكون النون وكسر الدال المهملة» [٤٤].

ونَخْرُج من هذا كلّه إلى ما يأتي:

١– اسم البلدة: كُتندة بالكاف أو قُتندة بالقاف. وقد ساغ نطقها بالرسمين لأنهما يحكيان الأصل القديم: Cutanda . وهو الرسم الحالي للبلدة أيضًا.

٢– ضبطت المصادر الأَنْدلُسيّة والمغربيّة الكلمة بضم الكاف وفتح التاء. وحقَّق ذلك المحققّون الذين أَخْرَجُوا عَددًا من المصادر الأندلسية والمغربية مثل: د. الأَهواني و د. مؤنس، ود. ضيف، ود. شريفة، ود. إحسان عباس، وابن أبي شنب.

٣– وأكثر الكُتب المشرقيّة على ضَبْط الكلمة بضم الكاف والتاء معًا.

٤– اخْتَرْتُ في هذا البحث، ضَبْطَ الأندلسيّن والمِغاربة، وتابَعْتُ المحققّين الذين نشروا تلك النُّصوص الأندلسيّة بضبطهم: كُتَنْدَة، هكذا.

٥– وأَعُدُّ ضَبْطَ الأَندلسيّن والمغاربة القُدامى، وتحقيق المختصين المعاصرين

(٤٢) بغية الوعاة (١/ ١٥٤).

(٤٣) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٢).

(٤٤) كان الصفدي في الوافي بالوفيات أوّل من ضبط الرسم بالحروف. ولم يذكر مصدره، ولا أعلم أحدًا قبل الصفدي أو بعده فعل ذلك.

[«وجاء ضبطه بالحروف في القاموس المحيط (القتاد) وفي تاج العروس (قتد)»]./ المجلة.

كافيًا. ولكنني أَستأنس أيضًا بقراءة حروف اسم البلدة بالقشتالية القديمة، والإسبانية الحديثة: Cutanda هكذا التي تؤدي إلى النّطق العربي: بضم الكاف وفتح التاء.

[٥]

حفظت كتُب التّراجم عددًا من أسماء أساتذة أبي بكر وشيُوخه ومن أسماء الذين أخذوا عنه، ورَوَوْا عنه، ومن أسماء أصحابه وأصدقائه من أهل الأدب والعلم، ومن ذوي المكانة الاجتماعية، وأعلام الشعر في زمانه، ونجد أحيانًا – مع هذه الأسماء – أخبارًا تضيفُ إلى ترجمة أبي بكر الكتندي، أو تقدم فوائد تُفصح عن جوانب من معالم شخصيته.

ومن أساتذته وشيوخه:

١– أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر محمد الخُشَني، من أهل مُرْسِيَة، سمع أبو بكر منه كتاب الملخّص وصحيح مسلم(٤٥)؛

٢– وأبو عبد الله خطّاب بن أحمد بن خَطّاب (فقيهٌ عالم) قرأ عليه الأدب(٤٦)؛

٣– وأبو بكر محمد بن عبد الله بن العربيّ، وكانت له رحلة إلى المشرق، وله المؤلفات المتنوعة في الأمور الشرقية والعربية والتاريخية وغيرها(٤٧)؛

٤– وأبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن أبي ركب، وقد كان إمامًا في صناعة العربية؛

(٤٥) المطرب من أشعار أهل المغرب: (٨١)، توفي بمرسية (٥٦٢).

(٤٦) المصدر السابق. وكانت وفاته قبل الثمانين وخمسمئة.

(٤٧) المصدر السابق؛ وفيه أنه عُرِف بالجزّار.

٥- وأبو إسحاق بن خَفاجة الأديب الشاعر المشهور، وقد قرأ عليه أبو بكر الكتندي نظمه ونثره في مُجلّدين(٤٨).

وفي شيوخه والذين روى عنهم: أبو الحسن يونس بن مغيث، وأبو القاسم بن أبي جمرة، وأبو الوليد بن الدبّاغ، وغيرهم.

وهذه الجمهرة من الأعلام يطول استقصاء أخبارهم وأحوالهم في عجالة كهذه المقدّمة، وهم يستوفون جوانب الثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت(٤٩).

وروى عن أبي بكر الكتندي جماعة فيهم: أبو سليمان وأبو محمد ابنا حوط الله، وأبو العباس أصبغ بن علي بن أبي العبّاس، وأبو علي حسن بن كسرى، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم الملاّحي(٥٠).

وهؤلاء – وآخرون سكتت عنهم المصادر، من تلامذة الكتندي والرواة عنه يمثّلون حلقة من حلقات المتابعة الأدبية والفكرية والدينية والثقافية. وقد كان أبو بكر الكتندي حلقة متوسطة بين جيل أساتذته وشيوخه، وجيل تلامذته والرواة عنه. ونقرأ في كتاب المغرب(٥١)، لابن سعيد الذي ظهر الكتاب باسمه(٥٢)، قال

(٤٨) المطرب: ٨١. وديوان ابن خفاجة ومجموعة من رسائله مطبوعة (من تحقيق د. السيّد مصطفى غازي – الإسكندرية – منشأة المعارف – ١٩٦٠).

(٤٩) يُنظر في أسماء شيوخه وأساتذته: الذيل والتكملة (٦/٣٤٩- ٣٥٠) والمطرب من= = أشعار أهل المغرب: (٨١) والمغرب (٢/١٥٤).

(٥٠) يُنظر الحاشية السابقة..

(٥١) المغرب (٢: ١٥٤).

(٥٢) معلوم أن الكتاب من صنعة عدد من أفراد أسرة بني سعيد لكنه انتهى وأُخرج على يد علي بن موسى بن سعيد الذي انتقل إلى المشرق زماناً طويلاً، ثم استقر في تونس. (تُنظر مقدمة د. شوقي ضيف على الكتاب).

والدي:

«هو من نبهاء شعراء عصره، وسكن غرناطة، وانتفع به من قرأ عليه من أهلها، ولازمها حتّى عُدّ من أهلها».

وكان في أصحاب أبي بكر الكتندي عدد من أدباء الأندلس فيهم: أبو جعفر بن سعيد، قال فيه ابن سعيد صاحب المغرب:

«هو عَمّ والدي، وأحد مصنّفي هذا الكتاب (يعني كتاب: المغرب في حلى المغرب، قال: وكان والدي كثير الإعجاب بشعره، مقدّمًا له على سائر أقاربه».

– وفي أصحاب أبي بكر: أبو الحسن بن نزار (حسيب وادي آش).

– وأبو عبد الله الرُّصافي: شاعر عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحِّدية(٥٣).

وكانت لقاءات الكُتندي مع أصحابه من الشعراء مجالاً للمذاكرات الشعرية ورواية الشعر، كما كانت مجالاً لِقِطَعٍ يرتجلُها أَحَدُهم، أو أكثر من واحد، وقد يَصْدُر عن المجموعة قصيدةٌ نظموها معًا – نظمًا جَماعيًّا – (ينظر مُلحق الشعر).

ويُذكر من أَسماء الأدباء، والشعراء، والكُتّاب، والعلماء الذين كانوا يَلْقَوْنَ الكتندي أو يَلْقاهم، وتدور بينهم أحاديث، وتُقام مجالس، ويُسَاجَلُ فيها بالشعر:

– أبو علي بن كسرى(٥٤).

– وأبو عِمران بن رزق(٥٥).

– وأبو الحسَن الوَقّشي(٥٦).

---

(٥٣) المغرب (٢/ ١٥٤).

(٥٤) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٥) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٦) يرد باسم (كنية) أبي الحسن، وأبي الحسين. ورَدَ فيهما في نفح الطيب (١/ ٤٧٣،

– والفقيه أبو القاسم بن عبد الواحد[٥٧].

[٦]

لم أَجد في شعر الكُتندي الباقي شيئًا من المدْحِ أو ما يُشبهه، وليسَ في أخباره إشارةٌ إلى مدح أحد رجال عصره. وإن كان هذان الجانبان لايَحْجُبَان ماغاب عنّا من شعره وأخباره؛ فقد يكون فعَلَ ذلك. ولكنّ الإشارة فيهما ذاتُ دلالةٍ واضحةٍ؛ وهو، لو مَدَحَ، لكان قريبًا من نهج ابنِ خفاجة الذي مدَح المرابطين وقد اسْتَشرفَ أن يكونوا المنقذين لحال الأندلس المتَرَدّية بأفعالِ مُلوك الطوائف وبظروفٍ أخرى. ونقرأ في ديوان ابن خفاجة[٥٨]، في مقدمته التي صنعها بنفسه كما رتّب ديوانه بنفسه، بعد الإشادة بالأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين:

«ولما دخَل جزيرة أَندلس... تعيّن أن أَفِدَ عليه مهنّئًا بالولاية مسلّمًا، وأغشى بِساطه الرّفيع موفيًّا حقّ الطاعة مُعظّمًا، فما لبثَ أنْ رفعَ وأَسْنى، واصطنع فأَدنى... فعطفتُ هنالكَ على نَظْمِ القَوافي عناني، وسننتها عند ذلك حُللاً على مَعَاطِف سلطاني: مصطنعًا لا منتجعًا، ومستميلاً لا مُسْتَنيلاً، اكتفاءً بما في يدي من عَطايا منّان، وعوارف جوادٍ وَهّاب، خَلق فأَبْدَع، ورزق فتبرّع...».

٤٧٤) ومواضع أخرى.

– وذكره ابن سعيد (١/ ٢٢٥) باسم: أبي الحسين الوَقّشي. والوقّشي هذه نسبة إلى بلدة «وَقّش» بالأندلس.

– في أعلام مالقة (١٠٩) «... أنشدنا أبو الحسن الوقّشي قال أنشدنا أبو بكر الكتندي، وأمر أن تُكتَب على قبره رحمه الله (الأبيات)...». انظرها في مجموعه الشعري فيما يأتي.

(٥٧) أعلام مالقة (١٠٦).

(٥٨) ديوان ابن خفاجة (٧– ٨).

ومن هنا اختلطت قصائد المديح عند ابن خفاجة بالإخوانيّات[٥٩].

وأُستاذ أبي بكر الكتندي في الأدب عامة والشعر خاصّة كان أبا إسحاق ابن خفاجَة الذي تحدّث بنفسه في ديوانه عن التفاته إلى الطبيعة وخصوصًا في بلدته شُقْر[٦٠]، ومحيطها من منطقة بلنسية بشرقيّ الأندلس.

وتحدّث د. إحسان عباس عن وَصْف الطبيعة في الأندلس قبل ابن خفاجة، وعن أثره في هذا الغرض في الأندلس، وفي الأدب العربي عامة[٦١]، فقد زاد ابن خفاجة في هذا الموضوع: في التشخيص وفي الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة[٦٢] واعتمد وسائل فنية جديدة متصلة بملكات خاصة لديه... وربط الطبيعة بكل موضوع، وجعلها المتكأ الذي يستند إليه القول الشعري عامّة...»[٦٣] ثم قال: إن ابن خفاجة كان يرى الطبيعة في إطار الغناء، وضمّن إحساسه بالتغيّر، وحسّه الدقيق بالصراع بينه وبين الزّمن[٦٤].

(٥٩) ابن خفاجة: محمّد رضوان الدّاية: الطبعة الثانية – فقرة (المديح) في أغراض شعر ابن خفاجة.

(٦٠) شُقْر (Jucar) تنطق اليوم هكذا: خوكار، تبعد عن بلنسية نحو ١٨ ميلاً. وتقع على نهر يسمّى نهر شُقر، فإذا وصل إليها انقسم قسمين فصارت المدينة كالجزيرة بين الفرعين. وهي في منطقة زراعية حراجيّة من أجمل بلاد الأندلس، وهي بلدة ابن خفاجة، وقد خلّدها في شعره بقصائد ومقطعات (الروض المعطار (٣٤)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٤) وفيه: شَقر بفتح الشين، وهو خطأ ظاهر.

(٦١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤) وما بعدها.

(٦٢) انظر تلمذة أبي بكر الكتندي على ابن خفاجة – على سبيل المثال – القطعة ذات الرقم (١٣) من مجموع شعره (القسم الثاني من هذا البحث).

(٦٣) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤ – ٢٠٥).

(٦٤) المرجع السابق.

وقد قال د. فرّوخ إن ابن خفاجة برع خاصّة في وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن(٦٥).

وأهم موضوع في ديوان ابن خفاجة كما قدّر د. شوقي ضيف(٦٦) وهو موضوع استنْفدَ أكثر شعره، واشتهر به فهو وصف الطبيعة.

وقد مرّ ذكر ابن خفاجة في كتب الأدب الأندلسي مدرسيّةً وجامعيّة وعامّة. ومن ذلك فصل خاص عنه في كتاب (في الأدب الأندلسي) (٦٧).

وأفردتُ ابن خفاجة بكتاب مستقل، صدر بعنوان (ابن خفاجة) (٦٨).

وقد أطلق عليه الأندلسيون لقب جَنّان الأندلس أو الجَنّان أي البستاني لكثرة وصفه الطبيعة ولاستغراقه فيها.

وإذا تركنا أُستاذه ابن خفاجة (زعيم هذ المذهب ومؤصّل أصوله وفُروعه) وقفنا عند شاعر آخرَ كبير من أتباع المذهب الخَفاجيّ، ومن أصدقاء الكُتندي المخلصين: الرّصافي البلنسي؛ وآنسنا منه قريبًا ممّا آنسنا من ابن خفاجة، ونقرأ للدكتور إحسان عباس عنهما: «كلاهما رحّب بِمَقْدَم دولةٍ جديدة: رحّب ابن خفاجة بِمقدم المرَابطين ومدَح أُمراءهم، ورَحّب الرّصافي بمقدم الموحّدين ومدح بعض أمرائهم ثم نفى عن نفسِه كلَّ ذلك، وعاش قانعًا بِحرفه الرّفو... (٦٩)».

(٦٥) تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١٨ – ٢١٩).

(٦٦) عصر الدول والإمارات: الأندلس (٣١٨ – ٣١٩).

(٦٧) في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – ط٢.

(٦٨) ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – الطبعة الثانية بدار قتيبة – دمشق.

(٦٩) ديوان الرّصافي البلنسي ط١: ص١١.

– والمقصود رفو الثياب، وصاحبها: رَفَّاء. وكان الرُّصافي البلنسي يلقّب بالرفّاء. فهو الرّفاء الأَندلسي في مقابلة السّرِيّ الرفّاء الموْصِليّ (المشرقي).

وكان من أتباع المذهب الخفاجي في هذه المدّة ابن الزقّاق البلنسي[٧٠]، والرصافي البلنسي[٧١]، وأبو المطرّف بن عميرة المخزومي[٧٢]، وأبو بكر الكتندي[٧٣] وغيرهم.

واستمرّ هذا التيار في الأَجيال التّالية في الأَنْدلس.

....

[٦/أ]

يظهرُ لقارئ شعرِ الكُتندي الباقي التفاتُه إلى الطبيعةِ واستغراقه فيها فَنيًّا ووُجدانيًّا. فوصَف الطّبيعة الحُرَّة، ووصفَ مشاهِدَ صناعيّة تلفتُ الانتباه، وتسترعي النظر.

– ومن شعره الوصفيّ قولُه الممزوج بالانفعال الوُجْداني[٧٤]:

يا نَهْرَ إشْنِيْلٍ أَلا عَوْدَةٌ لذلك العَهْدِ ولو في المنامْ؟
ماكان إلاَّ بارقًا خاطِفًا مازلتُ مُذْ فارقني في ظلامْ!
لله يومٌ منه لم أَنْسَهُ وذكر ما أَولاهُ أَوْلى ذِمَامْ
إِذْ هندُ غُصْنٌ بين أَغْصَانِها كالدَّوْحِ يَثْنيهِ هَدِيلُ الحمَامْ

فالشّاعر يتَحدّثُ عن نَهْرِ «إشنيل» وذكرياته في غَرْناطة؛ تلك الذّكريات

(٧٠) صدر ديوانه في دار الثقافة – بيروت بتحقيق عفيفة ديراني.

(٧١) جمع شعره د. إحسان عباس، وطُبع في دار الثقافة – بيروت.

(٧٢) نشر رسائله وشعره الباقي د. محمد بن شريفة في الرباط في كتابه (أبو المطرّف بن عميرة المخزومي).

(٧٣) ها نحن أولاء نجمع شعره، ونقدِّم له بهذه الدراسة.

(٧٤) انظر القطعة (٢١) من شعر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

التي كانت طيّبةً مُعجبةً، فمرّت عَجْلى سريعة، ويصف لنا مكانَها في نفسه؛ ويعرّج على تتمة المشهد: الأَرض الطيبة والماء العذب والحبيبة الجميلة... ويُعَبّر عن صورة جمالها بكونها – فيما يرى – جزءًا من تلك الطّبيعة المعجبة...

وهذا يذكّرنا بابن خفاجة، كقوله مثلاً في صِفَةِ فتاة[٧٥]:

وَضحَتْ سَوالفُ جِيدها سُوْسَانةً وتَورَّدتْ أَطرافُها عُنّابا

– وله وصفٌ طريفٌ لحوضٍ نُحاسيٍّ عليه أَربعةُ أُسودٍ نُحاسيّة أيضًا ينصبُّ منها الماء، قال[٧٦]:

انظُرْ إلى الماءِ وانْصِبَابِهْ يَجْرِي مِنَ أفْواهِ أُسْدِ غابِهْ

أزرق يَنْسَابُ ذا حَبابٍ كأنَّهُ الأيْمُ في انسيابِهْ

....

[٦/ب]

ومن الامتزاج بالطبيعة الأندلسيّة المتميّزة والالتفات إلى الذات، وارتباط المكان بالزمان نقرأ نصًّا حسنًا جدًّا ينزعُ مَنْزِعًا غَريبًا نألَفُ مثله – كثيرًا – عند شُعراء المذهب الخفاجي، وهو قصيدةٌ قصيرة، أو قطعةٌ من ستّة أَبيات، يقف فيها الشاعر عند شجرةٍ قديمةٍ في الحَيّ الذي نَشأ فيه، ويجري حوارٌ من طرف واحدٍ شديد التّعبير عن نفسِ الشاعر، وحاله، ومكنوناته الداخليّة؛ قال[٧٧]:

يا سَرْحَةَ الحَيّ يا مَطُولُ شرح الذي بيننا يطولُ

عندي مقَالٌ فهلْ مقامٌ تُصغين فيه لما أقول؟

(٧٥) انظر النصّ والتعليق عليه في (ابن خفاجة) (٥٩).

(٧٦) انظر القطعة (٥) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

(٧٧) القطعة (١٣) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذ البحث).

ولي دُيونٌ عليكِ حَلَّتْ لَو أَنه يُنْفَعُ الحُلولُ...
ماضٍ من العَيْشِ كان فيه مَلْبَسَنا ظِلُّك الظليلُ
زالَ.. وماذا عليكِ ماذا يا سَرْحُ لو لَمْ يكنْ يَزول؟..

ويختم الشاعر القطعة بالدعاء لتلك السَّرحة التي استظلَّ بها زمانًا، وحملَتْ من نفسِه ومشاعره مثلما حملَتْ من أَخباره وأسراره... إنّها صورةٌ مُصَغَّرة جِدًّا (مكروفلم) من قِصّةِ حياة!...

ولا نجدُ في الباقي من شعر الكُتندي أَثرًا لشعر نتوقّعُ وجوده في ديوانه القديم من مُعالجة الأَحوال العامّة، أو الإشارة إلى حادثةٍ من الحَوادث التي كانت تشغل الناس وتقضّ مضاجعهم أحيانًا من الفتن والثورات وحركات المتوثّبين. وإذا كُنا رجّحنا عدمَ انغماس الكُتندي في المِدْح (على القياس والتّغليب) فإنّ وجود شعر المدح قد ينفع في رسم صورة علاقة الشّاعر بالدّنيا السياسية من حوله. لكنّ الشعور الوطني الذي يستظلُّ وراءَ «الطبيعة» و «المكان» في شعره يَشي بنوعٍ من الارتباط بالأرض والاستظلال بظلالٍ يتناوبُ فيها الخوف والأمن، والاضطراب والاستقرار. وممّا يُسْألُ عنه من الشعر في ديوان الكتندي الضّائع ما يمكن أن يكون نَظَمه في المعارك مع الدّول المعادية، والحثّ على الجهاد والمقاومة، وحفظ الوطن وأهله.

[٦/ج]

والوتر الدّيني الإسلامي صَدّاحٌ في قلبه كما هو في لسانه؛ ومن هنا نجده يتعّظُ من بارق الشّيب، وينظم أبياتًا لتُنقش على قبره عند وفاته، ويربط الوعظ بالوازع الديني... وقبل هذ كلّه ينظم في مدح رسول الله ﷺ، قال — مثلاً —:

أَنْتَ الغنيُّ وإنّ الفقْرَ بَرَّح بي فأَغْنِنِي بالغِنى المغني عن النَّشَبِ

إن تدركني[٧٨] بِرُحْمى لم أخَفْ دَرَكًا وإن تكلني إلى نفسي فيا نَشَبِي!

وقال:

لأمرٍ ما بكيتُ وهاجَ شوقي وقد سَجَعَتْ على الأيْكِ الحَمَامُ

لأنَّ بياضَها كبياضِ شَيْبي فمعنى شَدْوِهَا «قَرُبَ الحِمامُ»!..

– والحِمام بكسر الحاء هو الموت.

....

هذا الشّاعر الذي يُعَدُّ حَبّةً في عقدِ المذهب الخفَاجي، شاعرٌ له شخصيّته أيضًا، ورؤيتُه الفَنّية، وأُسلوبُه، فإنه يرجّح رشاقة العبارة، كلّما رأى ذلك مُناسبًا، على الجَزالة، ويُؤثر طَرافةَ الفكرة وبساطتها على عُمقها وفلسفتها: مع المحافَظة على أَساسيّات الخفاجيّة التي صارت جزءًا من العملية الفنيّة عند هؤلاء الشعراء.

ويستطيع قارئ الباقي من شعر الكُتندي أن يُضيفَ إلى طبيعة شخصيّته، وملامحها الجانبَ المرِحَ في حركة الحياة، على رغم الظروف الصّعبة التي كانت تمُرُّ بها البلادُ جميعًا في مُعظم سنوات حياته.

(٧٨) انظر قراءة الكلمة وسياقَ الشّعر في النصّ المحقق، في القسم الثاني (التالي)، الرقم [٤].

(القسم الثاني)
شِعْرُ أبي بَكر الكُتندي الأَندلسي*

[١]

نقَلَ صاحِبُ أعلام مالقة[٧٩]، «من خطّ أبي عمرو بن سالم قال: أَنشدني صَاحِبُنا الفقيه أَبو عليّ بن كِسْرى[٨٠]، مِمَّا ارْتَجَلَ أبو عبد الله الرُّصافي[٨١]، بحضرة أبي بكر الكُتندي الكاتب رحمه الله في صَنَوْبَرةٍ قد صُنِعَتْ من نحاس، وثقبت جوانبها، وركّبت في وسط مُستدير ماءٍ في بُستان أبي عِمران المذكور[٨٢]، فقال فيها أبو عبد الله الرّصافي — رحمه الله — هذه الأَبيات: [من المتقارب]

ورَوْضٍ جَلا صَدأَ العَيْنِ بِهْ أُزَيْرِقُ يَطْفُو على مَشْرَبِهْ[٨٣]
صَنوبرةٌ رُكّبتْ ساقُها إليهِ فَخَاضَتْ حَشَا مَذْنَبِهْ
فَشَبَّهْتُها وأَنابِيْبَها – بها الماءُ قد جَدّ في مَسْكَبِهْ –
بِأَرْقَمَ كَعَّكَ مِنْ شَخْصِهِ وأَفراخُهُ يَتَعلَّقْنَ بِهْ[٨٤]

(*) جمعه كاتب المقال وراجعه وشرحه.

(٧٩) أعلام مالقة (٩).

(٨٠) سيرد تعريف به فيما يأتي.

(٨١) هو الشاعر المشهور بالرُّصافي البلنسي (له ذكر في حواشي المجموع).

(٨٢) أبو عمران موسى بن رزق.

(٨٣) الشعر في أعلام مالقة (٢٠٩).

(٨٤) الكعك معروف، يقال إنَّه مُعَرّب. ولما كان الكعكُ كثيرًا مايكونُ مُدَوّرًا، وأَشهر نوع: مُستدير (من عجينةٍ طولانيّةٍ ضمّ طرفاها فنضجت وهي مُدَوّرة) فمن هنا اشتقّ الشاعر من الكلمة وقال كَعَّك، أي: اتّخذ شكلَ الكَعْكَةِ استدارةً؛ وهو توليد،= =واشتقاق من الجوامد

ولأبي بكر الكُتنْدي فيها[٨٥]: [من الطويل]

صَنَوْبَرَةٌ لم يُوجِدِ الكونُ مِثْلَها حُلِيَّ بسَاتينٍ وريْقَ مذَانبِ[٨٦]

حَوَتْ ذائبًا من طَعْمِها خَرْقَ عادَةٍ فَسال يَنابيعًا على كُلِّ جَانِبِ[٨٧]

يُضَاهي الثُّرَيَّا شَكْلُهَا واجْتِمَاعُها لَوَ انَّ الثريّا [عارَضَتْهَا] بِذَائبِ[٨٨]

على منهج عربي صحيح.

– وبالمناسبة فإنهم في اللهجة الدارجة في الشام يقولون ((كَعْوَك)) بدلاً من كَعّك. جاؤوا بفَعْوَل بدلاً من فَعّل.

– والأَرْقَم من الحيّات مافيه سواد وبياض، أو رُقِمَ بسوادٍ وحُمرة أو كُدرة أو بُغثة؛ والأنثى: رقشاء (لايُقال رقماء).

– (وانظر تاج العروس: ر ق م).

(٨٥) أعلام مالقة (٢٠٩)، وأدباء مالقة (٢٠٢). (والشعر متابعة لوصف تلك الصنوبرة المصنوعة).

(٨٦) المذانب جمع المذنب: مسيل الماء إلى الأرض.

– ونوّن الشاعر ((بساتين)) ضرورةً.

(٨٧) في أدباء مالقة: دائبًا... خَرق عادةٍ.. وفي ((ينابيع)) مُنَوّنةً ضرورة شعرية.

(٨٨) في أُدباء مالقة: ((فراغ بمقدار كلمة واحدة)). واقْتَرَح في أَعلام مالقة وضع عبارة: ((قد حَكَتْها)). واقترحتُ أنا عبارة: ((عارَضَتْها)). ومعنى عارَضَ فلانٌ فلانًا (أو عارضَ شيءٌ شيئًا): باراهُ وأتى بمثل ماأَتى به، يُقال: عارَضَهُ في الشِعْرِ، وعارضه في السَّيْرِ، وعارَضَهُ بِمِثلِ صنيعه. (من الوسيط).

– وقد عادَ الرُّصافي البلنسي إلى هذه الصّنوبرة فوصَفَها في قطعتين؛ فقال: [من البسيط]

لم أَنْسَ ماراقَ عيني من صَنَوْبَرَةٍ لها مع الماءِ حالٌ غير مَحْلُول

تعبُّ فيها لجينها فتنفخه أعطافها مثل أشطار الخلاخيل

– وقال: [من مخلّع البسيط]

[٢]

وقال يخاطبُ الرُّصَافي البَلَنْسِيّ الشاعر[٨٩]: [من الطويل]

غَلَبْنَاكَ عَمّا رُمْتَهُ يا ابْنَ غالِبٍ بِرَاحٍ ورَيْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ!

[٣]

وقال في معنى الغَزل[٩٠]: [من البسيط]

يا نُخْبَة الظَّرْفِ بل يا نُخْبَةَ الأدَبِ [ما] للهوى غَيْرُ ذاكَ الحُسْنِ مِن سَبَبِ[٩١]

البَدْرَ أَطْلَعْتَ مِنْ قَدٍّ على غُصُنٍ مَتَى ظَفِرْتَ بِأَفْلاَكٍ من القُضُبِ؟

[٤]

وقال في الزُّهد[٩٢]: [من البسيط]

وجدول كاللُّجَيْنِ سائلْ صافي الحَشَا أزرق الغَلائلْ

عليهِ شكلٌ صَنَوْبَرِيٌّ يفتلُ من مائهِ خَلاخِلْ!

(٨٩) ورد البيتُ في سياق خبره: انظره في المُلْحَقِ بشعر الكُتَنْدِي [ختام الملحق١].

– والبيت في النّفح (٣/ ٥١٤).

(٩٠) النّص في أعلام مالقة (١٠٦– ١٠٧) وأدباء مالقة (٨٦).

– وردت القطعةُ بعد قطعة في الغَزل داليّة، تجدها في موضعها من هذا المجموع الشّعري، أوّلُها [الرقم٨]:

ومُهَفْهَفٍ هزّ الحسامَ ورُبّما فَلّتْ لواحِظُهُ مَضارِبَ حَدِّهِ

وقال مؤلّف أعلام مالقة في التّقديم لها: «قال شيخنا أبو القاسم، وهو ممّا ارْتجل فيه...».

(٩١) في الشّطر الثاني نقصٌ؛ اقترَحَ له في أَعلام مالقة: [هل] للهوى...؛ واقْتَرَح في أُدباء مالقة: [ما] للهوى.

– ورجّحتُ «ما للهوى» وهي قراءةٌ اقْتَرَحَها الأُستاذ المنوني رحمه الله نبّه محقّق أعلام مالقة في الحاشية (٤) على هذا.

(٩٢) النص في أعلام مالقة (١٠٧)؛ وفي أدباء مالقة (٨٧).

أَنْتَ الغَنِيُّ وإنَّ الفَقْرَ بَرَّح بي فأَغْنِنِي بالغِنى المُغْنِي عَنِ [النَّشَبِ] (٩٣)
إن تَدَّرِكْنِيْ بِرُحْمى لم أَخَفْ دَرَكًا وإنْ تَكِلْني إلى نَفْسِي فيا نَشَبِي! (٩٤)

[٥]

قال صاحِبُ أعلام مالقة(٩٥): فمن شعره (الكُتندي) ماحدّثني به الفقيهُ أبو القاسم بن عبد الواحد – رحمه الله – وذلك في قوله يصفُ صفيحة نُحاسٍ عليها أُسُودُ نحاسٍ أربعة: [من مخلّع البسيط]

(٩٣) آخر كلمة من الشطر الثاني ناقصة من المخطوطة. واقْتَرَحَ لها في أعلام مالقة كلمة: [الوَصَب]؛ ومعناها: الوَجع والمرض، أو التعب والفتُور في البَدَن. واقْتَرَحَ لها في أُدَباء مالقة: [التّعب] ومعناها ظاهر.

– قلت: اجْتِهادُ المحقّقين الفاضلين يناسِبُ الوزن والقافِية، ولكنه لا يوافِقُ المعنى المراد. فالشّاعر يُمَجّد الله تعالى باسمٍ من أسمائه الحُسنى وهو «الغَنِيّ» ويَسْألُ الغِنى من فضله، وأن يَتَداركه برحمته.

– واقترحت كلمة (النَّشب) لسببين:

أحدهما: أَنَّ النّشب موافقة للمعنى المراد، **والنَّشَب هو المال**.

والثّاني: أنَّ وضع النّشب في القافية يُوافق غرَضًا بديعيًّا كان شائعًا هو التّجنيس: تجنيس القَوافي. فالنّشَبُ الأُولى: المال الأَصيلُ من ناطقٍ وصامت (أموال مَنْقُولة وغير منقولة)، والنشب الثّانية من قولهم: نشب في الشّيء: وقع في ما لا مَخْلَصَ منه!

– وفي الشّعر اقتباس من الحديث الشريف «من حديث الدعاء: ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِك»: (النهاية: وكـ ل).

(٩٤) في أعلام مالقة: «إن تدّركني بِرُحْمى». وفي أُدباء مالقة: «إن تُدْرِكَنّي» (لاحظ وضع الشدّة واختلاف العبارة).

(٩٥) أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

انْظُرْ إلى الماءِ وانْصِبَابِهْ يَجْرِي مِنَ افْواهِ أُسْدِ غابِهْ[٩٦]
أَزْرَقُ يَنْسابُ ذا حَبابٍ كأَنَّهُ الأَيْمُ في انْسِيَابِهْ[٩٧]
فاعْجَبْ لِمَرْأًى يَرُوْعُ لكنْ قد زَادَ أَنّا مَحَلُّنا بِهْ[٩٨]
مِنْ كُلّ ليثٍ إزاءَ لَيْثٍ يَمُجُّ رَقْطاءَ مِنْ لُعابِهْ[٩٩]
أَمْنُكَ من أَنْفِ ذي، وفِيها [أَمْنُكَ] مِنْ ظُفْرِ ذَا ونابِهْ![١٠٠]

[٦]

كانت الشّاعرة حَفْصَة بنتُ الحاجّ الرَّكُونِيَّة[١٠١]، في مجلس أبي جعفر ابن

(٩٦) «مِنَ افواه» بنقل حركة همزة أَفْواه إلى النّون، لتصبح للضرورة كهمزة الوَصْل.

(٩٧) الحَبابُ: مايطفو على سطح الماء المضطرب، وبعض أنواع الشراب.

– والأَيْمُ: الحَيّةُ الذكر. يشبّهون الماء في السّواقي والجداول منسابًا، بانسياب الحيّة، وحركتها في «مشيها».

(٩٨) يُقال: راع الشّيءُ فلانًا: أَعْجَبَهُ، وراعني جمالها؛ فهي رائعة.

(٩٩) الرّقطاء: نوع من الحيّات به رُقْطة (وتُقال في العِظَاء والمرَاد هنا الأَفعى)، وهي التي على جلدها بُقَعٌ ونقط. يقول: إنّ الماء المنسكب من أفواه الأُسود يشكّلُ صورة الأفاعي (وجعلها من الأفاعي الرُّقط).

(١٠٠) الكلمة الأُولى من الشّطر الثاني في أعلام مالقة: «آمَنُ»، وهي في أدباء مالقة: «أَمْنًا». وقرأتُها على التوهّم — فليست المخطوطة بين يدي — على الوجه المثبت لأنّ المعنى مناسبٌ لها يقول: إنها أُسودٌ تَرْسُم من الماء المتدفّق منها أفاعيَ وحَيّات. وكلا النوعين خَطِرٌ، قاتلٌ؛ والإنسان لا يأمَنُهما معًا. ثم قال: أَمْنُكَ من أَنياب الأَفاعي وسُمّها (الأنف والفم في الشعر) كأَمنكَ من أَظفار الأُسود وأنيابها. وفي البيت تشبيه طريف. ووجه الشّبه فقدان الأَمان منهما للإنسان!

(١٠١) من أهل غرناطة، وصَفَها في الإحاطة بأنّها فريدة زَمانها في الحُسْنِ والظَّرف والأدَب واللّوذعية، وأنّها أَديبةٌ نبيلةٌ جيّدة البديهة، سريعةُ الشعر، ولها مساجلات= =مدوّنةٌ مع عدد

عبد الملك بن سعيد[١٠٢] (عم والد الأَديب المشهور ابن سعيد صاحب المغرب وغيره) وكان أديبًا شاعرًا، وبينه وبين حفصة مساجلات، وكان بينهما مودّةٌ اشتهرت. وحضر أبو بكر الكُتندي في ذلك الوقت وعَلِمَ بوجودِ حَفْصَة، فبعث إلى أبي جعفر بن سعيد برقعةٍ فيها هذه القطعة، نظمها على البديهة[١٠٣]: [من الطويل]

أبا جَعْفَرٍ يا ابْنَ الكرامِ الأماجِدِ خَلَوْتَ بِمَنْ تَهْوَاهُ رَغْمًا لِحَاسِدِ
فهل لكَ في خِلٍّ قَنُوعٍ مُهَذّبٍ كَتُومٍ عليمٍ باختفاءِ المراصدِ؟
يبيتُ إذ يخلُو المحبُّ بِحبِّهِ مُمَتَّعَ لذّاتٍ بخمسٍ ولائدِ!!

فقرأها أبو جعفر على حفصة، فقالت: لعنه الله! قد سَمِعْنا بالوَارِشِ على الطعام[١٠٤] والواغِل على الشراب[١٠٥]، ولم نسمع اسمًا لمن يعلم باجتماع محبّين

من شعراء العصر. توفيت سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وخمسمئة.
المطرب (٢١٠)، والمغرب (٢/ ١٣٨)، ورايات المبرّزين (١٦١)، والإحاطة (١/ ٤٩١)، والمقتضب من تحفة القادم (١٦٧)، ونفح الطيب (٤/ ١٧١) ومواضع أُخر، ومعجم الأدباء (١٠/ ٢١٩).

(١٠٢) أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد، من أهل السّياسة والإدارة. كاتب أديب وشاعر بارع، ممّن تابعوا في الأندلس خَطّ النّزعة الخفاجيّة. وفي شعره الباقي جانب يشبه منزع ابن زيدون في ولاّدة (مع حفصة الركونية). شارَكَ في دعوة محمد بن مردنيش المضادَّة للموحّدين (حكام الأندلس والمغرب) وقتل في تلك الحركة سنة ٥٥٩ وكان له ديوان شعر.
المغرب في حُلى المغرب (٢/ ١٦٤)، ورايات المبرّزين (١٧٠)، والإحاطة (١/ ٢١٦)، ونفح الطيب (٣/ ٥١٣).

(١٠٣) يدخل الخبر والشعر في مساجلاتهم وفي مساحة الحريّة الواسعة في أيّامهم.

(١٠٤) الوارش اسمٌ يُطلق على الذي يَرِشُ (والماضي وَرَش) أي يَدْخُل على قومٍ = =يأكلون ولم يُدْعَ، ليأخذَ نصيبًا من طعامهم (ويأكل معهم).

فيروم الدخول عليهما! فقال لها بالله سمّيه لنا لنكتب له بذلك! فقالت: أُسَمّيه **الحائل**[١٠٦]، لأنه يحول بيني وبينك إنْ وقعت عيني عليه. فكتب له في ظهر رُقْعتِهِ: [من المجتثّ]

يا مَنْ إذا ما أتَاني ... جَعَلْتُه نُصْبَ عيني
تُراكَ تَرْضى جُلوسًا ... بينَ الحبيب وبيني؟
إن كانَ ذاكَ فمَاذا ... تَبْغِي سِوى قُرْبِ حَيْني؟[١٠٧]
والآنَ قد حَصَلتْ لي ... بَعْدَ المِطالِ بِدَيْني
فإنْ أَتيْتَ، فدَفْعًا ... منها بكلتا اليَدَيْنِ
أو لَيْسَ تَبْغِي وحَاشا.. .. كَ أنْ تُرى طَيْرَ بَيْنِ[١٠٨]
وفي مَبِيْتك بالخَمْ.. .. سِ كُلّ قُبْحٍ وشَيْن
فليسَ حقُّكَ إلاَّ الْ.. .. خُلُوّ بالقَمَرَيْنِ!

– وكتب له تَحْت ذلك ماكانَ منها من الكلام، وذَيّل ذلك بقوله: [من مجزوء الكامل]

(١٠٥) الواغل اسم من وغل على القوم في شرابهم: دخل عليهم فشرب معهم دون أن يُدعى.

(١٠٦) الحائل: فاعل من حال يحولُ: بمعنى حَجز ومَنَعَ. اسمٌ اقْتَرَحَتْهُ حفصة لهذا الداخل على اجتماع قومٍ لم يُدْعَ إليه. وخصّت لِقاء مُحِبَّين أو صديقين؛ فهو يحول بينهما وبين الحديث الصّريح، أو هو يُفسدُ عليهما بدخولِه لقاءهما!.. والأمر كُلّه مركّبٌ على الدُّعابة، والمُمَاسَطة الشّعرية؛ وفي حُريّة القول، وطَرافة الموقف.

(١٠٧) الحَيْنُ: الموتُ والهَلاك.

(١٠٨) الغُراب، ويُقالُ فيه غُراب البَيْن، لأنَّ وقوعه في الدّيار يكثُر حين يُسَافر أهلها ويغادرونها. فاقْترن طُروءُ الغُراب (الذي في المدن والأَرياف) بالبَيْن والفِراق.

سَمّاكَ مَنْ أَهواكَ (حائلْ) إِنْ كنتَ بَعْدَ العَتْبِ واصِلْ
مَع أَنَّ لونَكَ مُزعِجٌ لو كنتَ تُحْبَسُ بالسَّلاسِلْ!

وللخبر بقيّة تخرجُ عن سِيَاق هذه الدّراسة.

[٧]

وقال في النَّارَنْج(١٠٩): [من السّريع]

انظُرْ إلى النَّارنج مُسْتَغْرِبًا فَما عَلَى إِغْرَابِهِ من مَزِيدْ(١١٠)
أَلَّفَتِ الضِّدَّيْنِ أَشْجارُهَا وذَاكَ من أَغْرَبِ مافي الوجودْ! (١١١)

[٨]

وقال [في غرض الغزل](١١٢): [من الكامل]

(١٠٩) النص في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة: (٨٧).

(١١٠) النّارنج (في التعريف العلمي): شجرةٌ مثمرةٌ من الفصيلة السّذابية دائمة الخضرة تسمو (ترتفع) بضعة أمتار. أوراقها جلدية خضر لامعة، لها رائحة عطريّة، وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر في الربيع. والثمرة لبيّة تُعرف كذلك بالنَّارَنْج: عصارتها حمضية مُرّة. وتُستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر، وفي زيت طيّار يستعمل في العطور. وقشرة الثمرة تُستعمل دواءً، أو في عمل المربّيات (الوسيط). وانظر أيضًا الموسوعة في علوم الطبيعة.

– كلمة «مِنْ» في الشطر الثاني غير ظاهرة في المخطوطة، واقترحها المحققان معًا.

(١١١) وجهُ الغَرابة، في الملمح الشعري، كما نَبّه الشاعر هو اجتماع الماء في ثمرة النّارنج وهو عصيرُها؛ والنّار (على التشبيه). فَحُمْرَةُ النارنج كالنار لكنها تحمل الماء. وفي هذا جمع (شعريّ) بين ضِدَّين.

(١١٢) النص في أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

ومُهَفْهفٍ هَزّ الحُسامَ ورُبَّما فَلَّتْ لَواحِظُهُ مَضَارِبَ حَدِّهِ[١١٣]
حَيّا فبالغَ في تحيّتِهِ، وقَدْ أَبْدى الحيَاءُ تَوَرُّدًا في خَدِّهِ
فسألْتُ ماهذا؟ فقالَ مُجَاوِبًا: أَنَسِيْتَ نَيْسَانًا ويانِعَ وَرْدِهِ؟[١١٤]
لاتُنكروه مِنْ دَمٍ أُهَرِيْقُهُ بِلحاظِ مَنْ سَاوَرْتُ منه بودّه[١١٥]
الوَرْدُ خَدّي والمهَنّد ناظِري ودمُ المحِبِّ هَدِيَّةٌ مِن عِنْدِهِ!..

[٩]

قال صاحب أعلام مالقة:

وَحدّثني[١١٦] الأديب أبو علي بن كسرى[١١٧] قال:

(١١٣) في أدباء مالقة: قدّ الحسام.

(١١٤) شهر نيسان (شهر إبريل) وهو الرّابع من شهور السنة الشمسية. أَورده الشاعر لأنه من شهور الرّبيع، وفيه يبلغ إزهار الأزهار والأَوراد والزنابق والأعشاب العطرية مَبْلغًا عظيمًا.

(١١٥) الشطر الثاني في أعلام مالقة كما أثبت. وهو في أدباء مالقة:

((بلواحظ من ساورت تردّده))

– وقال في الحاشية: ((كذا في الأصل؛ وقد وضع الناسخ إزاء البيت علامةً على وجود خلل في البيت)) انتهى.

– وفي أعلام مالقة الحاشية ٣و ٤: يرد (شطر البيت) في الأصل (أ) بهذه الصفة: ((بلواحظ من ساورته تودّده)). ونبه على مازاده في الشطر ليستقيم الوزن والنصّ. وفي رسم البيت وقراءته نظر.

(١١٦) النص في أعلام مالقة (١٠٨)، وأُدباء مالقة (٨٨).

(١١٧) أبو علي بن كسرى هو الحسَن بن علي المشهور بابن كِسرى. تَرجم له ابنُ الأبّار في التّكملة (مصر)، وفي تُحفة القادم؛ وذكره المقَّريّ في نفح الطيب. وهو من شرط كتاب أعلام مالقة، وقد ورد ذكره كثيرًا في صفحات الكتاب. لكن ترجمته في الجزء= =المفقود منه.

دَخَلْتُ يومًا بُستان الوزير أَبي عِمران بن رزق[١١٨]، فوجدتُ أبا بكر الكُتندي وفي يده إناءٌ قد ملأه ماءً وهو يسقي به أَصْلَ بَهارٍ[١١٩] قد ظهرت فيه نَوَّارةٌ في غير أَوانها، عجبتُ مِنْ كَلَفِهِ بها، فقلت: هل حَضَرَكَ شيءٌ فيها؟ فأطرقَ ساعةً، ثم أنشدني رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

وحَقِّكُمْ إنَّهُ بَهَارٌ يُوْجِبُ أَنْ تُصْبَحَ العُقَارُ[١٢٠]

وقد جرى وصفه بالفقيه، الكاتب، الشاعر. وفي النّفح أنه قصد إلى حاكم إشبيلية (أيام المرابطين) إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وأنشده قصيدة في مدحه «طار مطلعها في الأقطار كلّ مطار» وهو:

قسمًا بِحِمْصٍ إنَّهُ لَعَظِيْمُ فهي المقامُ وأَنتَ إبراهيمُ!

وتنقّل في أنحاء الدّولة في قُطريها الأندلسي والمغرب وأقام مدّة في مراكش. وابن كسرى واحد من أصحاب الكُتندي، ويُذكر مع الرصّافي البلنسي، فقد «سمع منه ديوان شعره» كما في التكملة. ويُعد في أتباع المذهب الخفاجي.

– وكانت وفاة ابن كسرى سنة ٦٠٣ أو ٦٠٤.

(المقتضب من تُحفة القادم: ١ والتكملة (مصر) ١: ٢٦٤، ونفح الطّيب ٣: ٣٩٩، وأعلام مالقة: مواضع كثيرة تُراجع في الفهرس).

(١١٨) في الأصل هنا – من أعلام مالقة – «مرزوق» وفي أدباء مالقة: «رَزّوق»، ولكن المؤلِّف ترجم له في الرقم: ٥٩ باسم موسى بن رزق في نسختي الطبع. وقد ذكره في النفح باسم موسى بن رزق ٥: ٥٧ في أثناء الكلام على الرّصافي البلنسي صاحبه.

(١١٩) البَهار في استعمال الأندلسيين هو النّرجس في المشرق. وقد يَستعمل أهل الأندلس الاسمين معًا (البديع في وصف الرّبيع – عسيلان: ٩٩) وهو من نباتات الزّينة، ويُستعمل طبيًّا أيضًا.

(١٢٠) العُقَار من أسماء الخمرة. و «تُصْبَح» تسقى صباحًا. ويقابلها الغَبُوق: شراب المساء.

غُرَّة تشرينَ، أَيّ يومٍ إليْهِ مِنْ حُسْنِهِ يُشَارُ[١٢١]
بَعْدَ احْتِجَابٍ وطُوْلِ عَهْدٍ أبدى فما خدّه البَهارُ[١٢٢]
في روضة سال كلّ شِرْبٍ منها كما تُنْتَضَى الشِّفَارُ[١٢٣]
سُقِيْتِ وَسْمِيَّةً هَمُوعًا يا روضةً حَثَّها ابْتِكَارُ[١٢٤]

قال الأديبُ أَبو عليّ[١٢٥]: ثم اتّفق[١٢٦] أَنْ دَخَلْتُ البستانَ المذكور في أوّل البَهار، فكتبتُ إلى أَبي بكر الكُتندي رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

يا مُولَعًا بالبَهارِ زُرْنَا فَرَوْضُنَا زارَهُ البَهارُ

(١٢١) في أَعلام مالقة: ((عزّة تشرين)) وفي أدباء مالقة: ((غرّة تشريق)) وقرأتُها: ((غُرّة تشرين)) وجديرٌ أن يكون تشرين الثاني (نوفمبر). يقول: إنّ نبتة البهار أَزْهرت مبكرّة عن وقتها في غرّة (أَوّل) شهر تشرين. وذلك مُستغرب ومن حَقّها أن يُحتفى بها ((يُشرب على ظهورها...)).

(١٢٢) في أعلام مالقة، وأدباء مالقة هكذا ((أَبْدى فما خدّه البَهار)) وضبطه في الأعلام: ((أبدى فمًا خَدُّه البهار)) وفي الأُدباء: ((أبدى فما خَدَّه البهار)). وتحت الضبطين والقراءتين نظر. والكلام غير واضح. ويقربُ أن يكون المراد:

((أبدى لنا خدّه البهار))

(١٢٣) الشّرب (بكسر الشّين): مَوْرد الماء. يُريد الجَدْول. وشَبَّهه في لمعانه تحت أشعة الشمس بالسَّيف. والشِّفار جمع الشفرة: ما عُرِّضَ وحُدِّدَ من الحديد كَحَدِّ السّيف والسكين وغيرها. وتُطلق على السّيف اتساعًا.

(١٢٤) الوسميّة مؤنثة الوسميّ: مطر الرّبيع الأوّل. والهَمُوع: مبالغة في الهامع، والسّحابُ الهَمِعُ: الماطر. وتُستعمل المادة اللغوية (ه م ع) للدّمع والماء (كالمطر والطَّلّ...).

(١٢٥) أبو علي بن كسرى، وقد تقدّم.

(١٢٦) مايجري مصادفة دون إعداد، أو موعدٍ سابق، يُقال فيه: اتّفق اتفاقًا.

وانْشَطْ إلى قَهْوَةٍ أَرَتْنا شَمْسَ نَهارٍ؛ ولا نَهارُ[١٢٧]
في رَوْضةٍ إنْ حَلَلْتَ فيها حَلَّ بِهَا الأُنسُ والوَقَارُ!
باكِرْ أَبَا بَكرٍ المِفَدّى كأسًا وزَهْرًا لهُ ابْتِكَارُ[١٢٨]
راقَ سَنَاهُ العُيُونَ لَمّا واسَطَ مُبْيضَّهُ اصْفِرَارُ[١٢٩]
كأَنَّهُ كأسُنَا المِدَارُ فَذَا زُجَاجٌ وذَا عُقَارُ
يَبْسِمُ ثَغْرُ الرِّياضِ مِنْهُ عَنْ صُرَّةٍ حَشْوُها نُضَارُ![١٣٠]

قال أبو عليّ: فلم أَلْبَثْ إلاّ يسيرًا حتّى سمعتُ صوته وهو يقول:

(١٢٧) في أقاويل الشعراء وعلى سبيل التّعبير الأدبي: أنّ للقهوة (الخمرة) إشعاعًا وإنارةً.
– وقد سَمّى العربُ الخَمْرَة قهوةً لأنّها تُقْهِي (تَصْرِفُ وتَصُدّ) عن الطّعام. ومن هنا سَمَّوا البُنّ وشرابَهُ قهوة.
– (يُنظر كتابنا «معجم المآكل الشامية» من سلسلة الموسوعة الشامية).

(١٢٨) باكِرْ: طلب (أَمر) من المجيء في وقت البُكور. وكانُوا في مجالسهم يُبَكّرون في شأن الصَّبُوح. و «زهر له ابتكار» الكلام على زَهرة البَهار التي تفتّحت قبل أَوانها في البستان المذكور.

(١٢٩) في المطبوعتين: «وَاسَطَ» والمرَاد: تَوسَّط، ويُقال في اللغة: توسّط الشيءَ: صار في وسطه. ويُقال أيضًا وَسَّطه: جعله في الوسط. وأقترح أن تُقرأ «وَسَّط».
– قلت: ولم أجد (واسَطَ)، ولا يَسْتدعيه التَّوليد؛ لأنّ مراد الشاعر وصف هذه الزّهرة من جهتي شكلها ولونها فـ: وسطها أصفر وأطرافها بِيض. وفي الموسوعة في علوم الطبيعة (٣: ١٦٧١– ١٦٧٢) تحت عنوان: نَرْجِس الشّعراء: «ضروبه كثيرة العدد. أَوراقهُ قدّية مُستطيلة، شِمراخهُ الزّهري يعلو من ٣٠ إلى ٥٠(سم) ينتهي بزهرة وحيدة كبيرة القدّ عطريّة الرائحة بيضاء اللّون ترتكز على تُوَيج أصفر القالب أحمر الأطراف يُنَوّر في فصل الربيع».

(١٣٠) في أعلام مالقة: «عن دُرر حشوها...» وفي أُدباء مالقة: «عن صُرّة». وهذه أكثر مناسبة؛ بقرينة حشوها. والنّضار: الذّهب الخالص (وهو أصفر، يشبه تُوَيْج البَهارة).

[من مخلع البسيط]

ها أنا بالبَابِ عَبْدُ رِقٍّ أَدَّبَهُ خُلْقُكَ [البَهارُ] (١٣١)

[١٠]

قال ابن سعيد الأَديب الشّاعر المؤرّخ في ترجمة الكُتندي(١٣٢):

كان أَهل غَرنَاطة يَسْتَحسنون له قوله في مطلع قصيدة رثى بها عُثمان ابنَ عَبْدِ المؤمن ملكها: [من الرَّمَل]

(١٣١) في المطبوعين: «أَدَّبَهُ خلفك الهَنِيُّ» والهَنِيء: السّائغ والطيّب (من الطّعام ونحوه) ولا معنى له هنا. وهو لا يوافق قافية الأبيات السابقة.

– قلت: يظهرُ لي أَنَّ في الكلمة تحريفًا، وصوابُها عندي: «البَهار». ووضع هذه الكلمة في قافية البيت من الشاعر مناسبٌ جدًّا. فالكلمة موافقةٌ لرويّ الشعر الذي بدأه هو. ومعنى البَهار هنا: «كلّ شيء حَسَن مُنير». فهو يُثني على أبي عليّ صاحبه ويقول له: أنا عند أمرك وطلبك، عبدٌ مطيع مؤدّب: أدَّبه خُلقك الحسَن! وفي الكلام دعابة.

– و «الخلق» وردت ساكنة اللاّم، ويصحّ ذلك فيها: يُقال: خُلُق وخُلْق.

(١٣٢) في المغرب في حُلى المغرب ٢: ٢٦٤؛ ورايات المبرّزين: ١٥٧.

– وراوي الخبر هو عليّ بن موسى بن سعيد المشْهُور في المشرق بابن سعيد المغربي (٦١٠– ٦٨٥). خرج عن الأندلس مع أبيه لأَداءِ فريضة الحج، وتعرَّف إلى العلماءِ والأدباء في بعض بلاد المغرب والمشرق. ووصل إلى الأمراء والكبراء، واستفادَ وأفاد. واستقرّ بتونس إلى وفاته. يُعَدّ ابن سعيد في الأدباء والمؤلفين والشعراء. وأَسهم في تعريف المشارقة بالكثير من النِّتاج الأندلسي. ومن آثاره الباقية الكتابان المذكوران في صدر الترجمة وكتب أُخرى طُبع بعضها في نصف القرن الماضي (انظر مقدمة د. شوقي ضيف لكتاب المغرب؛ وكتاب: ابن سعيد الأندلسي: حياته وتراثه الفكري والأدبي لمحسن حامد العيّادي، طبع مكتبة النهضة المصرية، ونشر الدّار التّونسية للنشر بتونس. دون تاريخ). ومقدّمتي على تحقيق كتاب رايات المبرّزين (طبع دار طلاس – دمشق).

يَذْهَبُ المُلْكُ ويَبْقى الأَثَرُ هذِهِ الهَالَةُ أَيْنَ القَمَرُ؟[١٣٣]

[١١]

قال أَبُو عَلِيّ بنُ كسرى[١٣٤]: كنتُ في أحَدِ الأيّام فارقْتُ الأديب أَبا بكر الكُتندي على أن أجْتَمِعَ معه عَشِيَّ ذلك اليوم في البُستان المذكور[١٣٥]؛ ثم اتّفقَ أَنْ خرجتُ مع جُملة أَصْحَاب، وتركتُ أَبا بكر المذكور، فأُعْلِمَ بِمُجْتَمَعِنَا، فكتَبَ إليَّ: [من مخلّع البسيط]

يا مُولِمًا قَدْ أَلام لَمّا لم يثن نَدْبًا إلى مَزارِهْ[١٣٦]
جُدْتُ له من فَمِي بِمُزْنٍ وضَنَّ بالرَّشْفِ مِنْ قَرارِهْ[١٣٧]

(١٣٣) الهالة: دارَةُ القَمر، أو دائرةٌ من الضّوء تُحيط بجرمٍ سماويّ. (الوسيط). – وعثمان – المرْثِيّ – هو أَحد ولاة مدينة غَرْنَاطة وكورتها، أَيّام دولة الموحّدين. وهو ابن أوّل ((خلفائهم)) عبد المؤمن بن علي (بويع بالخلافة سنة (٥٢٦)، وسيطر على مُلك دولة المرابطين في الأندلس والمغرب، ووسّع دائرة نفوذه في إفريقية، ووصل إلى طرابلس (الغرب). توفي سنة (٥٥٨).

(١٣٤) الخبر في أَعلام مالقة (١٠٨– ١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٣٥) بستان أبي عمران موسى بن رزق، من مجموعتهم. وله ذِكرٌ في هذا المجموع.

(١٣٦) مُولم من فِعْل: أَوْلم: عمل وليمة، و ((ألام)): أي أتى بما يُلام عليه.

– واخترتُ في الشطر الثاني قراءة أ. المنوني رحمه الله كما أثبتها محقق: أعلام مالقة.

– ويكون ((لم يثن)) من ثناه صار له ثانيًا. كأنّه قال: لم يَدْعُ...

– والنّدْب: الظّريف النجيب.

(١٣٧) قُرئ في البيت: ((من دمي)) و: ((من فمي)). واخترت: ((من فمي)) لملاءمتها الكلام.= =– والقرار: المكان المنخفض يجتمعُ فيه الماء. والمفارقة ظاهرة بين الشاعر الكتندي الذي يبذل لصاحبه كما تجود المزن، في حين يبخل ذلك الصاح بالرشفة من ماء في قاع القرارة. والمزن

جَنَّتُهُ أُزْلِفَتْ لِغَيْرِي وبُرِّزَتْ لي جَحِيْمُ نارِهْ! (١٣٨)

قال أبو علي فلما قرأتُ البطاقةَ خجلتُ وخَجِلَ مَنْ كان معي من الفتيان؛ فكتبتُ إليه:

يا لائمًا قد أَلامَ لما أَجْرَيْتُ فِعْلي عَلَى اختيارِهْ(١٣٩)
فَرَّقَ ما بَيْنَنا اجْتِمَاعٌ أَشْفَقْتُ مِنْهُ عَلى وقارِهْ
لما اضْطُرِرْنَا لَهُ، ولكنْ: لا عُذْرَ للمَرْءِ في اضطرارِهْ!!

[١٢]

كتَب أبو بكر الكُتندي(١٤٠) إلى أبي عَبْدِ الله مُحَمّد بن غَالب الرُّصافي(١٤١): [من الطويل]

(واحِدُه: مزنة) السّحاب يحمل الماء.

(١٣٨) في أعلام مالقة: ((وبَرَزتْ لي...)) وفي أدباء مالقة: ((وبرزت في)) وقرأته على مايقتضي المعنى. وفي البيت اقتباس قرآني. في سورة الشعراء (٩٠- ٩١) ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

(١٣٩) يعتذر له بأنّه إنّما فعل ذلك على ما يَظُنّ: أنَّ الكُتَنْدِيّ سيختاره، لأنّ اجتماعه الذي لم يَدْعُهُ إليه، كان مع فتيانٍ لا يليقُ اجتماعهم بِوَقاره. ويعتذر ثانيةً بأنّه، وإن كانَ مُضطرًا إلى ذلك التصرّف، قليل العُذر في ما فعل!..

- فهذا عُذْرٌ على عُذر!

(١٤٠) النصّ وجوابه في أعلام مالقة (٩٩- ١٠٠) وأدباء مالقة (٧٦- ٧٨). وانظر ديوان الرصافي (١٠٣- ١٠٤).

(١٤١) وهو المشهور بالرُّصافي البَلَنْسِي (توفي: ٥٧٢) أصلُه من رُصافة بلنسية وُلد فيها= =ونشأ بها. وهو أبو عبد الله محمد بن غالب. خرج من بلده صغيرًا مع أبيه وكان يحترف الرَّفْو، وورّث ابنه صنعته هذه. واستقرّت الأُسرة في مالقة. جال الرصافي البلنسي في

أَعِنْدَكُمُ يا ساكِنِي الوُدِّ أنّكُمْ بِمَرْأًى على بُعْدِ المسافَةِ مِن حِمْصِ؟[١٤٢]
أَتَقْضِي اللّيالي أَن تُلِمّ بِمَنْزِلٍ أَلِفْناهُ ما بَيْنَ الأراكةِ والدِّعْصِ[١٤٣]
وإنّي حَرِيصٌ أَنْ يَعُودَ بما مَضى زَمانٌ، وما حِرْصُ المقادِيْرِ من حِرْصِي[١٤٤]

فجاوبه رحمه الله: [على الوزن والرّوي]

سَلامٌ أَبا بكر عَلَيْكَ ورَحْمَةٌ تحيّة صِدْقٍ مِنْ أَخٍ لَكَ مُخْتَصِّ
لَعَمْرِي وَما أدري بِصَدْعِ زُجَاجَةٍ عَليكَ، فقدْ تُدْنِي اللَّيالِي كما تُقْصِي[١٤٥]
لقد بانَ عنّي يَوْمَ وَدَّعْتُ صاحبًا بريءَ أَساليبِ الودادِ من النّقْصِ

الأندلس والمغرب، وبقيت مالقة مركزه. برع في الشعر ومَدَح دون ابتذال لنفسه. وصحب عددًا من الأُدباء والشّعراء وكانت له معهم ندواتٌ ومجالس. وكان له ديوان شعر مرويّ عنه. وجمع د. إحسان عباس ما بقي من شعره في ديوان (انظر المغرب (٢/ ٣٤٢)، والتكملة (مصر) (٥٢٠) والنفح (٤/ ١٥٩) والمقتضب من تحفة القادم(٧٥)، وأعلام مالقة (٣) وأدباء مالقة: (٦٨). وانظر مقدمة د. إحسان عباس لديوان الرّصافي وسائر مصادره ومراجعه).

(١٤٢) في أعلام مالقة: المسافات. والوزن يجري على القراءتين.

– وحمص المذكورة هنا هي إشبيلية. سُمّيت باسم حمص منذ أُنزل فيها جند حمص أَوائل القرن الهجري الثالث. وسُمّيت غرناطة باسم دمشق الأندلس، إلى مواضع أُخرى هناك.

(١٤٣) الأراكة واحدة الأَراك (شَجر المسواك) نباتٌ شُجَيري من الفَصيلة الأَراكيّة، والأَراكُ أيضًا شجر مجتمعٌ يُستظل به. وأُطلق اسم الأَراكة على مواضع كثيرة، وكذا الأَراك. والدِّعْصُ: قطعة من الرمل مُستديرة.

(١٤٤) في أدباء مالقة: من حرص. والأَولى روايةُ: «حِرْصي».

(١٤٥) في أعلام مالقة: لما نقصي. تحريف.

أَقُول لِنَفْسِي يَوْمَ طارَتْ بِكَ النّوى أَخُوكِ، فَرِيْشِي مِنْ جَنَاحِكِ أَو قُصّي[١٤٦]
فباتَتْ على ظَهْرِ النّزوع إِليكُمُ تطيرُ بما في الوَكْرِ أجْنِحَةُ الحِرْصِ
إلى كم – أبا بكرٍ – نَحُومُ بأَنْفُسٍ ظِماءٍ إلى عَهْدِ الأُجَيْرِعِ أَو حِمْصِ؟[١٤٧]
كأَنْ لم تَزُرْ تلك الرُّبا وكأَنَّها عَرائِسُ تُزْهى بالمواشِيطِ لا القصِّ[١٤٨]
ولا رَنّقَتْ تلكَ الأَراكةُ فَوْقَنا فَلَوَّتْ إِزارَ الظّلّ في كَفَلِ الدِّعْصِ[١٤٩]
وكانَتْ لنَا في ما هُناكَ مآرِبٌ تُطيعُ الهوَى العُذْريّ فِينَا ولا تَعْصِي[١٥٠]
لياليَنَا بالرّيِّ والعَيْشُ صالحٌ وظلّكِ عَنْها غيرُ مُنتقلِ الشَّخْصِ
وما ذِكْرُهَا لولا شَفا من عُلالَةٍ تَتَبَّعُها نَفْسي تَتَبُّعَ مُسْتَقْصِ[١٥١]

(١٤٦) في أدباء مالقة: فرشني.

(١٤٧) الأُجَيرِع تصغير الأَجْرِع. والأَجْرَعُ: الأرض ذات الحزُونة (قاسية) تشاكل الرّمل. – وحمص: هي إشبيلية.

(١٤٨) في أدباء مالقة: ((تزهاها المواشط لا نصّ)) هكذا.

- وفي الديوان: ترعاها.
- وفي النسخ: تزر (بخطاب المذكر). ولعلّها: نَزُرْ (بجمع المتكلم).
- وفي اللّغة: المِشط وجمعه: أمشاط. والمِمْشط أيضًا المشط، وجمعه: مماشط. أمّا المواشِط فجمع ((ماشطة)) وهي التي تزيّن الشعر وتحسّن المرأة. ووجه الكلام على المشط الذي كان يزيَّن به الشعر بعد تمشيطه.

(١٤٩) في أدباء مالقة: ((بلوث إزار الظل)). ولها وَجْهٌ ظاهر.

– الدِّعْصُ: قطعةٌ من الرّمل مستديرة، أَقَلّ من الحِقْف، والكثيبُ: المجتمع من الرَّمْل. ويشبّه به بعض جسم المرأة.

(١٥٠) في أعلام مالقة: نُطيع الهوى ... ولا نعصي.

(١٥١) في أعلام مالقة: شِفا بكسر الشين. – والشّفا: القليلُ من الشيء.

وَدِدْتُ أَبا بكر لَوَ انِّيَ عالِمٌ وللكونِ زَنْدٌ ليس يُقْدَحُ بالحِرْصِ[١٥٢]
هَل الغَيْبُ يَوْمًا فارِجٌ لي بابَهُ فأنظرَ منهُ كيفَ أُنْسُكَ في حِمْصِ[١٥٣]
بأزْرَقَ سلاّل الحُسَام وقد بدَا يُدَاعبُ في كأسٍ تَحَرَّكَ للرّقْصِ
وما مِعْصَمٌ ريّانُ دارَ سِوَارُهُ على مِثْلِ ماءِ الدُّرِّ في بَشَرٍ رَخْصِ
بأبْهَجَ منهُ في العيُونِ إذا بَدا ولا سيّما والشمسُ جانِحَةُ القُرْصِ
خليجٌ كخيطِ الفَجْرِ ينجرُّ فَوْقَهُ ذيولُ عَشيّاتٍ مُزَخْرَفَة القُمْصِ!

[١٣]

قال أبو الحسن علي بن محمد الرُّعيني الإشبيليّ (٥٩٢ – ٦٦٦) في برنامجه[١٥٤]، (برنامج شيوخ الرّعيني: ٦٥– ٦٦): أنشدني أبو القاسم محمد بن

(١٥٢) الزَّنْد: العُود (الأعلى) الذي تُقْدَحُ به النار، والأسفل هو الزَّندة. كان في جُملة ماتُقتدح به النار أنواع من الخشب، وأَشهرها المرْخ والعُفار.

(١٥٣) في أُدباء مالقة: فارجًا (عن الأصل).

– وفي الدّيوان: مفرجًا.

(١٥٤) برنامج شُيوخ الرُّعَيْنِيّ (٦٥– ٦٦).

– والأبيات ستة، في هذا البرنامج، وفي التكملة لابن الأبار (مصر): ٥٣٥ وزاد المسافر (الطبعة الثانية): (٩٥)، والذيل والتكملة (٦/ ٣٥٠)،

– وهي خمسة أبيات (بإغفال السادس) في أعلام مالقة (١٠٧) (وأدباء مالقة: ٨٧)، ولم يشر المحققّان إلى البيت الناقص.

– وأورد المقَّريّ في نفح الطيب (٣/ ٥٠٦) البيتين(١ و ٣)؛ ونسبهما إلى ابن برّاق، ثم أورد (٦/ ٢٦٨، ٢٦٩) الأبيات الستة دون نسبة. =

=قلت: الشعر ثابت النسبة إلى الكتندي بتسجيل أصحاب الشاعر ومعاصريه مشافهةً وروايةً.

سليمان المقرئ صاحبنا رحمه الله، قال: أنشدني أبو القاسم بن عبد الواحد هذا صاحبنا رحمه الله (يعني محمد بن عبد الواحد الغافقي الذي كان يترجم له، والمشهور بالملاّحي) قال: أنشدني الأديب أبو بكر الكتندي صاحبنا رحمه الله لنفسه: [من مخلّع البسيط]

١- ياسَرْحةَ الحَيِّ يا مَطُولُ شَرْحُ الذي بيننا يطولُ(١٥٥)
٢-عندي مَقالٌ فَهلْ مَقَامٌ تُصْغِيْنَ فيه لما أقولُ؟
٣- ولي دُيونٌ عَلَيْكِ حَلَّتْ لَوْ أَنّهُ يَنْفَعُ الحلُولُ! (١٥٦)
٤- ماضٍ من العَيْشِ كان فيهِ مَلْبَسَنا ظِلُّكِ الظَّلِيْلُ(١٥٧)
٥- زال وماذا عليكِ ماذا يا سَرْحُ لو لم يكنْ يَزُول؟(١٥٨)
٦- حَيّا عَنِ المِدْنَفِ المعَنّى مَنْبِتَكِ القَطْرُ والقَبُولُ(١٥٩)

(١٥٥) السّرحة (والجَمْعُ سَرْح) تُقال لكلّ شجر عِظام: طِوَال.

- وفي الموسوعة في علوم الطبيعة: ١: ١ (تحت اسم الآءة، والسّرحة) أنها ((جنس نباتات برّية وزراعية، تزيينيّة من فصيلة الجناحيّات: أنواعه عديدة... وجميعُها شُجَيرات وجَنْبات دائمة الأوراق... أوراقها وحملها تصلح للدباغة...)).
- قلت: ظاهر أن الشاعر يذكر شجرة كبيرة كانت في ذلك الحيّ، وهي شجرة معمّرة عاصرت طفولة الشاعر وصباه وشبابه، وهي ما تزال قائمة ثابتة...

(١٥٦) حلّ الدين حلولاً: وجَب أداؤه، آن أوان أدائه.

(١٥٧) ظِلٌّ ظليل: دائم.

(١٥٨) يا سَرْحُ: نداء للسّرحة، وخفّف الكلام بحذف التّاء (التَّرخِيمْ) فيقرأ القارئ بضم الحاء (على لغة من لاينتظر عودة التاء إلى الكلام) وبالفتح على توقّع التّاء وانتظار لحاقها بالكلمة (لغة من ينتظر).

(١٥٩) المِدْنف من فعل دَنِفَ المريض: اشتدّ مرضه، وأشفى على الموْت. والمعنّى؛ من فِعْل

[١٤]

في أخبار أَبي الحسَن بن نزار[١٦٠] أنَّه نَزَلَ يومًا مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشّاعر، في جَنّةٍ بزاوية غرناطة، وفيها صِهْريجُ ماء قَدْ أحْدَق بها شَجرُ نارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار، وعليه أُنبوب ماءٍ تتحركُ به صورةُ جاريةٍ

عَنّاهُ: كلّفه ما يَشقّ عليه ويَصْعُب.

- ويكثر أن يوصف العاشق بالمِدْنف!..
- والقَطْرُ: المطر.
- يدعو الشاعر للسرحة بالخير؛ والدّعاء بالسُّقيا عند العرب يُقال أيضًا في مطلق الخير (الدعاء بالخير والتذكّر بالخير).

في الرواية: ٣- في التكملة: ((تنفع الحلول)) وهو تصحيف.

٤- في زاد المسافر والذيل والتكملة والنفح: (منزلنا ظلّك...).

٥- في أدباء مالقة والذيل والتكملة: عليه ماذا.

٥- في أدباء مالقة ((لو لم يكن يؤول)) كذا، وفيه تحريف.

٥- في الذيل والتكملة ((لو لم يكن نزول)) هكذا، وهو تحريف.

(١٦٠) أبو الحسن بن نزار من بيوتات وادي آش من شُعرَاء النصف الأوّل من المئة السّادسة. سكن غرناطة وتنقَّل بينها وبين وادي آش. وذكر المقَّري فيما نقله في النفح أن أبا الحسن اغتنم فرصة اضطراب الأمر على المرابطين ودَعا لنفسه في بلدته. واتّصل أهل المدينة بابن مردنيش أحد المتَوثّبين بشرقيّ الأندلس فأرسل من اعتقله وسجنه وألغى استقلاله بوادي آش. ثم أطلقه في خبر طويل. وقد ذكر محمد عبد الله عنان دخول ابن مردنيش وادي آش سنة ٥٤٦ ولم يورد خبر أبي الحسن بن نزار المذكور.

- وكان أبو الحسن شاعرًا كاتبًا وشاحًا أديبًا.

انظر المغرب (٢/ ١٤٧) ونفح الطيب (٣/ ٤٩٢- ٤٩٩) ومواضع أخرى، ودولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث – القسم الأول (٣٢٠) لمحمد عبد الله عنان.

راقصةٍ بسيوفٍ وطيفورِ رُخامٍ يصنع في أُنبوبةَ الماءِ صورةَ خِباء؛ فقالوا: نقتسم هذه الأوصاف الثلاثة. فقال أبو جعفر يصف الرّاقصة: [من الطويل]

وراقصةٍ لَيْسَت تَحَرَّكُ دون أَنْ ... يُحَرِّكَها سَيْفٌ من الماءِ مُصْلَتُ
يدورُ بها كُرْهًا فَتُنْضى صَوارِمًا ... عليهِ فلا تَعْيَا ولا هُوَ يُبْهَتُ
إذا هِيَ دارَتْ سرعةً خلْتَ أَنّها ... إلى كُلِّ وَجْهٍ في الرِّياضِ تَلَفَّتُ

وقال ابن نزار في خباء الماء[١٦١]: [من الطويل]

رَأيتُ خِباءَ الماءِ تُرْسِلُ ماءها ... فنازَعَها هَبُّ الرّياحِ رداءَها
تطاوِعُه طَوْرًا وتعصِيهِ تارةً ... كراقِصَةٍ حَلَّتْ وضَمّت قباءَها
وقد قابلَتْ خيرَ الأنامِ فلَمْ تزَلْ ... لديهِ من العَلْياءِ تُبدي حَياءَها
إذا أَرْسَلت جَوْدًا أَمامَ يمينهِ ... أبَى العَدْلُ إلاّ أَنْ يَرُدّ إباءَها

وقال الكُتندي: [من الوافر]

وصِهْرِيجٍ تخالُ به لُجَيْنًا ... يُذَابُ وقد يُذَهِّبُهُ الأَصِيلُ[١٦٢]
كأنَّ الرَّوْضَ يَعْشَقُه فَمِنْهُ ... على أَرْجائِهِ ظِلٌّ ظَلِيْلُ

(١٦١) في النّفح (٣/ ٤٩٧) في أبيات أبي الحسن: «قيل إنّ لهذه الأبيات صَنعها بمحضر الأمير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرقيّ الأندلس؛ وإنه لما ألجأته الضّرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيئًا، وكانت هذه عنده مُعَدّةً فزعم أنّه ارتجلها. قال أبو عمرو بن سعيد: وهذا هو الصّحيح، فإنّه ماكانت عادَتُهُ أن يخاطب عمّي أبا جعفر بـ «خير الأنام» فإنّ كل واحد منهما كفؤ الآخر».

(١٦٢) اللجين: الفضة.

وتَمْنَحهُ أَكفُّ الشّمسِ عِشْقًا دنانيرًا فمِنهُ لَها قَبُولُ[١٦٣]
إذا رفعَ النَّسِيْمُ القضبَ عَنْها فحينئذٍ يكونُ لَها سَبِيلُ
وللنّارَنْجِ تحتَ الماءِ لما تبدّى عَكْسُها جَمْرٌ بليلُ[١٦٤]
وللّيمونِ فيه دونَ سَبْكٍ جَلاجِلُ زُخرفٍ بِصبًا تَجُولُ[١٦٥]
فيا رَوْضًا به صُقِلَت جُفوني وأرهفَ مَتْنَهُ الزّهرُ الكليلُ
تناثَر فيك أَسلاكُ الغَوادي وقَبَّل صَفْحَ جَدْوَلِكَ القَبُولُ
ولا بَرِحَتْ تُجمِّعُ فيكَ شَمْلاً من الأَكياسِ والكاسِ الشّمُولُ[١٦٦]
بُدورٌ تستديرُ بِهَا نجومٌ معَ الإصباح ليسَ لها أُفولُ
يهيمُ بِهِمْ نسيمُ الرّوضِ إلفًا فَمِنْ وَجْدٍ لَهُ جِسْمٌ عليلُ

[١٥]

قال في كتاب: أعلام مالقة[١٦٧]:

وحَدّثني الأديبُ أبو عمرو قال: أنشدنا أبو الحسن الوَقَّشِي[١٦٨]، قال:

(١٦٣) أي: من العشق؛ بسببه. ونَوّن دنانير ضرورةً. والبيت من قول أبي الطيب المتنبي في أبياته في شعب بوّان (ديوانه – البيتان – ٤/ ٢٥٢- ٢٥٣). يصف الشّعب وأشجاره نهارًا وهو يسير بالخيل فيه:

غَدَوْنا تنفضُ الأَغْصَانُ فيهِ على أَعرافها مثل الجُمَانِ
فسرتُ وقد حَجَبْنَ الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرقُ منها في ثيابي دنانيرًا تفرّ من البَنانِ

(١٦٤) شبّه النّارنج (وهو أحمر) بالجَمْر (لكنّه لايُحْرِق).

(١٦٥)الجَلاجل جمع جُلجل: الجرَس.

(١٦٦) الأكياس جمع كَيِّس: صفة حَسَنة في الإنسان؛ أراد أَصحاب المخاطب.

(١٦٧) أعلام مالقة (١٠٩)، وأُدَباء مالقة (٨٩).

أنشدنا أبو بكر الكُتندي، وأَمَر أن تُكتب على قبره، رحمه الله: [من المديد]

حَيِّ قَبْرًا بالبَقِيْعِ حَوى ذا اغْتِرَابٍ حَطّ أَرْحُلَهُ[١٦٩]
جَدّ في تَسْيارِهِ وَجَرى طَلَقًا ماشاءَ طَوَّلَهُ[١٧٠]
فهو قَد أَلقى عَصَاهُ ولم يَدَّخِرْ إلاّ تَوَكُّلَهُ

[١٦]

في ترجمة[١٧١] نزهة بنت القُليعي أنّها كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صاحبة فُكَاهة ودُعَابة. أَخذت عن أبي بكر المخزومي الأعمى. وكانت يومًا تقرأ عليه فدخلَ إليه أبو بكر الكُتندي، فقال يخاطبُ المخزوميّ: [من الكامل]

---

(١٦٨) وَقّش: بلدة أندلسية من أعمال طليطلة (من وسط الأندلس) نُسِب إليها عدد من العلماء والفقهاء والأدباء.

(١٦٩) البقيع في اللّغة: المكان المتّسع فيه أشجارٌ مختلفة، واختصّ بمقبرة أهل المدينة. واستعمله الشاعر لمعنى المقبرة عامّة. ويبدو أنَّ الأندلسيّن استعملوا هذه الكلمة لمعنى المقبرة مطلقًا. وفي الإحاطة (٤/ ٤٠٠) في شعر أبي زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي:

إذا متّ فادفنّي حِذَاءَ حَليلتي يُخَالِطُ عَظْمي في التّراب عِظَامَها
ولا تدفنّني في البَقِيعِ فإنّني أريدُ إلى يومِ الحسابِ التزامَها

(والحليلة بالحاء المهملة: الزّوجة).

(١٧٠) في أعلام مالقة: أطوله.

(١٧١) الخبر في ترجمة نَزْهون في الذّيل والتكملة (٢/ ٤٩٣). ويُقال في اسمها: نزهون، ونزهة؛ نفح الطيب (٤/ ٢٩٥)، والمقتضب من تحفة القادم (١٦٤) والمغرب (٢/ ١٢١)، والإحاطة (١/ ٣٤٤)، ونزهة الجلساء (٩٧)، والدرّ المنثور (٥١٩)، ورايات المبرّزين (١٥٩).

– وكانت وفاة نزهون نحو سنة ٥٥٠.

لو كُنْتَ تُبْصِرُ مَنْ تُجَالِسُهُ[١٧٢]

فقالت نزهون[١٧٣]:

لَغَدَوِتْ أَخْرَسَ من
البَدْرُ يَطْلُعُ من أَزِرَّتِهِ والغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلائِلِهِ[١٧٤]

[١٧]

قال الفقيه[١٧٥] أبو عمرو بن سالم (سالم بن صالح الهمداني)[١٧٦]، حَدّثني

(١٧٢) كذا في الذّيل والتكملة.. والنّفح.
- وروي: «مَنْ تكلّمه» كما في المغرب ٢: ١٢١؛ والإحاطة ١: ٣٤٤- ٣٤٥ ورفع الحجب المستورة ٢: ٨٧٣.
- وبين البيتين فيه: «ثمّ زادت».

(١٧٣) في النفح أنّ المخزومي لما أنشده الكُتَنْدي الشّطر المذكور «أُفْحِمَ وأَطالَ الفِكر فما وجَد شيئًا» أي أُرْتِجَ عليه، ولم تُتِحْ له بديهتُه إجازةَ الشّطر بما يناسب؛ «فقالت نزهون...» الخبر.
- المعنى: لو كنت تبصر هذه الفتاة الجميلة التي أمامك لَبَهتك جمالها (أَصابتك الدّهشة) وصمَتّ، وكنتَ أكثر سكوتًا من خلاخلها. وسُكوت الخلخال في ساق الفتاة كناية عن شيء من الاكتناز كانوا يُفَضّلونه. ثم زادت من ملامح الجمال بِجَعْل الفتاة في حُسن البدر وإشراقه، ورشاقة غصن البان واعتداله.
- ومراد العبارة لَغَدَوْتَ أكثَر خَرسًا...

(١٧٤) «أَزرّة» كذ في النصّ. وفي اللغة يُجمع الزرّ على أزرار وزُرور.
- والمعنى إن البدر في ثيابها (نوع من الكناية عن أنّها جميلة كالبدر).
والغَلائل جمع الغِلالة: ثوب رقيقٌ يُلبس تحت الدّثار. شبهها بالغصن كما سبق في الحاشية (١٧٤).

(١٧٥) الخبر في أعلام مالقة ٣٠٤- ٣٠٥ وأُدباء مالقة ٣١٤- ٣١٥ في ترجمة ابن فرجون القيسي.

(١٧٦) من العُلَماء والمحدّثين والشعراء. له ترجمة في أعلام مالقة (٣٠٤)، وأدباء مالقة (٣١٤).

أبو الحسن علي بن فَرَجُون القيسي نزيل مالقَة أنّه حضَر بمالقة سنة إحدى وستّين وخمسمئة مع الأديب الكاتب أبي بكر الكُتندي عند بعض الأكابر، وبين أيدينا لوحٌ ومِحْبَرة. قال أبو الحسن فأخذت اللّوح والقَلم وكتبتُ فيه: [من الكامل]

يا ذا الّذي مَلكَ المحاسِنَ كُلّها

فجاوَبَهُ أبو بكر الكُتندي، وزاد عليه:

وحَوى جميعُ العالمين أَقَلَّها

فقلت أنا:

الدّهرُ إن قابَلْتَهُ مُتَجَهِّمًا(١٧٧)

فزاد أبو بكر:

أبكيتَ كُثْرَ الحادثاتِ وقُلَّها

فقلت أنا:

والسَّيْفُ يَفْخَرُ أَنْ تمسَّ رِئاسَهُ(١٧٨)

فقال أبو بكر:

وتَرُدَّ شَفْرَتُهُ الصقيلةُ سَلَّها(١٧٩)

قال أبو الحسن: ثم جاء الإذنُ من الطّالب الذي كان يَسْتَكْتِبُهُ وهَض، رحمه

(١٧٧) في المِطْبُوعَيْن: ((قابلته متبسّمًا)) وفي حاشية أُدباء مالقة: ((هذه الكلمة يمكن قراءتها متبسّمًا ويمكن قراءتها متجهّمًا)). واخترْتُ هذه القراءة. لأنّ الشعر ثناء وإطراء. يقول له: إنّ كلّ شيءٍ حوله يتجاوبُ معه: يأسى لأَساه ويفرحُ لفرحه.

(١٧٨) رئاس السّيف: مقبضه وقائمه.

(١٧٩) هكذا ورد الشطر في أعلام مالقة، وهو أمثل. وفي أدباء مالقة: ((ويردّ..)).

الله. قال أبو الحسن: فبقيت الأَبياتُ في حفظي إلى أن دَخَلْتُ مدينة تَوْزَر(١٨٠)، فلقيتُ بها فتًى من أَهْلِ بلنسيةَ اسْمُه محمد الجمحي(١٨١)، ويُعرف بابن الشَّوَّاش، وكان عاقلاً أديبًا ظريفًا، فوقعَ ذكر الشعراء وأَهل البلاغة؛ فذكرتُ له الكُتندي وما جرى بيني وبينه، فعرفه، وأثنى عليه، واستحسَنَ الأبيات، فلمّا كان في الغَدِ أَخْرَج إليَّ الثلاثة الأبيات. وقد ذَيّل عليها أربعة أبيات، وهي هذه: [من الكامل]

البَحْرُ إنْ يُذكرْ نوَالُكَ غائضٌ والأُسْدُ تشكو عند سَطْوِكَ ذُلَّها(١٨٢)
والشّهبُ ترجُو أنْ تكونَ لديكمُ خَوَلاً تُصَرِّفُ بَعْضَها أو كُلّها(١٨٣)
والشّمسُ تقتبسُ السَّنا من نُوركم فانْظُرْ إِلَيْها مُفْضِلاً واتْذَنْ لها
جَلَّتْ عُلاكُمْ أَنْ يُحَاطَ بِوَصْفِهَا فالذّهنُ يَقْصُرُ أَنْ ينالَ مَحَلّها!

[١٨]

قدّم صاحب أعلام مالقة للنص بعبارة(١٨٤): «وله رحمة الله عليه»: [من البسيط]

إلى أبي القاسمِ المختارِ مِن مُضَرٍ [حَنّت له الجذع قبلي؛ فاز بالكرم](١٨٥)

(١٨٠) انظر في توزر: معجم البلدان (٢/ ٥٧– ٥٨) والرّوض المعطار (١٤٤– ١٤٥).

(١٨١) في أدباء مالقة: الحجمي.

(١٨٢) غاض الماء: نَزَل في الأرض وغاب فيها.

(١٨٣) الخَوَل: الأَتْبَاع والخَدَمُ والحشَم.

(١٨٤) أعلام مالقة (١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٨٥) هذه قراءة أعلام مالقة، وفي أدباء مالقة «حيث الجذع قبلي فاز بالكرم» وقال في الحاشية: كذا في الأصل، والبيت مكسور الوزن.

- وفي قراءة الشّطر الثاني المذكور نظر (في النصّين المطبوعين).
- ومعنى الشّطر واضح. فهو يذكر واحدةً من دلائل النبوّة: «حنين الجذع».

أَنامُ مِلءَ جُفوني لا يُمَثّلُ لي في نَوْمَةٍ فَكأنَّ العَيْنَ لم تَنَمِ![١٨٦]
فالنّفْسُ من يأسِهَا منكُمْ مُوَلَّهَةٌ ليسَتْ مِنَ الأَملِ الأَسْنى عَلى أَمَمِ[١٨٧]
كم رُمْتُهَا يا رَسُولَ اللهِ مَرْتَبَةً لو كنتُ آمُلُ أَنْ أَلْقَاكَ في الحُلُمِ

[١٩]

وقال[١٨٨]:

لأمْرٍ مّا بَكَيْتُ وهاجَ شوقي وقد سَجَعَتْ على الأيك الحَمامُ
لأنّ بياضها كبياضِ شيبي فمَعْنى شَدْوِها «قَرُبَ الحِمَامُ!»

روى البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٦) بإسناد رواه من حديث جابر «أنَّ رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأةٌ من الأنصار أو رجلٌ يا رسول الله: ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم فاجعلوه. فجعلوا له منبرًا. فلما كان يوم الجمعة ذهَب إلى المنبر فصاحت النّخلةُ صياح الصّبيّ، فنزل رسول الله ﷺ فضمّها إليه. كانت تئنّ أنين الصبيّ الذي تسكته. قال: كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها» قال. رواه البخاري في الصّحيح عن أبي نُعيم.

(١٨٦) يرجو أن يرى رسول الله ﷺ في منامه.

(١٨٧) الأَمَمُ: القُرْبُ، واليَسير القريب المتَناول. والمولّه: من وَلَّه الأَمْرُ: حَيّره وأذهب عقله.

(١٨٨) القطعة في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة (٨٧)؛ والمطرب (٨٢) وزاد المسافر (٩٥)، وبغية الوعاة (١/ ١٥٥).

- وقدّم لها في «أعلام» و «أدباء» بعبارة: «قوله رحمه الله تعالى».
- ورواية المطرب:

لأمرٍ مّا أكابِدُ كلّ شوقٍ إذا سجَعَتْ على الأَيْكِ الحَمامُ
لأنّ بياضها كبياض شيبي فَمَعْنى سَجْعِهَا «قَرُبَ الحِمَامُ»!

- والحِمام من أسماء الموت.

[٢٠]

قال[١٨٩]: [من البسيط]

ولا كَتُفّاحةٍ حمراءَ هِمْتُ بِهَا إذْ أَصْبحَتْ خَدَّ مَنْ قَلْبِي مُتَيَّمُهُ[١٩٠]
سَمَتْ بها كَفُّه يومًا إلى فَمِهِ فَخِلْتُهُ البَدْرَ والمرِّيخُ يَلْثُمُهُ
أَو شاربًا كأسَ صهباءٍ مُعَتَّقَةٍ ولا حَباب سِوى أَنْ راقَ مَبْسِمُهُ

[٢١]

قال ابنُ سَعيد[١٩١] في التّقديم للقصيدة الآتية للكُتُنْدي بعبارة: «ومن مُسْتَعْذَبِ شِعره»: [من السّريع]

هذا لِسَانُ الدَّمْعِ يُمْلِي الغَرَامْ في صَفْحَةٍ أَثَّرَ فيها السَّقامْ
فهَلْ يُماري في الهَوى مُنْكِرٌ؟ والبَدْرُ لا يُنْكَرُ حِيْنَ التَّمامْ! [١٩٢]
عَهْدٌ لِهِنْدٍ لم يَكُنْ بالّذِي تَقْدَحُ فيه نَفَثاتُ المِلامْ[١٩٣]
يا نَهْرَ إشنيلٍ أَلاَ عَوْدَةٌ لِذلِكَ العَهْدِ ولو فِي المَنَامْ؟[١٩٤]

(١٨٩) القطعة في المطرب لابن دحية (٨٢).

(١٩٠) في التّقديم للقطعة قال ابن دحية: أنشدني هذا الوزيرُ لنفسه في تفاحة بيد غلام وسيم يأكلُها.

(١٩١) المغرب في حُلى المغرب (٢/ ٢٦٥).

– وورد البيتان (٤ و ٥) في رايات المبرّزين (١٥٨) وفيه: «مذ فارقتني..».

(١٩٢) يُقال: ماراه: ناظره وجادله. ويُقال أيضًا: مارى فلانًا: خالفه وتَلوّى عليه.

(١٩٣) اسم (هند) من الأَسماء التي يُوردها الشعراء كنايةً عن الاسم الحقيقي، ومثله سعاد، وسَلمى، وليلى، وسُعْدى... وقد يُورَدُ لمجرّد الاتّكاء في غرض الغَزل التّقليدي.

(١٩٤) إشْنِيل هو نَهْرُ غَرْنَاطة: Xenil؛ أو: Genil. ويَمُرّ في جنوبي المدينة. وهو رافدٌ من روَافد نهر الوادي الكبير. أمّا غَرْناطة فتقوم على نُهَير حَدَارُو (دَارُو)، وهو رافدٌ من روافد

ما كَانَ إلاّ بارقًا خاطفًا ما زلتُ مُذ فَارقَنِي في ظَلامْ! [١٩٥]
آهٍ مِنَ الوَجْد على فَقْدِهِ ولَيْسَ تُجْدِي (آه) للمُسْتَهامْ[١٩٦]
للهِ يَوْمٌ مِنْهُ لمْ أَنْسَهُ وذِكْرُ ما أَوْلاهُ أَوْلى ذِمَامْ[١٩٧]
إذْ هِنْدُ غُصْنٌ بينَ أغْصَانها كالدَّوْحِ يَثْنِيْهِ هَدِيْلُ الحَمامْ[١٩٨]
يا هندُ! يا هندُ! أَلا عَطْفَةٌ أَمَا لِهذا الصَّرْم حِيْنُ انْصِرام؟![١٩٩]
أتذكرينَ الوَصْلَ لَيْلَ المنى بِمَرْقَبِ العَطْفِ وجَزْعِ الإكام؟[٢٠٠]

شَنِيل (أو إشنيل) ويُقال فيه: سنْجيل.

– وكانوا في الأندلس يقولون: «شنيل ألف نيل». وفي العبارة إشارة إلى أنّ الشّين في حِسَاب الجُمَّل تقابل الرّقم (١٠٠٠) أَلْف. وهكذا ينفكُّ من شنيل: «ألف نيل»؛ افتخارًا منهم ببلادهم ومفاضلةً مع المشرق. قال الأستاذ عنان (وقد مرّ على قوله هذا أكثر من ثلث قرن) إن نهر غرناطة قد فقد مياهه القديمة، وكثيرًا ما يجفّ أو يكاد (قارن بما جرى لبردى نهر دمشق).

نزهة المشتاق (٢٩٧) والإحاطة (١/ ١١٨) قال لسان الدين: وقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادي... والآثار الأندلسية الباقية (١٦١) وآخر أيّام غرناطة (٤١– ٤٢).

(١٩٥) البارق من برق البَرْق: بدا ولمع. (ويُقال في الشّيء بَرَق إذا تلألأ ولَمع).

(١٩٦) لا يُجدي قول: (آه). والمسْتهام: الذي شغفَه الحُبّ. يقال: هام فلان، واستُهِيْمَ فؤادُه.

(١٩٧) الذِّمام: العَهْد، والحُرْمة.

(١٩٨) الدَّوحُ: جمع الدّوحة: الشجرة العظيمة المتشعّبة ذات الفُروع الممتدّة، من شجرٍ ما. وهَدِيل الحَمام: صَوْتُه (والهديل أيضًا: ذكر الحمام الوَحْشِيّ).

(١٩٩) الصَّرْمُ: القطيعة.

(٢٠٠) المرْقَبُ: مَوْضِع المرَاقبة. والجَزْع: مُنعطف الوادي ووسطه. والإكام جمع الأَكَمَة: التلّ.

وإن تذكّرتِ فلا تذكري إلا على سَاعَةِ وادي الحَمامْ!

مُلْحَق

[الملحق ١]

اجْتمَع بغرناطة محمد بن غالب الرُّصافي[٢٠١] الشّاعر المشهور، ومحمد بن عبد الرّحمن الكُتندي الشاعر، وغيرهُما من الفضلاء والرّؤساء، فأَخَذُوا يومًا في أن يَخْرُجوا لِنَجْد أو لِحَوْر مُؤمّل، وهما متنزّهان من أَشْرَفِ وأظْرَفِ مُتَنَزّهاتِ غَرناطة، ليتفرجّوا ويَصْقُلوا الخَواطر بالتطلّع في ظاهِر البلد. وكان الرُّصافي قد أظْهَر الزّهْدَ، وتَركَ الخلاعة؛ فقالوا: ما لنا غنًى عن أبي جعفر بن سعيد؛ اكْتبُوا له؛ فصَنَعُوا هذا الشعر، وكتبوا له وجَعَلُوا تحته أَسماءهم:

[من الطويل]

بَعَثْنا إلى رَبّ السماحَةِ والمجْدِ ومَنْ ما لَهُ في مِلَّة الظَّرْفِ مِنْ نِدّ

(٢٠١) هو الشاعر المشْهُور بالرّصافي البلنسي: أصله من بلنسية واستوطن مالقة واتخذها دار إقامة إلى أن توفي بها سنة (٥٧٣). وكان يعمل رفّاءً. وله ديوان شعر جمعه د. إحسان عَبّاس من الباقي من شعره. (انظر الطبعة الأولى، والثانية).

أدباء مالقة (٦٨)، والمقتضب من تحفة القادم (٧٥)، والإحاطة (٢/ ٥٠٥)، والتكملة لابن الأبار (٢/ ٥٢٠)، والمعجب (٢٨٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٣٢) ورايات المبرّزين: (٢١١) وبغية الملتمس (١١٩) ونفح الطيب (٤/ ١٥٩) وشذرات الذهب (٤/ ٢٤١) وجذوة الاقتباس (١/ ٢٦٦).

– والرّصافة المنسوب إليها هي رُصَافة بلنسية. وهناك مواضع أُخرى سميّت بهذا الاسم في الأندلس، وأشهرها رصافة قُرطبة، وهي أَوّل موضع أُطلق عليه اسم الرصافة في الأندلس، (أيام عبد الرحمن الدّاخل).

[سبق للباحث الفاضل التعريف بالرصافي البلنسي في القطعة رقم (١٢)]/ المجلة.

لِيُسْعِدَنا عند الصَّبيحةِ في غَدٍ لِنَسْعى إلى الحَوْرِ المؤَمَّل أو نَجْدِ
نسرّحُ منّا أنْفُسًا من شجُونها ثوَتْ في شجونٍ هُنّ شرٌّ من اللحدِ
ونظفرُ من بُخْلِ الزّمانِ بساعةٍ ألذَّ من العَلْيا، وأشهى من الخَمْدِ
على جَدْوَلٍ ما بينَ أَلفافِ دوحةٍ تهزُّ الصَّبا فيها لواءً من الرَّنْدِ
ومن كان ذا شرب يُخلّى بشأنهِ ومَنْ كان ذا زُهْدٍ تركناهُ للزّهدِ
وما ظَرْفُهُ يأبى الحديثَ على الطّلا ولا أَن يُدِيلَ الهزل حينًا من الجِدّ
تهزّ معَاني الشّعر أغصانَ ظَرْفِهِ ويَمْرَحُ في ثوبِ الصَّبابَةِ والوجْدِ
وما نَغَّصَ العيشَ المهنّأ غَيْرُ أنْ يمازِجَهُ تكليفُ ماليسَ بالوُدِّ
نظَمْنا من الخِلاّن عِقْدَ فرائدٍ ولما نَجِدْ إلاّكَ واسطة العِقْدِ[٢٠٢]
فماذا تراهُ لاعدمناك ساعةً فنحنُ بما تبديهِ في جَنّةَ الخُلْدِ
ورُشدك مطلوبٌ وأَمْرُكَ نحوه ارْ.. . ..تقابٌ وكلٌّ منك يَهْدِي إلى الرّشْدِ!

وقد أجابهم الرُّصافي البلنسي بقصيدة أوّلها[٢٠٣]:

هو القولُ منظومًا أو الدرُّ في العقدِ هو الزّهرُ نَفّاح الصّبا أم شذا الوُدّ

وهي في سَبْعَة عشر بيتًا... قال في النّفح بعد الشعر: فركبوا إلى جَنّته، فمرّ لهم أحْسَنُ يومٍ على ما اشْتَهَوْا. وما زالُوا بالرُّصافي إلى أن شرِبَ لما غلبَ عليه الطّرَب، فقال الكُتندي:

غلبناك عمّا رُمْتَهُ يا ابْنَ غَالبٍ بِرَاحٍ ورَيْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ

فقال أبو جعفر:

(٢٠٢) كذا فيه: ولما نجد.

(٢٠٣) نفح الطيب (٣/ ٥١٤).

بَدا زُهْدُهُ مثل الخضابِ فلم يَزَلْ بِهِ ناصِلاً حتّى بدَا زُوْر كاذِبِ! [٢٠٤]

وللخبر تتمّة.

[الملحق ٢]

وقال أبو جعفر بن سعيد[٢٠٥] «في يوم اجتمع فيه مع الرّصافي[٢٠٦] والكتندي على راحةٍ ومسمع بِجَنْك[٢٠٧]: [من الكامل المجزوء]

للهِ يومُ مَسَرَّةٍ أَضْوَا وأَقْصَرُ من ذُبَالَهْ [٢٠٨]

لما نَصَبْنا للمُنى فيهِ بأَوتارٍ حِبَالَهْ [٢٠٩]

طارَ النَّهارُ بهِ كَمُرْ... .. تاعٍ وأَجْفَلَتِ الغَزالَهْ! [٢١٠]

المصادر والمراجع

– الآثار الأندلسية الباقية – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢٠٤) نَصل اللون: زال.

– يصح في «زور» الرّفع على أنّها فاعل لـ «بدا»؛ والنّصب على الحاليّة. ويكون الفاعل ضميرًا.

وقد أوردنا بيت الكتندي المفرد في موضعه من المجْموع الشعري الخاصّ به: برقم [٢].

(٢٠٥) المغرب (٢/ ١٦٧).

(٢٠٦) هو الرصافي البلنسي وله ذكر في البحث وحواشي المجموع الشعري.

(٢٠٧) الجَنْك: العود (الذي يُعْزَف عليه): انظر تكملة المعاجم العربية – دوزي – نقله إلى العربية محمد سليم النّعيمي (٢/ ٢١٣).

(٢٠٨) «أَضوا» مسهلة الهمزة: أشدّ ضياءً. والذّبالة: الفتيلة التي تُسْرَجُ: تكون في السِّراج فَتُغمر بالزّيت وتُوقد للاستصباح.

(٢٠٩) الحِبَالةُ والأُحْبُول: المصيدة.

(٢١٠) في البيت تورية. النَّهار: اسم يُطلق على بعض الطّير فقيل هو فَرْخُ القطا، وذَكَرُ الحُبَارى، وولد الكرَوان... (اللّسان: ن و ر) والغزالة: مؤنث الغزال ولد الظبية. والتّورية بالنهار (قسيم الليل) والغزالة اسم للشمس عند طلوعها. و: أَجْفل: مضى وأَسْرَع.

- آخر أيام غرناطة = نبذة العصر.
- الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمّد عبد الله عنان – دار الخانجي – القاهرة.
- أدباء مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. صلاح جرار – مؤسسة الرسالة ١٤١٩- ١٩٩٩ بيروت، ودار البشير – عمّان.
- أعلام مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. عبد الله المرابطي التّرغي - دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨.
- أعمال الأعلام – لسان الدين بن الخطيب – حققه ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت.
- البديع في وصف الرّبيع للحميري الأندلسي – تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان – دار الهُدى – ١٩٨٧ – جدّة.
- برنامج شيوخ الرعيني – للرعيني الأندلسي – تحقيق إبراهيم شبوح – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس – الضبيّ – طبعة مجريط ١٨٨٤.
- بغية الوعاة للسيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة عيسى البابي الحلبي مصر ١٣٨٤ – ١٩٦٤.
- ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – الطبعة الثانية – دار قتيبة – دمشق ١٤٠٢- ١٩٨٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس – المرْتضى الزّبيدي – المطبعة الخيريّة – مصر ١٣٠٧/ وطبعة الكويت.
- تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطّوائف والمرابطين – د. إحسان عباس – دار الثقافة- بيروت.
- تاريخ الأدب العربي – د. عمر فرّوخ – دار العلم للملايين – بيروت – ط١.
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – د. حسين مؤنس ٠ معهد الدراسات

الإسلامية – مدريد ١٣٨٦ – ١٩٦٧.
– ترصيع الأخبار للعذري الدلائي – تحقيق د. عبد العزيز الأهواني – نشر المعهد المصري –.
– التكملة لابن الأبار – ط مصر – جزآن – نشر عزة العطار الحسيني.
– جذوة الاقتباس لأحمد بن محمد (ابن القاضي) دار المنصور للطباعة – الرباط ١٩٧٤.
– الحلة السيراء – ابن الأبار – تحقيق د. حسين مؤنس – الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة: ١٩٦٣.
– الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور – زينب فواز – مصورة بدار المعرفة بيروت ١٩٩٠.
– دلائل النبوة للبيهقي – تحقيق عبد المعطي قلعه جي – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥.
– الحلة السيراء لابن الأبار – تحقيق د. حسين مؤنس – الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣.
– ديوان ابن خفاجة – تحقيق د. سيّد مصطفى غازي – منشأة الإسكندرية ١٩٦٠.
– ديوان الرّصافي البلنسي – جمعه وحققه د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط١ .
– الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – لابن عبد الملك المرّاكشي – الجزء السادس خاصّة – دار الثقافة – بيروت.
– رايات المبرّزين وغايات المميّزين – لابن سعيد – تحقيق محمّد رضوان الدَّاية – دار طلاس – دمشق – ط١.
– رحلة الأندلس– د. حسين مؤنس – مطبعة كوستاتوماتس – القاهرة – ١٩٦٤.
– رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة – الشريف الغرناطي – تحقيق د. محمد الحجوي – وزارة الأوقاف – الرباط – ١٩٩٧.
– الرّوض المعطار في خبر الأقطار – الحميري الغرناطي – تحقيق الدكتور إحسان عباس

– بيروت – ط١.
– زاد المسافر وغُرّة محيّا الأدب السافر – صوان بن إدريس – تحقيق عبد القادر محداد – بيروت ١٩٣٩ .
– شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابن العماد الحنبلي – مكتبة القدسي – القاهرة – ١٣٥٠ – ١٣٥١ .
– الشعر الأندلسي في عصر الموحّدين. د. فوزي سعد عيسى – الإسكندريّة – دار المعرفة الجامعيّة.
– عصر الدول والإمارات – د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر (قسم الأندلس).
– عصر الطوائف والمرابطين – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة .
– في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – ط٢ .
– الكامل في التاريخ لابن الأثير – دار صادر ودار بيروت – لبنان – ١٣٨٦ – ١٩٦٦.
– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – ياقوت الحموي – حققه علي البجاوي – نشرة دار المعرفة لبنان (مصوّرة).
– مشاهدات لسان الدين بن الخطيب – تحقيق د. العبّادي – جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨.
– المطرب من أشعار أهل المغرب – ابن دحية – حققه إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي – المطبعة الأميرية بالقاهرة – ١٩٥٤.
– المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب – المراكشي – تحقيق محمد سعيد العريان – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٩٦٣.
– معجم الأدباء (إرشاد الأريب..) ياقوت الحموي – طبعة دار المأمون – القاهرة.
– معجم البلدان – ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت.
– المغرب في حُلى المغرب – ابن سعيد – تحقيق د. شوقي ضيف – دار المعارف القاهرة – ط٢.

- المقتضب من تحفة القادم – ابن الأبّار – تحقيق إبراهيم الإبياري – وزارة التربية بالقاهرة ١٩٥٧.
- الموسوعة في عُلوم الطبيعة – تأليف إدوار غالب– المطبعة الكاثوليكية – بيروت – ١٩٦٥.
- نبذة العصر من أخبار ملوك بني نصر (آخر أيام غرناطة) تحقيق محمد رضوان الداية – دار الفكر .
- نزهة الجلساء (ديوان الخمساء – المطبعة الكاثوليكية – بيروت .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الشريف الإدريسي – طبعة عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩- ١٩٨٩.
- نفح الطيب – المقّري – تحقيق د. إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت .
- الوافي بالوفيات – الصّفدي (الجزء الثالث) باعتناء ديدرنغ – فسبادن – ١٤٠١ – ١٩٨١.
- وفيات الأعيان – ابن خلّكان – تحقيق . د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت.

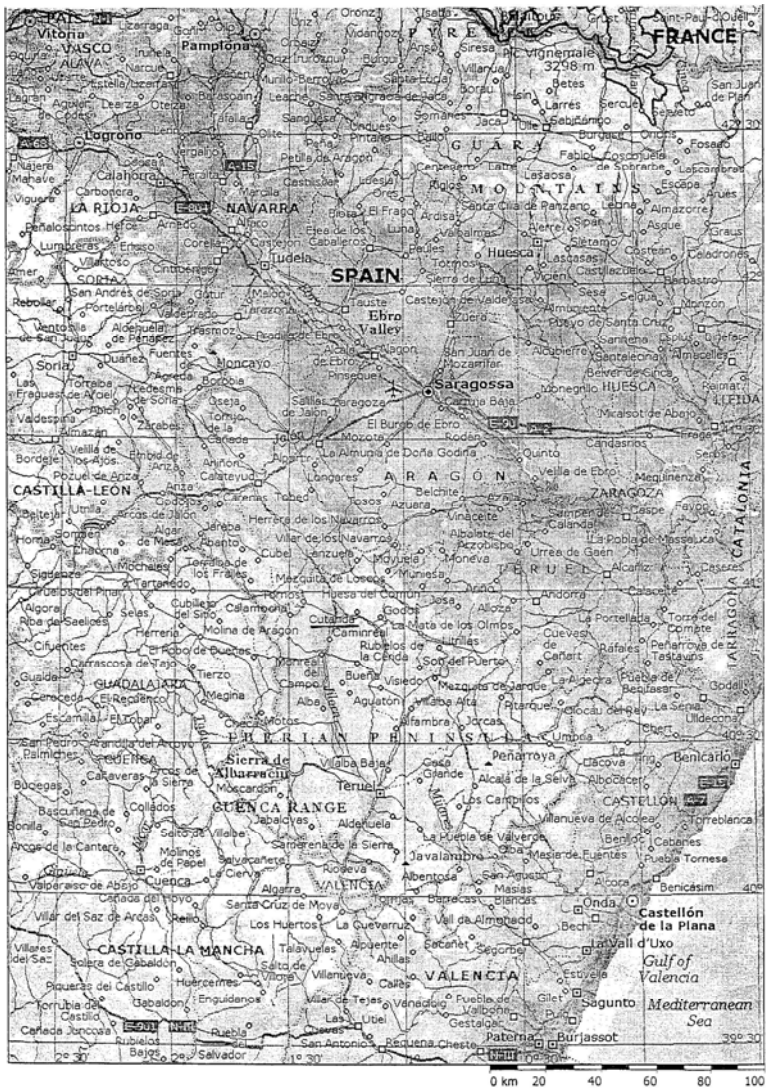
FRANCE
SPAIN
PAIS VASCO
NAVARRA
LA RIOJA
ARAGÓN
CASTILLA-LEON
CASTILLA-LA MANCHA
VALENCIA
CATALONIA
Ebro Valley
Pyrenees
Pamplona
Vitoria
Logroño
Tudela
Huesca
Saragossa
Teruel
Cuenca
Castellón de la Plana
Gulf of Valencia
Mediterranean Sea
0 km 20 40 60 80 100
Arag?n
Spain
Microsoft ® Encarta ® Premium Suite 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. All rights reserved.

صفات الكلمة الحسنة المقبولة
عند ابن الأثير

د. محمد أديوان

إن الدراسة الصوتية للأبنية اللفظية العربية منطلَق أساسي لدراسة جمال التركيب الصوتي في الكلام. فالقوانين الصوتية للخطاب الأدبي من الأمور التي اهتم بها ابن الأثير في كتبه.

وقد قسَّمَ ابن الأثير الألفاظ إلى حسن وقبيح، وذلك بحسب التداول والاستعمال. والألفاظ عنده تنقسم ثلاثة أقسام:

«قسمان حسنان وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان: أحدهما ما تداول استعماله الأول دون الآخِر، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي لا يُعابُ استعماله عند العرب، لأنه لم يكن عندهم وحشيًّا وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات محدودة وهي التي يُطلق عليها «غريب القرآن»، وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئًا وهو الذي يُطْلَقُ عليه غريب الحديث»[1].

ويناقش ابن الأثير من ذهب إلى القول بأن كلمة «ضيزى» في الآية الكريمة ليست في مكانها الملائم من النسيج الخطابي القرآني فيرُدُّ عليه قائلاً: «إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة. ولاشك أن «جائرة» أحسن من «ضيزى» إلا أنّا إذا نظمنا الكلام فقلنا: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وله الأُنْثَى، تلك إذًا قِسْمَة ظالمة، لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام

(1) المثل السائر، ج١، ص (١٧٦).

كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام»[٢].

وقد حدّد ابن الأثير أوصافًا للكلمة بها تكون حسنةً ومقبولة، وأولها ألا تكون الكلمة من الوحشي فما هو الوحشي إذًا؟

الوحشيّ (من الألفاظ):

يرى ابن الأثير أن الوحشيّ قد خفي «على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الألفاظ، وليس كذلك، بل الوحشيّ ينقسم قسمين أحدهما: غريب حسن، والآخر غريب قبيح. وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس. وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحًا، بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنس، فتارة يكون حسنًا وتارة يكون قبيحًا. وعلى هذا فإن أحد قسمي الوحشي – وهو الغريب الحسن – يختلف باختلاف النّسب والإضافات، وأما القسم الآخر من الوحشي – الذي هو قبيح – فإن الناس في استقباحه سواء، ولا يختلف فيه عربي بادٍ ولا قروي متحضّر. وأحسن الألفاظ ما كان مألوفًا متداولاً، لأنه لم يكن مألوفًا متداولاً إلا لمكان حسنه»[٣].

والوحشي الذي يُعابُ في الاستعمال ولا يقبلُهُ أحد، فهو المسمى «الوحشي الغليظ»[٢].

ومعايير الوحشيّ من اللفظ كثيرة، يعرضها ابن الأثير في قوله: «فلا تَظُنَّ أن الوحشيّ من الألفاظ ما يكرهه سمعك، ويثقلُ عليك النطق به، وإنّما هو

(2) المثل السائر، ج١، ص (١٧٧).

(3) المصدر نفسه، ج١، ص (١٧٥– ١٧٦).

الغريب الذي يقلُّ استعماله، فتارة يخفّ على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقُل على سمعك وتجد منه الكراهة»[٤].

فالتفرقة بين ما هو وحشي معيب، وما ليس كذلك، لا تتعلق بالتشكل الصوتي للفظ من الألفاظ، وإنما هو معيار استعمالي يأخذ بعين الاعتبار مدى التداول الذي يحظى به اللفظ المعني.

وقد كان الأمر السائد، في التصور البلاغي لفصاحة الكلمة، هو النظر في بنية الكلمة الصوتية، في حين أن الاستعمال غدا عاملاً حاسمًا في تمييز الوحشي من غير الوحشي عند ابن الأثير بهذه الصورة الدقيقة التي رأينا.

ومعايير الوحشي الغليظ من الألفاظ عيوبٌ تظهر فيه أهمها عيبان: «أحدهما أنه غريب في الاستعمال. والآخر أنه ثقيل على السمع كريه على الذوق. وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يُسمى الوحشيّ الغليظ، ويسمى أيضًا «المتوعر» وليس وراءه في القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً...»[٤].

ويورد ابن الأثير على ذلك مثالاً لتأبط شرًا من كتاب «**الحماسة**» حيث يقول:

يظلُّ بِمَوْماةٍ ويُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا ويَعْرَوْرِي ظُهُورَ المسَالِكِ[٥]

(4) المثل السائر ، ص (١٨٠– ١٨١).

(5) الجحيش: بمعنى الفريد أو المنفرد. والموماة: المغارة أو الصحراء العريضة لا ماء فيها. يعروري: يركب ظهور: أي متون. المسالك: الطرق، ولعله يقصد الشعاب الصعبة التي قد تودي بحياته.

وعلَّقَ ابن الأثير على لفظة «جحيش» في البيت، واعتبرها من الألفاظ المنكرة القبيحة وتعجب من سلوك الشاعر هذا المسلك، ولامه من وجهين: «أحدهما أنه استعمل القبيح. والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله، فلم يعدِلْ عنه»[٦].

وأما الغريب الحسن فقد حبّذه ابن الأثير، ولم يرَ عيبًا فيه إذا استعمله الأديب «والعرب إذًا لا تُلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ، وإنما تلامُ على الغريب القبيح. وأما الحضري فإنه يلام على استعمال القسمين معًا، وهو في أحدهما أشدُّ ملاَمةً من الآخر»[٧]. ولعله يقصد بهذا الكلام أن الحضري أي القاطن بالحاضرة والبعيد عن أجواء البادية قد يلام في استعماله للغريب القبيح والحسن معًا. ولومه على استعمال الغريب القبيح أشدُّ من لومه على الغريب الحسن، لأن ذوقه المصقول، وحِسَّهُ الحضاري، ولغته الرقيقة، تغنيه عن التماس الغريب في كلامه.

وقد يستحسن ركوب الغريب الحسن في الشعر دون النثر، وهو أمر توصل إليه ابن الأثير وعبّر عنه بقوله: «وذلك استخرجته أنا دون غيري، فإني وجدْتُ الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر، ولا يسوغُ في الخطب والمكاتبات»[٨].

ومن الغريب الذي يُستحسن في الشعر لفظة «مشمَخِر» في قول البحتري:

«مُشْمَخِرٌّ تعْلُو لَه شرُفات رُفِعَتْ في رُؤُوسِ رَضْوَى وقُدْسِ»[٩]

وعلق ابن الأثير على هذا الاستعمال الغريب بقوله: «فإن لفظة «مشمخر» لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات، ولابأس بها هنا في

(6) المثل السائر، ج١، ص (١٨١).

(7) المصدر نفسه، ص (١٨٢).

(8) نفسه، ج١، ص (١٨٢– ١٨٣).

(9) نفسه، ج١، ص (١٨٣). والمشمخِرُّ في اللغة الجبل العالي.

الشعر»[١٠]. وأورد مثالاً على استعمال الكلمة نفسها في النثر والخطابة في قوله: «وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة، كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة، فقال: اقمَطَرَّ وبالُها، اشْمَخَرَّ نِكَالُها، فما طابت ولا سَاغت»[١١].

فالأسلوب الشعري يقبل مثل هذه الكلمات العربية الخشنة في حين أن الأسلوب النثري يرفضُها، وتأتي فيه مستثقلة مكروهة يمجُّهَا الذوق والسمع، وينبو بها مكانها في التركيب.

وقد ضربَ ابن الأثير أمثلة للغريب المستحسن في الشعر كلفظ «الكَنَهْوَر، لوصف السحاب وهو العظيم المتكاثف ولفظ «العِرمِس»، للناقة الشديدة و«الشدَنِيَّة»، وهي الناقة الكريمة.

وهذا التمييز بين ما يُستساغ في الشعر، ولا يُستساغ في النثر، إنما يُعَوَّلُ فيه على **الذوق**، أي مَدَى استجابة النفس لهذا اللفظ أو ذاك في **السياق** الشعري أو النثري. ويستخرجُ ابن الأثير قانونًا عامًا لاستعمال الغريب في الكتابة الأدبية فيقول: «وعلى هذا فاعلم أن كُلَّ ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظ يسوغُ استعماله في الكلام المنظوم، وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم، يسوغُ استعماله في الكلام المنثور. وذلك شيء استنبطُّه واطَّلَعتُ عليه، لكثرة ممارستي لهذا الفن، ولأنّ **الذوق** الذي عندي دَلَّنِي عليه»[١٢].

(10) المثل السائر، ج١، ص (١٨٣).

(11) نفسه، ج١، ص (١٨٤).

(12) نفسه، ج١، ص (١٨٥).

ولقد لاحظ ابن الأثير في هذا القانون الذي وضَعَهُ أن الذوق هو ملاك الأمر في التمييز بين ما يسوغُ وما لا يسوغُ. وهذه النظرة الذوقية أصْلٌ لموقف جمالي عام، يحتكم فيه ابن الأثير إلى أثر الذوق في البنيَة الأسلوبية للتعبير العربي. وقد ذهب فريق ممن عرض ابن الأثير رأيهم في الفصاحَة، إلى «أن الكلام الفصيح هو الذي يعِزُّ فهْمُه ويبْعُدُ متناولُه»[١٤]. وأهل هذه الجماعة يصفهم ابن الأثير بالمدعين لصناعة الكتابة، وهم «إذا رأوا كلامًا وحشيًّا غامضَ الألفاظ يعجبُون به، ويصفونه بالفصاحَة، وهو بالضّدِّ من ذلك»، والفصاحة عند ابن الأثير لا يُعْتَدُّ فيها بالغوص وراء المعنى، أو بُعْدِ متناوله ، «لأن الفصاحَة هي الظهور والبيان، لا الغموض والخفاء»، ولبيان أمر الفصاحَة، وما تنقسمُ إليه الألفاظ بحسب الاستعمال، يعرض الناقد ما يُعْتَمَدُ عليه في ذلك فيقول[١٤]: «الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه:

١- فالجزل يُستعمل في مواقف الحزم والحماسة، كوصف مواقف الحرب أو التهديد.

٢- وأما الرقيق فهو يُستعمل فيما دون ذلك من المواقف، ممَّا يستدعي الأشواق والتلهف على الحبيب البعيد، واستجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك»[١٣].

والجزل من الألفاظ لا يكون وحشيًّا متوعِّرًا عليه أمارة البداوة بل «أعني بالجزل أن يكون مبيّنًا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع، وكذلك لست

(13) المثل السائر، ج١، ص (١٨٥).

أعني بالرقيق أن يكون ركيكًا سفسَفًا وإنما هو اللطيف، الرقيق الحاشية، الناعِمُ الملمس».

ومما يلفت النظر في عبارة ابن الأثير، هذا المصطلح المتميّز الذي يستعمله في تعاريفه وتحديداته، فهو يُبنَى على أساس ذوقي ظاهر، كمصطلحات **العذوبة واللذاذة والرقّة والنعومة**، وهي كلها مصطلحات ذوقيّة لها مداخل معجميَّة وثيقة العُرَى بمجالات المأكل والمشرب والملبس، وهي كلها أمور ذوقيّة في أصلها يَحصل فيها التفاوت بين الناس.

وقد أورد ابن الأثير أمثلة للرقيق والجزل من الألفاظ في نصوص مختلفة من الكلام العربي بدءًا بالقرآن الكريم، ووصولاً إلى الشعر والنثر، في عصور الأدب المختلفة ومنها زمنه وأدبه هو نفسه.

ومن الجزل في القرآن تلك القوارعُ عند «ذكر الحساب والعذاب والميزان والصّراط، وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى»(١٤). ومن الرقيق، الذي لا يُرى فيه ضعف ولا سَفسَف، ما في القرآن من «ذكرِ الرحمة والرأفة والمغفرة، والملاطفات في خطاب الأنبياء، وخطاب المنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى»(١٤).

وسنوردُ مثالين من القرآن مما عرض له ابن الأثير في كتابه، أحدهما عن الجزل من الألفاظ، والثاني عن الرقيق منها.

أما **الجزل** من الألفاظ فقوله تعالى: ﴿ولَقَد جِئتُمُونَا فُرادَى، كَما خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ، وتَرَكتُم ما خَوَّلْناكُم وَراءَ ظُهُورِكُم، وما نَرَى مَعَكُم

(14) المثل السائر، ج١، ص (١٨٦).

شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمتُم أنَّهُم فِيكُم شُرَكاءُ، لَقَد تَقَطَّعَ بَينَكُم، وضَلَّ عَنكُم ما كُنتُم تَزعُمُونَ﴾(١٥).

وأما **الرقيق** فمثاله قوله تعالى: ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ﴾(١٦)

ويتوخّى ابن الأثير من هذه الأمثلة وغيرها، مما أورده للجزل والرقيق من الألفاظ، وضع أصول لنظرة أسلوبيّة إلى الكلام العربي من الزاوية التعبيريّة. فالقوة والجزالة والرقة واللطف، التي تتصف بها الألفاظ عادة في مواطن من التعبير، لا تتّصف بها إلا لكون المكان أو المواضع التي تأتي فيها في التعبير تمنحُها هذه الصّفةَ، باعتبار معيار التلقّي الذي يحكم عليها بالجزالة تارة وبالرقة تارة أخرى. فالجزالة والقوة كاللطف والرقة ليست صفات ملازمة للألفاظ، وإنما هي صفات يخلعُها ذوق المتَلَقّي عليها في موقف أسلوبي معيّن. والنظرة الأسلوبيّة الُمعتَمِدة على تقبُّل الكلام، والانفعال له، هي وحدها المؤهَّلة لبيان مواضع الجزالة والرقة في الكلام. وابن الأثير كان رائدًا في هذا النوع من النظر الأسلوبي الذوقي.

وقد أخذ ابن الأثير على شعراء الحضر ركوبهم الغريب في شعرهم. وممن نحى عليهم باللائمة الشاعر ابن هانئ المغربي الأندلسي، (ت ٣٦٢هـ)، الذي قال في شعره:

«وما راعَهُم إلا سرادِقُ جَعْفَر يَحُفُّ بِهَا أُسْدُ اللِّقَاءِ الدَّلاَهِثُ
وما تستوي الشَّغواء غير حثيثة قوادِمُهَا والكاسِراتُ الحَثائِثُ»(١٧)

(15) المثل السائر، ج١، ص (١٨٧). سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(16) نفسه، ج١، ص (١٨٧) وسورة البقرة: الآية ١٨٦.

فهذا كلام مستقل علق عليه ابن الأثير بقوله: «ألا ترى إلى هذه الكلمات كيف يكرهها السمع، وينبو عنها الطبع، وتستكرهها القُلوبُ، وتعافُها النفوس، وكأن الإنسان عند الوقوف عليها خابطٌ خبطَ عشواء، لا يدري أين يَضَعُ رجْلَهُ»(١٨).

ومن الرقيق الذي يراه ابن الأثير «ممَّا ترقص الأسماع له، ويرن على صفحات القلوب، قول يزيد بن الطثرية في محبوبته مِن جَرْمٍ:

بنفسي مَن لَوْ مَرَّ بَرْدُ بنانه على كبدي كانتْ شفاءً أنامِلُه
ومن هابني من كل شيء وهِبْتُهُ فَلاَ هو يُعطِيني ولا أنا سَائلُه»(١٩)

ويرى ابن الأثير أن هذا البدوي قال شعرًا رقيقًا، جديرًا بشعراء الحاضرة الذين يصطنع بعضهم الغريب في شعره، كقول ابن هانئ المذكور سابقًا وغيره(٢٠).

ولعلَّ هذا الموقف من ابن الأثير يدُلُّ على مدى تحكيمه الحس الحضاري، أو عامل البيئة في حكمه النقدي والأسلوبي، على طرق الشعراء في القول

---

(17) الجامع الكبير، ص (٤٦). السرادق: الخيمة الكبيرة. جعفر: وهو أبو علي جعفر ابن علي الأندلسي أمير الزاب، قال فيه ابن هانئ المدائح الكثيرة. (الأعلام للزركلي). الدَلاهثُ: واحدها دلهث: الأسَدُ الشغواء: العُقابُ. القوادم: كبار مقدّمات الريش في جناح الطير. الحثائث ج. حثيثة.

(18) الجامع الكبير، ص (٤٧).

(19) المثل السائر، ج١، ص (١٩١).

(20) من ذلك قول ابن الرومي الذي أورده ابن الأثير في بيتين:

اسقِني الأسْكرَكَةَ الصّنـ نَبْرَ في جعضلفونة
واترك الفيجَنَ فيـ ـه يا خليلي بغصونه

ومنازعهم في التعبير. فاختلاف درجاتهم وأقدارهم ليس رهينًا فقط بما هم عليه من معرفة شعريَّة ودراية بأدوات النظم، وإنما بما هم عليه من جعل درايتهم هذه تتوافق ومقتضيات المواقف الشعوريّة والنفسيَّة التي تتّصف بها تجربتهم الإبداعية. ولاشك أن العامل البيئي أو الحضاري له دور كبير وفعال في توجيه أساليب المبدعين من الأدباء والشعراء. وقد صرَّحَ ابن الأثير بهذا المطلب في تصوره الأسلوبي معلقًا على قول يزيد بن الطثريّة المشار إليه آنفًا فقال: «وإذا كان هذا قول ساكن في الفلاة لا يرى إلا شِيحة أو قيصومة، ولا يأكل إلا ضبًّا أو يربوعًا، فما بال قوم سكنُوا الحضَر ووجدوا رقّة العيش، يتعاطوْن وحشيّ الألفاظ وشظف العبارات؟ ولا يخلد إلى ذلك إلاَّ: إما جاهل بأسرار الفصاحة وإمّا عاجز عن سلوك طريقها»[٢١].

وقد يأتي البعض من مدّعي هذه الصناعة بالغريب في كلامِهِ، والوحشيّ منه خاصة «وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها، وأما الفصيح المتصف بالملاحة فإنه لا يقدِرُ عليه، ولو قدُر عليه لم يعلم أين يضع يده في تأليفه وسبْكه»[٢٢].

وطفق ابن الأثير يقدّم نماذج متنوعة من أساليب الشعراء البدويين والمتحضرين في الجزل والرقيق من الشعر، فقدّم مجموعة من الآراء الأسلوبيّة في شعر هؤلاء الشعراء، ومن ذلك قوله في أبي العتاهية: «وكل شعر أبي العتاهيّة كذلك سهل الألفاظ، وسأورد منه هنا شيئًا يستدلُّ به على سلاسة طبعه

(21) المثل السائر، ج١، ص (١٩١).

(22) نفسه، ج١، ص (١٩٣– ١٩٤).

وترويق خاطره. فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهديّ ويُشبِّبُ فيها بجاريته عَتْب»:

ألا إن جاريَةً للإما مِ قد سَكن الحسْنُ سربالَها
لقد أتْعَبَ الله قلبي بها وأتعَبَ في اللّوْمِ عُذّالَهَا

فلمّا وصل إلى المديح قال:

أتته الخلافة منقادةً إليه تُجَرِّرُ أذيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تصْلُحُ إلاّ لَهُ ولم يَكُ يَصْلُحُ إلاَّ لَهَا» (٢٣)

وعلّق ابن الأثير على هذا الشعر، وعدَّهُ وما شاكلهُ من السَّهْلِ الممتنع حيث قال: «واعلم أن هذه الأبيات المشار إليها ها هنا من رقيق الشعر غزلاً ومديحًا، وقد أذعنَ لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر، ومع هذا فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات.

وهذا هو الكلام الذي يُسمَّى السهل الممتنع، فتراه يُطمِعُكَ، ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب.

وهكذا ينبغي أن يكون مَن خاض في كتابةٍ أو شعر، فإن خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن»(٢٤).

ولعل في الجملة الأخيرة في نص ابن الأثير دلالة واضحة على منحاه الأسلوبي في الحكم على الكلام الأدبي وعلى **أدبيّة** النصوص، **فالمتلقي** هو الذي يحكم على نص ما بتحقيق الأدبيَّة فيه. وذلك عندما يدخل الكلام بغير إذن. أي عندما ينفذ الكلام إلى دخيلاء المرء ونفسه ووجدانه نفاذًا تلقائيًّا

(23) المثل السائر، ج١، ص (١٩٣- ١٩٤).

(24) نفسه، ج١، ص (١٩٤).

وعفو الخاطر، دون حاجة إلى الغوص وراء المعاني المستغلقة أو النفور من الأبنية الصوتية الناشزة. إن الاهتزاز والارتياح للكلام شعوريًّا ووجدانيًا يولِّدُ طربًا به وانفعالاً له، وهذا هو أحسن الكلام. ومن هذه الزاوية الأسلوبيّة **والتفاعلية**، مع الأسلوب الأدبي في النصوص، يصوغُ ابن الأثير رأيًا بخصوص الجزل والرقيق من الألفاظ حيث يقول: «واعلم أن الألفاظ تجري في السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تُتَخيَّلُ في السّمع كأشخاص عليها مهابة ووقار. والألفاظ الرقيقة تُتخيَّلُ كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج»[٢٥].

وبناء على هذا التعريف الأسلوبي للجزل والرقيق، يقدّم ابن الأثير رأيًا دقيقًا عن ألفاظ أبي تمام والبحتري لا يخلو من طرافة يقول فيه: «ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطّراد. وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حِسَان عليهنّ غلائل مصبغات وقد تحلّيْنَ بأصناف الحليّ»[٢٦].

وهناك أمور يتميّز فيها النظم عن النثر في أوصاف الألفاظ، لا سيما الوحشي منها فإن «الإنكار على الناثر في استعمال الوحشيّ من الكلام أكثر من الإنكار على الناظم، وذلك لأن الناثر واسع المجال مطلق العنان، متصرّف كيف شاء، قادر على أن يُقيم مكان اللفظة التي ذكرها لفظة أخرى مما هو في معناها؛ والناظم قد لا يُمكنه ذلك، لأن مجال التأليف عليه حرج ونطاقه ضيق، وإذا أراد أن يُقيم لفظة مكان لفظة لا يتأتى له ذلك في جميع الحالات،

(25) المثل السائر، ج١، ص (١٩٥).

(26) نفسه، ج١، ص (١٩٥).

لانفساد الوزن عليه»[٢٧]. فالناظم أكثر عذرًا في ركوب الوحشي من الكلام، أما الناثر فلا عذر له حسب ما يقرّره ابن الأثير في قوله السابق.

وعلى الناظم والناثر معًا اجتناب «ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصّاد والطّاء والظاء والغين، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يَحسُنُ من هذه الأحرف المشار إليها». والناظم في ذلك أشدّ ملامَةً و«هو لا يُعَابُ إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره، بل يعابُ إذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة»[٢٨].

على أن هذه الحروف تتفاوت في كراهتها في الاستعمال. وأشدُّها كراهة أربعة هي: الخاء والضّاد والظاء والغين، والباقية أهونُ حالاً.

ويلاحظ ابن الأثير أن «واضع اللغة لم يضع عليها (هذه الحروف) ألفاظًا تعذُبُ في الفم ولا تَلَذُّ في السّمع، والذي هو بهذه الصفة منها فإنما هو قليل جدًّا»[٢٧].ومن صفات الكلمة ألاّ تكون مبتذلة بين العامَّة. فما هو المبتذل من الألفاظ إذًا؟

المبتذل (من الألفاظ):

والمبتذل في اللغة: الشائع العادي المخصوص بالعامَّة من الكلام، والمبتذل في اصطلاح ابن الأثير قسمان:

الأول: «ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضِعَ له في أصل اللغة فغيّرته العامّة وجعلته دالاً على معنى آخر»[٢٩]، وهو ضربان:

(27) الجامع الكبير، ج١، ص (٤٨).

(28) المثل السائر، ج١، ص (١٩٦).

(29) الجامع الكبير، ص (٥٠). قارن بما ورد في كتاب المثل السائر، ج١ ص (١٩٨) من النماذج عن استعمال «الظرف» في أماكن متنوعة من الشعر.

١- ما يُكرَهُ ذكره كقول أبي الطيب:

«أذاق الغَوَانِي حسنُه ما أذاقَنِي وعَفَّ فجازاهُنَّ عَنِّي بالصّرْمِ[٣٠]

فإن معنى لفظة «الصّرم» في وضع اللغة هو القطع. يُقالُ «صَرَمَهُ» إذا قطعه. فغيّرتها العامة وجعلتها دالة على المحلّ المخصوص من الحيوان دون غيره، وأبدلوا السين صادًا. ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها، لكن المكروه منها ما يُستعمل على صيغة الاسميّة، كما جاءت في هذا البيت»[٣١].

وهذا لا يعابُ على البدوي إذا لجأ إليه في الاستعمال، ولكنه يُعابُ استعماله عند المتحضر، لأن البدويّ لم تتغيّر دلالات الألفاظ في زمنه، ولم تخرج بها العامة عن استعمالاتها الأصلية في وضع اللغة[٣٠].

٢- ما هو في أصل اللغة له معنى ثم حولته العامة عن ذلك المعنى إلى غيره «إلاَّ أنه ليس بمستقبح ولا مستكره»[٣٠]، ومثاله تسمية العرب «الإنسان ظريفًا إذا كان دمث الأخلاق، حسن الصورة واللباس طيب الريح. والظريف في أصل اللغة بخلاف ذلك لأن الإنسان إنما يُسمَّى ظريفًا إذا كان حسن النطق فقط. إذ الظّرف يتعلق باللسان لا غير»[٣٢].

الثاني: «ما ابتذلته العامة وهو الذي لم تغيّره عن وضعه»[٣٣]. ويرجِّحُ ابن

(30) الصّرم: القطع. والبيت في **ديوان المتنبي** من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي. (انظر: **المثل السائر**، ج١، ص ١٩٦).

(31) المثل السائر، ج١، ص (١٩٧).

(32) الجامع الكبير، ص (٥٠). قارن بما ورد في كتاب المثل السائر، ج١ ص (١٩٨) من النماذج عن استعمال «الظرف» في أماكن متنوعة من الشعر.

(33) المثل السائر، ج١، ص (١٩٨).

الأثير أن يكون المقصود هنا بالابتذال الألفاظ السَّخيفة والضعيفة «سواء تداولتها الخاصّة أو العامّة»[٣٤].

ومن ذلك قول البحتري:

وجُوه حُسَّادِك مسودَّة أم صُبِغَتْ بَعدي بالزَّاجِ[٣٥]

ومن أصناف الكلمة:

- **ألا تكون مشتركة** بين معنيين أحدُهُما يُكره ذِكره[٣٦].
- أن تكون الكلمة مؤلَّفةً من أقل الأوزان تركيبًا[٣٧].

وقد لاحظ ابن الأثير في هذا الصَّدَد أن ابن سنان أخطأ في استقباح لفظة «سُوَيْداواتها»[٣٨] بسبب طولها، والدليل الذي ساقه هو أن في الكلام العربي ما يفوق هذه اللفظة حروفًا لكنه جميل في موضعه كلفظتي «سيكفيكهم» و«يستخلفنهم»[٣٩] في القرآن الكريم.

ويستخرج ابن الأثير **قانونًا أسلوبيًّا** عامًا للأوزان المستحسنة في الألفاظ مفاده «أن الأصول من الألفاظ لا تحسنُ إلا في الثلاثي وفي بعض الرّباعي، كقولنا «عذب» و«عَسْجد». فإن هاتين اللفظتين إحداهما ثلاثية والأخرى رباعيّة، وأما الخماسي من الأصول فإنّه قبيح، ولا يكاد يوجد منه شيء

(34) نفسه، ص (١٩٩). وقارن مع ما قاله في الجامع حول هذا القسم الثاني إذ لم يورد هذا الترجيح وإنما اكتفى بتعريف القسم الثاني من المبتذل. (انظر الجامع الكبير، ص ٥١).

(35) المثل السائر، ج١، ص (٢٠١).

(36) نفسه، ج١، ص (٢٠٢).

(37) نفسه، ج١، ص (٢٠٤).

(38) انظر: الفصاحة لابن سنان الخفاجي حيث قال: «فسويداواتها كلمة طويلة جدًّا، فلذلك لا أختارها» ص (٨٨).

(39) انظر الآية (١٣٧) من سورة البقرة؛ والآية (٥٥) من سورة النور.

حسن، كقولنا «جحمرش» و«صَعْصَلِقُ» وما جرى مجراهما»[٤٠].

إن المعَوَّل عليه في استحسان التأليف اللفظي في كلمة ما، ليس هو طُولها أو قصَرُها كما يُفهم من موقف ابن سنان الذي اعترض عليه ابن الأثير، وإنما المعول عليه في نظر هذا الأخير:

– مراعاة تآلُف بعض الحروف مع بعض في النظم.

– تجَنُّبُ الألفاظ المؤلَّفة من حروف يثقل النطق بها، سواء كانت طويلة أو قصيرة[٣٩].

وقد أورد ابن الأثير تحليلاً دقيقًا من الزاوية الصوتية الوظيفيّة (الفونولوجيّة) لكلمة «مستشزرات» التي استثقلها، وعلَّق على من يَعْتَبِرُ أن السبب في استهجانها هو طولها فبيَّن أن كراهة هذه اللفظة ليس لطولها، لأننا «لو حذفنا منها الألف والتاء قلنا «مستشزر»، لكان ذلك ثقيلاً، وسبَبُه أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي، فثقل النطق بها. وإلا فلو جعلنا عوضًا من الزاي راء، ومن الرّاء فاء، فقلنا «مستشرف» لزال ذلك الثقل»[٤١].

ومن أوصاف الكلمة أيضًا:

أن تكون مبنيّة من حركات خفيفة ليخِفَّ النطق بها. والقانون العام الذي يضبط توزّع الحركات في الألفاظ يأتي في كلام ابن الأثير بهذه الصيغة: «إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تُستثْقَل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنَّه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استُثقِلَتْ»[٤٠].

ولذلك تُستثقل الضمة على الواو والكسرة على الياء، فالكلمة قد تأتي في مواطن من التعبير حسنة رائقة، وفي مواطن أخرى مستكرهة ثقيلة. وحروفها

(40) المثل السائر، ج١، ص (٢٠٥).

(41) المثل السائر، ج١، ص (٢٠٦).

تظل هي نفسها من المخارج ذاتها، غير أن **اختلاف حركاتها** هو السبب في **استحسانها** تارة **واستثقالها** تارة أخرى. وهذا ما يُسميه ابن الأثير **باختلاف تأليف الحركات** في الكلمة(٤٢).

أما صفة الحوشي التي ذكرها ابن الأثير، فإنها صفة تَلْحق الصوت من حيث عدم تناسق مقادير الفضاءات النطقية فيه، بحيث يختل نظام تأليفه الصوتي فيأتي فيه من النّشاز والتنافر، ما يجعل الأذن تستمع إليه من غير ارتياح. ومعيار الفصاحة مخالف لذلك، لأن اللفظة الفصيحة لا تكون حوشيّة مضطربة التأليف الصوتي، وإنما تأتي على قدر كبير من التوازن والتناسب الصوتي، أي «أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حُسنًا ومزيّةً على غيرها»(٤٣).

وإذا رُمنا تحليل المعيار النطقي، الذي يعتمد عليه ابن سنان في هذا القول، فإننا نلاحظ أن هذا المعيار هو شكلي مادّي، في حين أن المعيار السمعي الذي يعتمده ابن الأثير يظل ذوقيًّا وأكثر التصاقًا بجمال النص باعتبار أن النسيج اللفظي هو في النهاية «النص الأدبي».

فالمعيار النطقي وحده لا يكفي لإثبات جمال النص أو نفيه في هذه الحال، لأننا في حاجة إلى موقف المتلقّي أو المتقبل الذي يرتاح في أثناء الاستماع أو يقلق وينفر.

(42) نفسه، ج١، ص (٢٩٧). وقد ضرب ابن الأثير مثلاً للألفاظ التي توالى فيها الضمّ ولم تُستثقل في آيات من القرآن وأبيات من الشعر، فبيَّن أن الاستثقال ليس حكمًا على تأليف الحركات في اللفظ باعتبار ظاهر التأليف الصوتي، وإنما هو حكم على ذلك باعتبار التفاعل النّفسي مع الإيقاع الصوتي للفظ في سياق صوتي محدَّد قد يؤدي إلى الاستحسان أو الاستهجان.

(43) سر الفصاحة، ص (٦٤).

ومن ثم يكون موقف ابن الأثير أقرب إلى الذوق واعتماد موقف المتلقي المستمع في الحكم على فصاحة اللفظة المفردة.

أما عن الوحشي من الألفاظ وهو الذي يصعب أن تستأنس به الأذن فالأمر فيه على ما قرّره ابن الأثير، غير أننا إذا نظرنا إلى هذه المسألة الصوتية من الناحية المادّية باعتبار الصوت صوتًا ماديًّا، فإن صفة الوحشية هنا صفة غير مادية، وإنما هي صفة نفسيّة ناجمة عن كون اللفظ الذي يتصفُ بهذه الصفة عند ابن الأثير هو اللفظ الذي قلَّ تداوله في اللغة، فكان مثل الوحش في الفلاة صوتًا هائمًا في المجال اللغوي، لا نكاد نصادفه إلا إذا ابتعدنا عن الرصيد المتداوَل، وتعمّدنا إيراد هذه الألفاظ النافرة مثل الوحوش التي يقل الاستئناس بها.

فهذه الصفة إذًا نفسية ولا علاقة لها بالمجال اللغوي في تقديرنا. وإنما التحليل الذي أتى به ابن الأثير تحليل أسلوبي، ينظر إلى اللفظة في سلسلة الكلام باعتبار درجة تواترها واطمئنان ذوق المتلقي لها. فهي إذا كانت كثيرة التداول صادفت هوى في نفسه، وإن كانت قليلة التداول كانت من الغريب النادر الذي يجافي روح الفصاحة في نظر بعض النقاد كالجاحظ وابن سنان الذي يجعل من شروط فصاحة اللفظة الواحدة «أن تكون الكلمة، كما قال أبو عثمان الجاحظ، غير متوترة وحشيَّة»(٤٤).

إن ما يسميه البلاغيون القدماء الفصاحة في الكلمة، بهذا التصور المتعدّد الصور، هو ما سمّاه الناقد عبد الله الطيب «الجرس»، وهو يقصد بهذا المصطلح الصوتي مجموع الصفات الصوتية التي تُحقق للفظةٍ ما لدى المتلقي الارتياحَ

(44) سر الفصاحة، ص (٦٦).

النفسي اللازم، لكونها فصيحة. ويرى الناقد المذكور «أن النقاد القدماء ضل عنهم أن يستعملوا كلمة الجرس استعمالاً اصطلاحيًا»[٤٥].

ولقد ارتبط مفهوم الفصاحة باللفظ عند هذا الناقد بحيث اعتبر أن صفة الجرس بما تحمله من الانطباع الصوتي هي المؤشر إلى فصاحة الكلمة، وهذا التصور يأخذ بعين الاعتبار الجانبين النطقي والسمعيَّ معًا، مادام الجرس مجرَّد انطباع يمتزج فيه الوصف الصوتي للكلمة والوصف الذوقيّ لأثرها في المتلقي.

ولقد اقترن مفهوم الفصاحة باللفظ عند أبي هلال العسكري الذي اشتَط في الدفاع عن أطروحة عزل الفصاحة عن المعنى وقصرها على اللفظ، وجعلها عنوانًا على تمام آلة البيان، وهذه الآلة لا تخص عنده سوى اللفظ. «فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أن الفصاحة تمامُ آلة البيان فهي تتعلق باللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى والبلاغة، وإنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى»[٤٦].

وقد حصر البلاغيون المتأخرون كالقزويني شروطَ فصاحة المفردة في خلوها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس[٤٧]، وهي صفات يشترك فيها عموم النظر البلاغي إلى مسألة الفصاحة.

إذا نظرنا إلى مسألة الفصاحة في التصور العربي القديم، لدى اللغويين والنقاد البلاغيين، فإننا نلاحظ أن الاختلاف الحاصل بين الدارسين لهذه المسألة الجمالية واللغوية في الكلام العربي، باعتباره وحدات لفظية مفردة أو

(45) المرشد إلأى فهم أشعار العرب، دار الفكر، بيروت، ط. ٢، ١٩٧٠، ج٢، ص (٤٥٨).

(46) الصناعتين. الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.٢، ص (١٤).

(47) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، ط.٣، ١٩٨٩، صص (٧٣- ٧٤).

نسيجًا نصيًّا، إنما هو راجع إلى نقاش واسع حول مسألة التنافر ويمكن أن نختصر بعض ملامحه في الملاحظات الآتية:

١- أجمع البلاغيون على أن التنافر هو ما يعتري الكلمة من ثقل، يعسر معه نطقها فتكون هذه النظرة بسيطة تنظر إلى الشق النطقي الصوتي للفظ، ولا تنظر إلى الأثر السمعي له في نفس المتلقي، وهذه النظرة النطقية على صحّة معيارها قليلة الجدوى الجمالية، لأنها تغيِّبُ المبدأ الذوقي والمعيار السمعي لدى المتلقي.

٢- لقد قسم البلاغيون التنافر إلى نوعين فيما يخص الكلمة المفردة، هما: التنافر القوي والتنافر الضعيف. ومثال الأول كلمة «الهُعْخُع» فهو شديد الثقل في النطق، وينبو عنه السمع السليم.

ومثال الثاني لفظة «مستشزرات» وهي أقل في ميزان الثقل والنبوِّ من أختها.

وهذا التمييز عند البلاغيين لا يخضعُ لقانون النطق فحسب، وإنما يُدخِل الاعتبار السَّمعِيَّ ويُحَكِّمُ ذوق المتلقّي أيضًا. ومن ثم فذلك نوع من النظر الأسلوبي الذي طوّر نظرة اللغويين[٤٨]، التي كانت في عمومها تقف عند حدود المعيار النطقي، وإن شاركهم بعض البلاغيين هذه النظرة العقيمة كما بيّنّا فيما سبق.

(48) ينظر في مسألة الأصوات في اللفظ عند اللغويين: المقتضب، جض، ص (٣٢٨)؛ والكتاب لسيبويه، ج٤، ص (٤٣١). ومن جملة ما ذكره اللغويون أن قرب مخارج الحروف مدعاة إلى الثقل في النطق، وأن تباعد المخارج مدعاة إلى الخفّة واليسر. بل إن تقارب المخارج يؤدّي إلى قبح الكلمة، على رأي ابن جنّي الذي اعتبر أن كثيرًا من المهمل العربي إنما نشأ عن قبحه في النطق فتناساه الناس في التداول والاستعمال. للتفصيل ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص (٧٥- ٧٧).

٣- لقد كانت النظرة البلاغية إلى مسألة التنافر، في تحديد فصاحة الكلمة، أهم من نظرة اللغويين الجزئية التي لا تعتد بعوامل السياق وموقف المتلقي. فقد كانت النظرة البلاغية لدى أصحاب النزعة الذوقيّة عميقة في فهم العلاقة بين الفصاحة بوصفها مفهومًا صوتيًّا، والفصاحة بوصفها مفهومًا استعماليًّا، يستحضرون فيه عناصر السياق الذي أُنجزَ فيه النُّطق. فالتنافر عند هذه الفئة المتميزة من البلاغيين قيمة نفسيَّة وليس قيمة نطقية. وقد كان ابن الأثير متقدِّمًا بهذا التصور الأسلوبي الذي كان لديه عن هذا الجانب من الجمال النطقي للنص الأدبي في وحداته الدنيا، وهي الأصوات في اللفظة المفردة.

وقد حدّد ليتش Leech السياق العام لعمل التلفظ الذي يبدأ به كل كلام، في عناصر، نمثلها بالمخطّط الآتي(٤٩):

السياق

المتكلم [الفعل التلفظي/ الإنجاز النطقي] المخاطب

(أغراض السياق

الفعل الكلامي)

إن هذا التصور يحاول أن يقدّم عملية التلفّظ، باعتبارها إنجازًا نُطقيًّا ضمن تصور أعمّ تخضع له، وهو السياق التداولي العام الذي تجري هذه العملية ضمن أنساقه وقواعده الجمالية التي تتحكم في توجيه «ذوق» المجموعة المتكلمة للغة من اللغات.

(49) نحاول أن نقدم تصورًا تبسيطيًّا رمزيًا لكلام ليتش وعناصر السياق لديه، وللتفصل انظر:

Leech, Principles of pragmatics, Longman, London. 1983. P. 13.

ومن ثم فإن أغراض السياق هي التي تحدِّد لعملية التلفظ، بوصفها إنجازًا نطقيًّا، وظائف محدَّدة تقوم بها دون غيرها. ففي التصور الجمالي الذي يحكم قواعد النطق العربي، في نص من النصوص الأدبية، يخضع التلفظ للمقاييس العربية الجمالية، التي هي جُمَاعُ التجربة الإنجازيَّة النطقيّة الجمالية لدى المتكلمين باللغة العربية والمعبِّرين بها تعبيرًا أدبيًّا وجماليًّا.

إن هذه الضوابط المستمَدّة من النظرة الذوقية العربية هي التي تتحكّمُ بالنظرة البلاغية، لكل إنجاز صوتي نطقي عربي في مقام جمالي معين.

وبهذا القياس فإن الذوق العربي هو الموجِّهُ لعملية تحقيق الظواهر النطقيّة التي يتطلبها السياق، ومن ذلك مثلاً كراهية التقاء الأصوات، لما في ذلك من ثقل أو أثر سمعي قبيح، وقِسْ على ذلك ظواهر أخرى يرفضها السياق الصوتي، ويمجها الذوق السليم كتوالي الأضداد مثلاً.

إن هذه المعايير السياقية هي التي تضمن لعملية التلفظ أن تحظى بالقبول ضمن السياق العربي من الزاوية الجماليّة، وكلما وافق التعبير الأدبي هذا المطلب السياقي حظِيّ بالقبول لدى المتلقي.

أسماء الذات

أصولها ودلالتها في السياق

أ. محمود الحسن

مهما تعدّدت الأبنية الاسمية، وتنوّعت معانيها، فإنها لا تخرج عن كونها تنتمي إلى إحدى هذه المجموعات الرئيسيّة، وهي: أبنية المصادر، وهي أسماء لمعانٍ تقوم في الذهن، وليس لها وجود خارجيّ محسوس[١]، وصيغ المشتقات، وهي أسماء اشتقت من المصادر وتدلّ على ذات موصوفة بحدث[٢]، وأسماء الذات، وهي أسماء لمسمَّيات لها صورة مُتخَيَّلة في الذهن، ووجود خارجي يُدرَك بالحواس[٣]، إضافة إلى تلك التي يُكسبها التصريف معاني فرعية كالتأنيث والتثنية والجمع والتصغير والنسبة.

وهذا المقال مخصّص لدراسة الأصول التي أُخِذت منها أسماء الذات. وفيه سيظهر أن معظم هذه الأسماء – وخاصة أسماء الجنس – يعود إلى أصول مصدرية أو اشتقاقية، خلافًا لما هو سائد بين معظم النحاة من أنها ارتُجِلت كالمصادر ارتِجالاً، ولم تُؤخَذ من غيرها[٤].

فاسم الذات هو: الاسم الذي يدلّ على شيء يُدرَك بالحواس غالبًا[٥]،

---

(1) الأستراباذي: شرحه على كتاب الكافية في النحو ٢: ١٩٢– ١٩٤.

(2) الأشموني: شرحه على ألفية ابن مالك ١: ٣٦٥– ٣٦٦.

(3) السيوطي، جلال الدين: المزهر ١: ٤٢.

(4) أبو حيان: ارتشاف الضرب ١: ٢٥.

(5) ابن السّرّاج: الأصول ١: ٣٦ ؛ وقباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال ص ١٢٥.

ويُقسَم إلى قسمين:

١– **الاسم العَلَم** وهو: اللَّفظ الذي يُعَيِّن مُسمّاه دون غيره، تعيينًا مُطلقًا[٦]. نحو: زيد وحاتم ودمشق ويثرب. وهو على ضربَين: مُرتجَل ومنقُول. فالمرتجَل: ما لم يُستعمَل في غير العَلَميّة[٧]، نحو: مَذحِج وعُثمان وغَطَفان، وهو قليل.

والعلم المنقول[٨]: ما استُعمِل في غير العلمية، قبل أن يُستعمَل علمًا، وهو الأغلب. فمنه ما كان في الأصل مصدرًا كسَعْد وفَضْل، أو مشتقًّا وصفيًا كعامِر ومَحمُود وجَمِيل وأحمَد، أو اسم جنس كأسَد وصَقر، أو فعلاً ماضيًا كأبان، أو مضارعًا كيَزِيد ويَشكُر، أو أمرًا ك «أطرِقا» في قول أبي ذؤيب:[٩]

عَلَى أطْرِقا باليَاتُ الخِيا مِ إلاّ الثُّمامُ، وإلاّ العِصِيُّ

وأصله أن رجلاً قال لصاحبيه هناك: أطْرِقا. فسُمِّي المكانُ به، فصار علمًا له.

والاسم العلم قد يكون مفردًا كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون مركَّبًا. والمركب منه الإضافي كعبد الله، ومنه المزجي كحضرموت، ومنه الإسنادي كتأبَّط شرًّا.

وحقيقةُ أن للأسماء الأعلام أصولاً أُخِذت منها مشهورةٌ عند العلماء، وعليها بنى ابن دريد (ت٣٢١هـ) كتابَه «الاشتقاق»، وابن جني (ت٣٩٢هـ) كتابَه «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة».

---

(6) سيبويه: الكتاب ٢: ٥ ؛ وابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ١٣١.

(7) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ٢٤٧ ؛ والكفوي: الكليات ص ٨٤. ومذحج: أبو قبيلة من العرب.

(8) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ٢٤٧ ؛ والكفوي: الكليات ص ٨٤.

(9) ابن جني: المبهج ص١٤.

٢- **اسم الجنس** وهو: اللَّفظ الذي يدلّ على كل فرد، يُطابق الصورة الذهنية المتَخيَّلة لأفراد جنسه[١٠]. فالإنسان مثلاً اسم جنس موضوع للدلالة على كل فرد خارجيّ محسوس، يتَّصف بصفات تطابق الصفات الموجودة، في الصُّورة القائمة في الذهن لطبيعة هذا المخلوق. وكذلك الحال في نحو: فَرَس وثَور وجَبَل وبَيت وبَحر.

وأسماء الجنس منها المرتجل نحو: تِين وضُفدَع ومِسك، ومنها المشتقّ كاسمي الزمان والمكان واسم الآلة، وهذه معروفة ولا حاجة لذكرها في هذا المقال، ومنها ما نُقِل من أصول مصدرية أو اشتقاقية، كالخَلِيفة والكُتُب والأمصار، في قولنا: أرسَلَ الخَلِيفةُ الكُتُبَ إلى الأمصارِ. فالخَلِيفة: فَعِيلة بمعنى اسم الفاعِل: الخالِف، والتاء للمبالغة[١١]، عُبِّر به عن اسم الذات. والكُتُب: جمع كِتاب. وهو مصدر على «فِعال» بمعنى اسم المفعول: المكتُوب[١٢]، فعله كُتِبَ يُكتَبُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والأمصار: جمع مِصْر. وهو كل بلد مَمصُور أي: مَحدُود[١٣]. فهو «فِعْل» بمعنى اسم المفعول، فعله مُصِرَ يُمصَرُ، عُبِّر به عن اسم الذات. وأسماء الجنس المنقولة تُشكِّل المادة الهامة التي يقوم عليها هذا المقال، كما سيظهر بعد قليل.

ومن أسماء الجنس ما يدل على الجمع، نحو: تُفّاح وتَمْر، وعَرَب ورُوم. وهذا النوع يتميَّز منه المفرد بإضافة تاء الوحدة، في الأجناس التي لا يصنعها

(10) الجرجاني: التعريفات ص ٤١.
(11) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٤٧.
(12) نفسه ص٨١.
(13) المناوي، عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٥٩.

المخلوق[١٤]، نحو: تُفّاحة وتَمْرة، أو بإضافة ياءي النّسب للأجناس التي تدل على العاقِلين، نحو عَرَبِيّ ورُومِيّ.

ويرى العلماء أن هناك فرقًا بين الجنس واسم الجنس. فالجِنس يُطلَق على القليل والكثير، كالماء الذي يُطلَق على القطرة والبحر. واسم الجنس لا يُطلَق إلا على واحد، كرَجُل وذِئب[١٥].

وثمة ما يُقال له علَم الجنس، كأسامة علمًا على جنس السِّباع، وأمّ عامِر علمًا على الضَّبع. ومُلخَّص الفرق بينه وبين اسم الجنس أن اسم الجنس يُطلَق على فرد خارجي، يُطابق الصُّورة الذّهنية له، أما علم الجنس فيُطلَق على الصُّورة الذّهنية المتَخَيَّلة لجنس ما، ولا يجوز إطلاقه على فرد خارجيّ من أفراد الجنس[١٦].

وتجدر الإشارة إلى أن أسماء الذات ليس لها أبنية مُختصّة بها، كما في المصادر والمشتقات. والاحتكام إلى المعنى هو السَّبيل لمعرفتها، وتمييزها من غيرها من الأسماء.

أصول أسماء الجنس

يُظهر الاستقراء أن أسماء الجنس عامة نوعان: مرتجَلة ومَنقُولة. فالمرتَجل: هو الذي لم يُعثَر له على أصول نُقِل منها وهو قليل نحو: السُّنبلة والعنب والتُّراب. وقد يكون له أصل ولكنه خَفِيَ فلم يُعرَف، أو ضاع لبُعده في الزَّمان عنّا، كرفع عَقِيرتَهُ: بمعنى صَوته، فلو حاولنا أن نجمع بين معنى الصَّوت والعَقِيرة لبَعُد. وأصله أن رجلاً قُطِعَت إحدى رِجلَيه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صَرَخَ بأعلى

(14) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١٧٣٥.

(15) الجرجاني: التعريفات ص ٤١.

(16) ابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ١٣٢.

صَوته، فقال الناس: رَفَعَ عَقِيرته[١٧]. وهكذا أصبحت العقيرة تُستعمَل بمعنى الصوت. ولا يبعُد أن يكون لامتداد الزَّمان، وخَفاء أسباب التَّسمية، دور كبير في الحكم على الكثير من أسماء الذات بأنها مرتجلة.

والنوع الثاني المنقول، وهو قسمان: قسم نُقل من أصل مصدريّ أو اشتقاقيّ ما يزال مستعمَلاً على بابه الوضعي، كـ «الزَّرْع» الذي يُستعمَل بحسب معناه الوضعي مصدرًا للفعل زرَع يَزرَع، كما يُستَعمل أحيانًا دالاً على الشيء المزرُوع فيكون اسمَ ذات، كما في قوله تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ والزَّيتُونَ﴾[١٨]. وسبيله أن يأتي الأصل تارة للتعبير عن معناه الوضعي، وتارة للتعبير عن اسم الذات. وذلك بحسب سياق النص ومُراد المتَكلِّم.

والقسم الثاني هو المنقول من أصل مصدريّ أو اشتقاقي لم يعد يُستعمَل بحسب معناه الوضعي. وسبيله أن الأصل قد فقد معنى الحدث، لكثرة الاستعمال في باب أسماء الذات، فاختصَّ بالدلالة عليها، وتنحَّى عن الدلالة على معناه الوضعي.

وهذا القسم من أسماء الذات منه ما يُوافق أصلَهُ في البناء، كـ «الليث» الذي هو في الأصل مصدر لفعل مُهمَل، لكنه لم يعد يُستعمَل مصدرًا، بل اختصَّ بالدلالة على اسم الذات، وهو الأسد[١٩]. ومن ذلك «الحُوت» الذي هو اسم ذات منقول من صفة مشبهة من مصدر حاتَ يحوتُ، إذا اضطرَبَ، ولم يعد

(17) ابن جني: الخصائص ١: ٦٦.

(18) الآية ١١ من سورة النحل.

(19) قيل: سمي الأسد لَيثًا، من قولهم: لُثتُ الشيءَ، إذا عصبتَهُ عصبًا شديدًا. ابن دريد: الاشتقاق ص١٧٠. فيكون على هذا مأخوذًا من مصدر مستعمَل، وأصل يائه واو. وقيل: ياؤه أصلية فيكون على ما ذكرتُ. الزبيدي: تاج العروس (ليث).

يُستَعمَل صفة على بابه[٢٠].

ومن هذا القسم أسماء أجناس نُقِلت من أصول مخالفة لها من حيث البناء، كالغَدِير والنَّمْل. فالغَدِير: الماء الذي يُخَلِّفه السَّيل، سُمِّي بذلك لأن السَّيل غادَرَه[٢١]. فهو اسم ذات على وزن «فَعِيل»، منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المغادَر، من مصدر غُودِرَ يُغادَرُ. والنَّمْل: معروف، سُمِّي بذلك لكَثرة تَنَمُّلِه[٢٢]. فهو اسم جنس جمعي على وزن «فَعْل»، واحدته نَملة، منقُول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المتَنَمِّل، من مصدر تَنَمَّلَ يَتنَمَّلُ، إذا كثُرَت حركتُه.

ويُشار إلى أن الغرض من استعمال الأبنية المصدرية والاشتقاقية، للتعبير عن اسم الذات، هو المبالغة وتوكيدها. وتفسير ذلك أن تلك الأبنية تتَضمَّن معنى الحدث المجرَّد، الذي ينتمي إلى عالم الذهن، فعندما تُستعمَل للتعبير عن اسم الذات تبقى ظلال المعنى الوضعي حاضرة، لتُضِيف إلى المسَمَّى المحسوس أبعادًا خيالية مستَمَدّة من العقل، الذي لا يَعرِف حدودًا لتصوراته، ولا يخضع لحاكم الحواس، الذي يُظهر الأشياء كما هي عليه في عالم الواقع.

أسماء الجنس المنقولة من أصول توافقها في البناء

ظهر فيما تقدَّم أن مثل هذه الأسماء يكون منقولاً إما من مصدر، وإما من مشتق وصفي، حيث يُستعار البناء المصدري أو الاشتقاقي، في سياق ما، للدلالة على اسم الجنس، وأحيانًا يفقد ذلك الأصل دلالته على الحدث، فلا يعود مستعمَلاً على بابه الوضعي، بل يختص بالدلالة على اسم الذات. والغرض من

(20) المقاييس (حوت).

(21) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ١٦٧.

(22) أبو حيان: البحر المحيط ٨: ٢٠٥.

ذلك هو المبالغة وتوكيدها.

أسماء الجنس العائدة لأصول مستعملة:

يمثِّل هذا النوع حيِّزًا كبيرًا من أسماء الجنس، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أو كَصَيِّبٍ، مِنَ السَّماءِ، فِيهِ ظُلُماتٌ ورَعدٌ وبَرقٌ﴾(٢٣) الرَّعد: الصَّوت المسمُوع عند هَطْل المطر، والبَرق: الضَّوء الذي يَلمَعُ في السَّحاب. فالرَّعد والبَرق: مصدران للفعلين رَعَدَ يَرعُدُ و بَرَقَ يَبرُقُ، عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الذات، لأنه دلّ على شيء يُدرَك بالحَواس. والغاية من التعبير بالمصدر عن اسم الذات هي المبالغة.

ويغلب على المصادر، التي يُعبَّر بها عن أسماء الذات، المرور بالمرحلة الوصفية، فيُوصف المصدر بمعنى أحد المشتقات الوصفية، ثم يطلق بعد ذلك على اسم الذات، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيّا المِحرابَ وَجَدَ عِندَها رِزقًا﴾(٢٤). قال المفسرون: المقصُود بالرِّزق فاكِهة الشِّتاء في الصَّيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. والفاكهة اسم جنس يدلُّ على ذات تُدرَك بالحواس، أما الرِّزق فمصدر وهو اسم جنس معنوي. ولا يُمكن الجمع بين المعنوي والمحسوس، خصوصًا إذا كان بينهما بُعد في المادة اللغوية، إلا إذا حُمِل الرِّزق في هذا المثال على معنى اسم المفعول، فيقال: وجَد عندها شيئًا رُزِقت به. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

إن هذا التفسير لا ينطبق على الرَّعد والبَرق لأنهما لو حملا على معنى اسم

(23) الآية ١٩ من سورة البقرة ؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٠٩– ٢١٠ ؛ وأبو حيان: البحر المحيط ١: ١٣٦– ١٣٧..

(24) الآية ٣٧ من سورة آل عمران ؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٨٠٢؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤: ٦٧.

الفاعل: الرّاعِد والبارِق[٢٥] لأصبح المعنى: شَيء يَرعُد وشَيء يَبرُق. وهذا الشيء لا ينطبق على الصَّوت الهائل المِسمُوع، والضَّوء الشَّديد المرئيّ، بل ينطبق على السَّحاب لأنه هو الذي يَرعُد ويَبرُق. والسحاب ليس مقصودًا في الآية. ومثل ذلك يُقال في الأمثلة المشابهة.

ومن مجيء المصدر، بمعنى المشتقات، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿أو أجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى﴾[٢٦] أي شَخصًا هادِيًا، وقول النبي ﷺ: «مَن تَرَكَ دَينًا، أو ضَياعًا، فليأتِنِي»[٢٧] أي: يَتامَى ضائِعِين، وقوله تعالى: ﴿وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرضِ لِيُفسِدَ فِيها، ويُهلِكَ الحَرثَ والنَّسلَ﴾[٢٨] أي الزَّرع والذُّرِّيّة، وقوله ﷺ: «لا حِمَى إلا لِلهِ ولِرَسُولِهِ»[٢٩]، وقول عمرو ابن كلثوم[٣٠]:

بِرأسٍ مِن بَنِي جُشَمَ بنِ بَكرٍ، نَدُقُّ بِهِ السُّهُولةَ، والحُزُونا

أي: كلّ لَيِّن وصَعب.

فالهُدَى: مصدر هَدَى يَهدِي بمعنى اسم الفاعل: الهادِي، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على شَخص يُدرَك بالحواس. والضَّياع: مصدر ضاعَ يَضِيعُ بمعنى اسم الفاعل: الضّائِع، عُبِّر به عن اسم الذات. لأنه دلّ على اليَتامَى. والحَرث: مصدر حُرِثَ يُحرَثُ بمعنى اسم المفعول: المحرُوث، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه

(25) أخذ العكبري بهذا التفسير. ينظر العكبري: التبيان في إعراب القرآن ٣٦.

(26) الآية ١٠ من سورة طه ؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١: ٩٣.

(27) البخاري ص٨٤٥ تحت الرقم ٢٢٦٩ ؛ وابن حجر: فتح الباري ٥: ٧٧.

(28) الآية ٢٠٥ من سورة البقرة ؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص١٦٧ ؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٢: ٣١٦ و ٤٢٧.

(29) البخاري ص ٨٣٥ تحت الرقم ٢٢٤١ ؛ وابن حجر: فتح الباري ٥: ٥٦.

(30) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٢٧٢.

دلّ على الزَّرع. والنَّسل: مصدر نُسِلَ يُنسَلُ بمعنى اسم المفعول: المنسُول، لأن الذُّرِّيّة تُنسَلُ من أصلاب الآباء، عُبِّر به عن اسم الذات. والحِمَى: مصدر حُمِيَ يُحمَى بمعنى اسم المفعول: المحمِيّ، لأنه شيء يُحمَى، عُبِّر به عن اسم الذات. والسُّهُولة والحُزُون: مصدران للفعلين سَهُلَ يَسهُلُ وحَزُنَ يَحزُنُ، بمعنى الصِّفتَين المشبَّهتَين: السَّهْل والحَزْن، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات.

ويُشار إلى أن دخول معنى وظيفي على بناء المصدر، غير المعنى المصدري، يكون بقصد المبالغة، كما سبق. فإن دخل عليه معنيان معًا، كما هو الشأن عند مجيئه بمعنى المشتقات للتعبير عن أسماء الذات، حُكِم بأن دخول المعنى الأول للمبالغة، ودخول المعنى الثاني لتوكيدها. وذلك لأن استعمال البناء لغير معناه الوضعي يكون للمبالغة وتوكيدها، كما مرَّ.

ومن أمثلة أسماء الجنس المنقولة من مشتقات قوله تعالى: (والله يعلم المفسد من المصلح)[٣١]. وقول الراجز: [٣٢]

إنْ تَبخَلِي يا جُملُ أو تَعتَلِّي أو تُصبِحِي في الظّاعِنِ المؤَلِّي

وقول ليلى الأخيلية: [٣٣]

كأنَّ فَتَى الفِتيانِ تَوبةَ لَمْ يَنُخْ بِنَجدٍ ولَم يَهبِطْ مَعَ المتَغَوِّرِ

وقوله تعالى: ﴿فقَد جاءَكُم بَشِيرٌ ونَذِيرٌ﴾[٣٤].

فالمفسِد والمصلح: اسما فاعلَين من مصدَرَي: أفسَدَ يُفسِد وأصلَح يُصلِح،

(31) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة، والبغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤.

(32) ابن جني: المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ص ٥٤، والبغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤ و ١٣٥.

(33) البغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤.

(34) الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

عبِّر بكلٍّ منهما عن اسم الذات. وكذلك الظّاعِن والمتغوِّر. أما المولِّي فاسم فاعل على بابه، لأنه جاء صفة. والفَتى: صفة مشبَّهة من مصدر فَتِي يَفتَى عُبِّر به عن اسم الذات. وبَشِير: فَعِيل بمعنى مُفَعِّل: مُبَشِّر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة. ونَذِير: فَعِيل بمعنى مُفعِل: مُنذِر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة.

وأكتفي بهذا القدر من الحديث عن أسماء الجنس المأخوذة من أصول مستعملة توافقها في البناء، نظرًا إلى أن هذه المسألة يمكن الرجوع إليها مفصَّلةً في مقالين نُشرا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٣٥]. ولا شك أن هذا الاستعمال يؤكِّد صراحة تلك العلاقة القائمة بين المصادر والمشتقات من جهة، وبين أسماء الذات من جهة أخرى.

أسماء الجنس العائدة لأصول غير مستعملة:

من أمثلة هذا النوع «الطَّرِيق» في قوله تعالى: ﴿فاضرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي البَحرِ يَبَسًا﴾ [٣٦] و«الغُرفة» في قوله تعالى: (إلاّ مَنِ اغتَرَفَ غُرفةً بِيَدِهِ)[٣٧]. فالطَّرِيق: اسم ذات منقُول من مشتقّ على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول: مَطرُوق، لأن الأقدام تطرُقُه، أي: تَدُوسُه وتدُقُّه[٣٨]. وهذا المشتقّ لم يعُد يُستعمَل صفة في الكلام. والغُرفة: مقدار ما يُغرَف بالكَفّ[٣٩]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صِيغة فُعْلة بمعنى مَفعُولة: مَغرُوفة. وهذا المشتق لم يعُد يُستعمَل صفة في

(35) يُنظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد٨٠ الجزء الثاني ص ٣٠٥- ٣٣٤، والمجلد ٨٢ الجزء الأول ص ١٠٩- ١٣٤.

(36) الآية ٧٧ من سورة طه.

(37) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(38) ابن حجر: فتح الباري ٩: ٤٢٢.

(39) اللسان (غرف).

الكلام أيضًا. وليس بعيدًا أن تكون الغُرفة بمعنى العُلِّيّة مأخوذة من هذا. لأنها قديمًا كانت تُنحَت في الصَّخر، فكأنهم كانوا يستمرُّون بغرف التراب والحجارة حتى تأخذ شكلها. فهي بمعنى: المغروف ما فيها.

ومن ذلك الغَرِيزة والطَّبِيعة، بمعنى الخُلُق المغرُوز في قلب الإنسان، والخُلُق الذي طُبِع عليه الإنسان، فأصلهما مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول [٤٠]، لكنه انتقل للدلالة على اسم الذات، ولم يعد يُستعمَل على بابه الوصفي.

ومن ذلك «الفِراش» في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ فِراشًا﴾[٤١]. فالفِراش: كل ما يُفرَش ويُمَهَّد. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة «فِعال» بمعنى مَفعُول: مَفرُوش. وهذا المشتق اختصَّ بالدلالة على اسم الذات ولم يعُد يُستعمَل صفة على بابه.

أسماء الجنس المنقولة من أصول تُخالفها في البناء

وهذه الأسماء لها أصول تعود إليها. وتلك الأصول غالبًا ما تكون مشتقات وصفية، إلا أنها ظهرت في صيغة تُخالف صيغة الأصل كالتِّمثال الذي هو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المِمَثَّل[٤٢] من مصدر مُثِّلَ يُمَثَّلُ، لأنه يُمثَّل على صورة الإنسان أو غيره، أي يُصوَّر.

وتجدر الإشارة أولاً إلى أن اختلاف الصِّيغة، بين الاسم والأصل، دفع الكثير من الباحثين إلى القول بأن مثل هذه الأسماء مُرتجَل. ثم دفعهم أُنسُهم بحِسِّيّتها أحيانًا إلى تجاوز ذلك بالحُكم على أنها أصل للمصادر، لأن ما هو مُشاهَد محسوس أولى بأن يكون أصلاً لما هو ذهنيّ مجرَّد، في رأيِهِم. وسأتناوَل الآن بعض

(40) ابن فارس، أحمد: المقاييس في اللغة (طبع) و (غرز).

(41) الآية ٢٢ من سورة البقرة.

(42) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن١١: ٢٠٤؛ وأبو حيان: البحر المحيط٧: ٤٤٠.

أسماء الذات داخل نصوصها، بالتحليل المختصَر بما يُساعد على دفع هذا التَّوَهُّم، وتوضيح علاقة هذه الأسماء بأصولها.

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضّةَ﴾(٤٣). قال ابن جنّي: سُمِّي ذَهَبًا لأنَّه ما دام غير مُصَفًّى فهو كالذّاهِب , لأن ما فيه من التُّراب كالمستهلِك له، أو لأنه لما قلَّ في الدُّنيا فلم يُوجَد إلا عَزِيزًا صار كأنه مفقود ذاهب(٤٤). إن هذا الكلام يدل على أن الذَّهَب: اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة اسم الفاعل، من مصدر ذَهَبَ يَذهَبُ.

وقال ابن جني في الفضّة: سُمِّيت بذلك لانفضاض أجزائها، وتفرُّقها في تراب معدنها، وإن كانت فيما بعد قد تُصَفّى وتُهَذَّب وتُسبَك. وقيل لها فضّة كما قيل لها لُجَين. وذلك لأنها ما دامت في تراب معدنها فهي مُلتَزِقة مُتَلجِّنة به(٤٥). فالفضّة: اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة اسم الفاعل، من مصدر انفَضَّ يَنفَضُّ بمعنى تَفَرَّقَ. واللُّجَين: اسم ذات جاء على صيغة المصَغَّر (٤٦)، منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المتَلَجِّن، من مصدر تَلَجَّنَ يَتَلَجَّنُ بمعنى التَصَقَ.

وقال ابن فارس في الفضة: الفاء والضّاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة، من ذلك: فضَضتُ الشَّيءَ، إذا فَرَّقتَهُ. وممكن أن تكون الفضة من هذا الباب، كأنها تُفَضَّ لِما يُتَّخَذُ منها من حَلْي (٤٧). فالفضّة على رأي ابن فارس: اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المفضُوضة، من مصدر

(43) الآية ٣٤ من سورة التوبة.
(44) ابن جني: الخصائص ٢: ١٢٤.
(45) نفسه ٢: ١٢٣.
(46) ابن منظور: لسان العرب (لجن).
(47) ابن فارس: المقاييس (فضّ).

فُضَّ يُفَضُّ. وهذا التفسير أولَى بالأخذ به من تفسير ابن جني، لأنه مبنيّ على أصل مجرَّد، على حين أن تفسير ابن جني مبنيّ على أصل مزيد.

وقال تعالى: ﴿ولله ما فِي السَّماواتِ ومَا فِي الأرضِ﴾[٤٨]. فالسَّماوات: جمع سَماء. وهي كلّ ما يعلو ويُشكِّل ظلاً. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: السّامِية، من مصدر سما يَسمُو. وذلك لأن ما يعلو لا يُسَمَّى سماءً إلا في اللحظة التي يعلو فيها الأشياء، ويُشَكِّل عليها ظِلاً. أما السَّماء المعروفة فالعُلُوّ صفة ثابتة فيها. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصِّفة المشبهة. وهي المقصودة في الآية. والأرض: سُمِّيَت بذلك لاتِّساعِها من قولهم: أرِضَتِ القَرحةُ، إذا اتَّسَعَت[٤٩]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة: الأرِضة، من مصدر أرِضَ يأرَضُ.

وقال النبيّ ﷺ: «إنَّما الشُّؤمُ فِي ثَلاثٍ: فِي الفَرَسِ، والمرأةِ، والدّارِ»[٥٠]. فالفَرَس: سُمِّي بذلك لِرَكلِهِ الأرضَ بقوائمه ووَطئِهِ إيّاها , من قولهم: فَرَسَ عُنُقَهُ، إذا دَقَّها[٥١]. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الفارِس، من مصدر فَرَسَ يَفرِسُ، أما تَسمِية الرّاكِبِ فارِسًا فهو على النّسب، أي ذُو فَرَس[٥٢]. والمرأة: مؤنث المرء. وهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة، من مصدر مَرُؤَ يَمرُؤُ، إذا كَمُلَ. وهذا التحليل مُستَوحى من لسان العرب، حيث ورد فيه: مَرُؤَ الرَّجُلُ يَمرُؤُ مُرُوءةً، فهو مَرِيء. والمُروءة: كَمالُ

(48) الآية ١٠٩ من سورة آل عمران.

(49) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٢٨.

(50) البخاري ص ٢١٧٧ تحت الرقم ٥٤٣٨.

(51) ابن فارس: المقاييس (فرس).

(52) ابن منظور: لسان العرب (فرس).

الرُّجُولِيّة[٥٣]. والدّار: سُمِّيَت بذلك لكَثرة دوران الناس فيها[٥٤]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المِدُور فيها، من مصدر دِيرَ يُدارُ. وقال ابن فارس: الدّال والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على إحداق الشَّيء بالشَّيء من حَوالَيه[٥٥]. فهي على هذا الرأي سُمِّيت دارًا لأنها دارت حول ما فيها، أي أحاطَت به. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الدّائِرة، من مصدر دارَ يَدُورُ. والتَّفسيران مقبولان ولنا الحرِّية في الأخذ بما نختار منهما.

وقال امرؤ القيس [٥٦]:

* ويَومًا عَلَى ظَهرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَت* *

فالظَّهر من كلّ شيء: سُمِّي بذلك لظهوره وبُرُوزه[٥٧]. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الظّاهِر، من مصدر ظَهَرَ يَظهَرُ. والمعروف أن الظُّهُور والبُرُوز صفتان ثابتتان في الظَّهر، ولكن لم يُحكَم بأنه منقول من صفة مشبهة، لأن الصفة المشبهة لا تُشتَقّ من مصدر الفعل: ظَهَرَ يَظهَرُ. والكَثِيب: الرَّمل المجتمِع الذي تَكثُبُهُ الرِّيح، أي تَجمَعُهُ[٥٨]. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول، من مصدر كَثَبَ يَكثِبُ. وهو من أسماء الجنس الموافقة لأبنية أصولها.

(53) نفسه (مرأ).
(54) ابن جني: الخصائص ١: ١٢٠.
(55) ابن فارس: المقاييس (دور).
(56) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٤٣.
(57) ابن فارس: المقاييس (ظهر).
(58) ابن منظور: لسان العرب (كثب).

وقال لبيد [٥٩]:

عَرِيَت، وكانَ بِها الجَمِيعُ، فأبكَرُوا مِنها، وغُودِرَ نُؤيُها وثُمامُها

فالنُّؤي: الحاجِزُ يُجعَلُ حَولَ الخِباء، ليُبعِدَ عنه السَّيل. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المنئِي، أي المبعِد، من مصدر أنأى يُنئِي. والثُّمام: نَبتٌ يُجعَلُ حول الخِباء، ليَمنَعَ عنه السَّيلَ ويَقِيَ الحَرّ، سُمِّي بذلك لأنه يُجمَع [٦٠]. فهو اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة فُعال بمعنى مَفعُول، أي المثمُوم المجمُوع، من مصدر ثُمَّ يُثَمُّ، إذا جُمِعَ. وهذا من أسماء الجنس الموافقة لأبنية أصولها.

تلك هي حقيقة العلاقة بين أسماء الذات من جهة، وبين المصادر والمشتقات من جهة أخرى، والتي تؤكِّد أن المعاني الذهنية هي الأصل في إطلاق التَّسمية على الأشياء المحسوسة. وقد عرضتُ أقوال العلماء كاملة في هذا الشأن، وأسندتُ تلك الأقوال إلى مصادرها، بُغية التَّبرُّؤ مما قد يُنسَب إلى التَّحليل المتَّبَع في هذا البحث، من أنه مبنيّ على تَمَحُّل فاسد، أو اجتهاد خاطئ. وتجدر الإشارة إلى أن الاستقراء يُظهِر أن ما يعود، من أسماء الذوات، إلى أُصول اشتقاقية أكثر مما يعود إلى أصول مصدرية. وذلك لأن طبيعة المشتق أقرب إلى اسم الذات من طبيعة المصدر، كما تقدَّم فيما مضى.

وأكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي تكفي لإضاءة جوانب هذه المسألة، وكشف حقيقتها، كما تفتح الأبواب لدراسة أسماء الذات باعتبار ارتباطها بأصول أُخذت منها. وأنتقل الآن إلى دراسة أسماء الذات، التي تجيء في الكلام للتعبير

(59) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص١٦٧. وعَرِيَت: خَلَت من أهلها. والجَمِيع: القَوم المجتمعون. وأبكَرُوا: رَحَلُوا بُكرة.

(60) ابن فارس: المقاييس (ثمّ).

عن معاني المصادر والمشتقات، والتي يُؤكِّد استعمالُها هذا الصِّلةَ الواضحة بينها وبين المعاني الذهنية.

استعمال أسماء الذات بمعنى المصادر والمشتقات

ومن أمثلة ذلك قول حسان بن ثابت [٦١]:

فلَولا اللهُ، والمهرُ المفَدَّى لَرُحتَ، وأنتَ غِربالُ الإهابِ

أي: مُخَرَّق الجِلد. فغِربال: اسم آلة. وهو اسم جنس يدل على ذات استُعمِل بمعنى اسم المفعول: مُخَرَّق: المشتق من مصدر خُرِّقَ يُخَرَّقُ.

وقال الشمّاخ [٦٢]:

إذا ما رايةٌ رُفِعَت لِمَجدٍ تَلَقّاها عُرابةُ بِاليَمِينِ

اليَمِين: اليَد اليُمنَى. وهي هنا بمعنى القوة. فهي اسم ذات استُعمل بمعنى المصدر. وهذا الاستعمال قليل، لأن الشائع خلاف ذلك، وهو استعمال المصادر، كما سبق، للتعبير عن أسماء الذات، لما يتضمَّنه ذلك من المبالغة والتوكيد.

ويكثر مجيء أسماء الذات بمعنى المشتقات الوصفية، عندما تُستعمَل صفة في الكلام. والمقصود بالصفة معناها العام، أي: النعت والحال والخبر[٦٣]. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر: [٦٤]

وإنَّ لِسانِي شَهدةٌ يُهتَدَى بِها وهُوَّ عَلَى مَن صَبَّهُ اللّهُ عَلقَمُ

(61) ابن جني: الخصائص ٢: ٢٢١ و ٣: ١٩٥. والبيت غير موجود في ديوان حسّان. وتفسير الغربال بمعنى: مُخَرَّق الجلد لابن جني في الخصائص.

(62) نفسه ٣: ٢٤٩.

(63) الأستراباذي: شرح الكافية ١: ٣٠٢.

(64) خزانة الأدب ٥: ٢٦٦.

المراد بعلقم: شديد أو صعب. فلذلك علَّق به «على» ومجرورها. ومن ذلك قول ديك الجن:[٦٥]

ما أُمَّكَ اجتاحتِ المنايا كُلُّ فُؤادٍ عَلَيكَ أُمُّ

«فعلق على بأم، لتأويله إياها بمشتق. وعلى هذا ففي علقم ضمير كما في قولك: زيد أسد، إذ أولته بقولك شجاع، إلا إذا أردت التشبيه»[٦٦].

من هذا القول يتضح أن اسم الذات يُستعمَل بمعنى المشتق، إذا وقع صفة كما في الأمثلة السابقة، بشرط ألا يكون محمولاً على التشبيه. فإن أُريد به التشبيه فهو جارٍ على بابه.

ويطرد مجيء اسم الذات بمعنى الصفة المشبهة إذا كان مكانًا مصوغًا على «مَفعَلة» من اسم الذات، للدلالة على المكان الذي يكثر فيه صاحب الاسم[٦٧]، نحو: هذه أرضٌ مأسَدةٌ مسبَعةٌ مذأبةٌ، وتلك أرضٌ مَبعَضةٌ مَسبَخة، أي: كَثِيرةُ الأسُود والسِّباع والذِّئاب، وكَثِيرة البَعُوض والسِّباخ. وهذه أسماء أمكِنة، عُبِّر بها عن معنى الصفة المشبهة، لأنها استُعملت نَعتًا. ويُشتَرط في صحة هذا الاشتقاق أن يكون اسم الذات ثلاثي الأصُول، مُجرَّدًا أو مَزِيدًا. وقد قرَّر مجمَع اللغة العربية بالقاهرة أن صياغة «مَفعَلة» للدلالة على المكان الذي يكثُر فيه صاحب الاسم قياسيّة[٦٨]. وقد استغنى العرب عن هذه الصِّياغة للرُّباعي الأصُول والخُماسي الأصُول، بقولهم: هذا مَكانٌ كَثِيرُ الثَّعالِبِ، وكَثِير العَناكِبِ[٦٩].

(65) نفسه ٥: ٢٦٧.

(66) نفسه ٥: ٢٦٧.

(67) سيبويه: الكتاب ٤: ٩٤.

(68) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مجلة المجمَع، الجزء الثاني ص ٣٥.

(69) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٨٨.

أصول الأسماء الأعلام

والأسماء الأعلام، شأنها شأن أسماء الجنس، أغلبها منقول من مصادر أو مشتقات أو أسماء أجناس أو أفعال. وقد آثرتُ تأخيرها إلى هذا الموضع، مع أن الحديث عنها قد تقدّم، نظرًا إلى وُضوح علاقتها بأصولها من جهة، وتناوُل كثير من العلماء لهذه العلاقة بالدِّراسة والتَّفسير من جهة أخرى. يُضاف إلى ذلك أن أسماء الجنس أكثر استعمالاً، وأبعد ارتباطًا بأصُولها من الأسماء الأعلام، لذلك كان من حقِّها أن تستأثر بالحظّ الأوفر من الاهتمام والدِّراسة.

ومن أمثلة الأسماء الأعلام ما يَرِد عادة في سَنَد الأحاديث النَّبوية، نحو: حَدَّثَنا آدَمُ: حَدَّثَنا شُعبةُ: حَدَّثَنا الحَكَمُ، عَن إبراهِيمَ، عَنِ الأسوَدِ، عَن عائِشةَ[٧٠]. ونحو: حَدَّثَنا مُسلِمُ بنُ إبراهِيمَ: حَدَّثَنا هَمّامٌ: حَدَّثَنا قَتادةُ، عَن جابِرِ بنِ زَيدٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ[٧١]. ونحو: حَدَّثَنا عَمرُو بنُ خالِدٍ قالَ: حَدَّثَنا اللَّيثُ، عَن يَزِيدَ، عَن أَبِي الخَيرِ ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو[٧٢].

فآدَمُ:اسم علم منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة، من مصدر أدِمَ يأدَمُ. وذلك لأنه خُلِقَ من تُراب. والأُدمة: السُّمرة، وهي لون التُّراب[٧٣]. وشُعبة: اسم علم منقول من اسم جنس جامد يدلّ على ذات، نُقِل من مشتق على صيغة «فُعْلة» بمعنى مَفعُولة، من مصدر شُعِبَ يُشعَبُ إذا فُرِّق[٧٤]. والحَكَم: اسم علم منقول من مشتق على صيغة «فَعَل» بمعنى فاعِل، من مصدر حَكَمَ

(70) البخاري ص ٥٤٣ تحت الرقم ١٤٢٢.
(71) نفسه ص ٩٣٥ تحت الرقم ٢٥٠١.
(72) نفسه ص ١٣ تحت الرقم ١٢.
(73) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٤٨.
(74) التحليل مستوحى من لسان العرب (شعب).

يَحكُمُ[٧٥]. وإبراهِيم: اسم علم أعجميّ، ليس له أصل عربي، قال أبو حيان: «ولا يدخل الاشتقاق والتصريف المصطلح عليهما في علم النحو في الاسم الأعجمي»[٧٦]. والأسوَد: اسم علم منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة، من مصدر سَوِدَ يَسوَدُ. وعائِشة: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل المؤنث، من مصدر عاشَ يَعِيشُ.

ومُسلِم: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل، من مصدر أسلَمَ يُسلِمُ. وهَمَّام: اسم علم منقول من مشتق على صيغة مبالغة اسم الفاعل، من مصدر هَمَّ يَهِمُّ [٧٧]. وقَتادة: اسم علم منقول من مفرد اسم جنس جمعي يدل على ذات. والقَتاد: الشَّوك. وهو اسم جنس جمعي مرتجَل[٧٨]. وجابِر: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل، من مصدر جَبَرَ يَجبُرُ، إذا عادل الشيء بنصابه[٧٩]. وزَيد: اسم علم منقول من مصدر زادَ يَزِيدُ. وابن زَيد: كُنية. والكُنية اسم علم. وابن: اسم جنس أصله بَنَوٌ، منقول من مشتق على صيغة «فَعَل» بمعنى مَفعُول: مَبنِيّ، من مصدر بُنِيَ يُبنَى. وعَبّاس: اسم علم منقول من مشتق على صيغة مبالغة اسم الفاعل، من مصدر عَبَسَ يَعبِسُ. وابن عباس: كُنية.

وعَمرو: اسم علم منقول من مصدر ثلاثي، فعله عَمَرَ يَعمُرُ. والعَمْر: الحَياة. فسُمِّيَ الشَّخصُ به تَفاؤلاً بطول بقائه. وخالِد: اسم علم منقول من

(75) ابن دريد: الاشتقاق ص٧٥– ٧٦.

(76) أبو حيان: ارتشاف الضرب ١: ٢٨.

(77) ابن دريد: الاشتقاق ص٢٢٢.

(78) نفسه ص٣٤٢ ؛ وابن منظور (قتد).

(79) ابن جني: المبهج ص٦ ؛ وابن منظور (جبر).

مشتق على صيغة اسم الفاعل، من مصدر خَلَدَ يَخْلُدُ. وابن خالِد: كُنية. واللَّيث: اسم علم. وهو في الأصل مصدر لفعل مُهمَل، بمعنى الصفة المشبهة: القَوِيّ، استُعمِل للدلالة على اسم الجنس: الأسد، ومنه نُقِلَ للدلالة على الاسم العلم. ويَزِيد: اسم علم منقول من فعل مضارع ماضيه: زادَ. وأبو الخَير: كُنية. والخَير: مصدر استُعمِل على بابه. وعَبد الله: اسم علم مُرَكَّب. وعَبْد: اسم علم منقول من صفة مشبهة، من مصدر عَبَدَ يَعبُدُ.

تلك هي أصول الأسماء الأعلام. وقد اكتفيتُ هنا بالحديث عن أعلام الأشخاص فرارًا من الإطالة، علمًا أن غيرها من أسماء الأماكن والبلدان يُورَد نفسَ الموارد، ويُسلَك في ذات السبيل.

* * * * *

مما سبق يتَّضح أن أسماء الذات منها المرتجَل وهو قليل، على حين أن أغلبها إما مشتَقّ كأسماء الزمان والمكان والآلة، وإما منقول من أُصول مصدرية أو اشتقاقية. وظهر أن أسماء الذات المنقولة تنقسم باعتبار أصولها إلى قسمين: قسم يُوافق أُصولَه التي نُقِل منها في البناء، وقسم تُخالِفُ أبنيتُهُ أبنيةَ أُصوله كالأرض[٨٠] والغابة[٨١].

والأسماء التي تنتمي إلى القسم الأول منها ما يعود إلى أُصول تُستعمَل بحسب معناها الوضعي كالبَحر والنَّهر، فيُستعمل كل منهما اسم ذات كما يُستعمل مصدرًا بحسب معناه الوضعي، ومنها ما يعود إلى أصول لم تعد تُستعمل بحسب معناها الوضعي كالطَّريق والطَّبيعة، إذ يُستعمل كل منهما اسم ذات، على حين أصله الاشتقاقي لم يعد يُستعمل على بابه. وهذه الأخيرة يكثر أن تكون

(80) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص٢٨.

(81) المقاييس (غيب).

أُصولها اشتقاقية، ويندر أن تعود إلى أصول مصدرية. وهذا يدل على أن العرب لم يستغنُوا عن المعنى المصدري للبناء، على حين استغنَوا أحيانًا عن المعنى الاشتقاقي للصيغة.

ولما كان معظم أسماء الذات، يعود إلى أُصول مصدرية أو اشتقاقية، فإن أهم نتيجة يمكن استخلاصها من البحث هي أن أصل الاشتقاق هو المعاني الذهنية، لا المعاني الحسِّيّة، بخلاف ما هو شائع عند معظم الدارسين.

المصادر والمراجع

١- الأستراباذي، رضي الدين: **شرح شافية ابن الحاجب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.

شرح كتاب الكافية في النحو. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

٢- الأشموني، أبو الحسن: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٥.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦.

٤- البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب**. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩.

٥- الجرجاني، علي بن محمد: **كتاب التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٨.

٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق ١٩٨٧.

٧- ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري**. ط٣، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٠.

٨- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب**. تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨.

البحر المحيط في التفسير. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.

٩- الخطيب التبريزي، أبو زكرياء يحيى بن علي: **شرح المعلقات العشر**. تحقيق: الدكتور فخر الدِّين قباوة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.

١٠- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق**. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨.

١١- ابن السّرّاج، أبو بكر محمد بن سهل: **الأصول في النحو**. تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.

١٢- السيوطي، جلال الدين: **المزهر**. تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٨٧.

١٣- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: **التبيان في إعراب القرآن**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧.

١٤- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**. تحقيق: مصطفى الشُّويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت ١٩٦٣.

المقاييس في اللغة. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

١٥- قباوة، الدكتور فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨.

١٦- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

١٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**. راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

١٨- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات**. تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢.

١٩- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: **شرح الكافية الشافية**. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.

٢٠- المرتضَى الزَّبيدي، محمد بن محمد الحسيني: **تاج العروس في شرح شواهد**

القاموس. ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦ هـ.

٢١- المناوي، عبد الرؤوف: **التوقيف على مهمات التعاريف**. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠.

٢٢- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري: **لسان العرب**. ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.

٢٣- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**: المجلد٨٠ لعام ٢٠٠٥والمجلد٨١ لعام ٢٠٠٦.

٢٤- **مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة**: المجلد الثاني، لعام١٩٣٥.

القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم

أ. حسين الأسود

يُفترض بالعمل الأدبي أن يكون صورة مجزوءة من كيان الشاعر، نرى فيها ألوانًا وأنغامًا وصورًا وأحاسيس، ويُفترض بعمل الناقد تقويم العمل الأدبي انطلاقًا من هذه الأمور، فلا يصح الوقوف على الشكل دون المضمون، أو اللفظ دون المعنى، ولا يصح الوقوف على حقيقة المعنى دون النظر إلى مجازه، أو إلى ما وراءه من إيحاءات نفسية وظلالٍ خفيةٍ تُنبئ عن إحساسٍ لطيفٍ وشعورٍ دفين.

وما يُفترض أن يكون عليه الحال في النقد لم يكن ملموسًا في النقد العربي القديم عامة، وأول شيء يُلحظ فيه أنه فَصَل بين عناصر الإبداع الأدبي. فكان كلُّ ناقدٍ ينظر إلى زاوية معينة، فناقد ينظر إلى اللغة، وآخر ينظر إلى المعنى، وآخر ينظر إلى التشبيه، وهكذا كان النقد العربي بوجهٍ عام نظرًا في بعض مقومات الإبداع لا فيها كلِّها.

وليست المشكلة في تقويم العمل الأدبي من زوايا مختلفةٍ، إنما المشكلة في قَصْرِ العملية التقويمية على جزءٍ يسير من مكونات العمل الأدبي، وإغفالِ الجوانب الأخرى. والأصل أن تتضافر الرؤى النقدية جميعًا في تقويم العمل الأدبي، من شكلٍ ومضمونٍ وصورٍ وتجارب ومشاعر وغايات، وهي المشكلة التي يبدو أن النقد العربي القديم وقع فيها عندما غلَّب المفهوم البلاغي في رؤيته التقويمية، وراح لاينظر إلى مقومات الإبداع ومقاييس الجمال إلا من خلال هذا المفهوم. فما يُفترض به أن يكون جزئيًّا كان أمرًا كليًّا، وما يُفترض به أن يكون وسيلة كان غايةً، فلم ير النُّقاد العرب في الشعر العربي ما هو أبعد من الغاية البلاغية

الجمالية، وقد تبعهم الشعراء في ذلك، فأخذوا يهتمون بالصياغة الفنية الجزئية ولا يبالون بجوهر الشعر.

والبلاغةُ لا تهتمُّ إلا بتجويد الكلام، وإحكامِ صنعته، وتحسينِ صورته، ومطابقته لمقتضى الحال، أي لاتهتم إلا بظاهر الكلام، فلا تُعنى مثلاً بغاية الشعر، أو فلسفته، أو ملامسته للدين، لأن مهمتها جزئية، والذي يهتم بالناحية الجزئية لايعنيه إبداءُ القول فيما وراء جمال العبارة، ولا يعنيه أكانت هذه العبارة خيرًا أم شرًا، أكانت مطابقة لأحاسيس الشاعر أم لا، لأن الاهتمام منصب على الجانب الفني البلاغي وحسب. فإن تمت البلاغة وتحقَّقت في النص الأدبي فقد تمت الغاية، فكان من الطبيعي أن يجرَّ هذا الأمر على الشعر العربي آثارًا سلبية، لأن توجيه العناية إلى جانبٍ معيَّن يعني إلغاء الجوانب الأخرى، أو ازدراءها. فعندما يُوجِّه الناقد العربي جلَّ تفكيره إلى الجانب البلاغي إنما يعني ذلك جحودًا وإنكارًا لكثير من مزايا الشعر العربي. ولا يقتصر الأثر السلبي على الشعر بل يتعداه إلى الشاعر فلا يُنظر إلى تجربته الشعورية أو معاناته الإنسانية أو صدقه ،بل يُنظر إلى بلاغة شعره ومدى إجادته فيها.

ومما يدل على اقتران الشعر العربي بالغاية البلاغية، فضلاً عن النقد، عمودُ الشعر إذ ليس لعمود الشعر أي طابع اجتماعي أو سياسي أو ديني أو فكري أو فلسفي، ما خلا الطابع الفني البلاغي، وقد قرن النُّقاد العرب جودة الشعر بعمود الشعر وقالوا: إن الشعر الجيد المختار ما أتى على أبواب هذا العمود. واستنادًا إلى ذلك نشأ تيار نقدي يدعو إلى تجويد الكلام فنيًّا، وإحكام صنعته بلاغيًّا، دون الالتفات إلى معناه، ونَظَرِيَّةُ الجاحظ(ت٢٥٥هـ) في الشَّكْلِ، أو نظرية المعاني المطروحة معروفة، حيث قال: «المعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها

العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّرِ اللفظ، وسهولة المخرجِ، والرونق، وفي صحة الطبع وجَوْدَةِ السَّبْكِ، فإنما الشعر صِنَاعَةٌ، وضَرْبٌ من النسيج، وجنسٌ من التصوير»[(١)]، ولم يكن يتصور الجاحظ أن هذا الكلام سيؤول إلى تفضيل الشكل على المضمون، ولم يتصوَّر «أن نظريته التي لم تكن تمثِّل خطرًا عليه ستصبح في أيدي رجال البيان خطرًا على المقاييس البلاغية والنقدية، لأنها ستجعل العناية بالشكل شغلها الشاغل»[(٢)].

ثم تبعه الآمدي(ت٣٧١هـ) فقال: «وليس الشِّعْرُ عند أهل العلمِ به إلا حُسْنَ التأتّي، وقربَ المأخذ، واختيارَ الشعر، ووضعَ الألفاظ في مواضعها، وأن يُوردَ المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في مثله...»[(٣)].

ثم جاء أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) فيما بعدُ ليردِّد ما قاله الجاحظ، فقال: «وليس الشأنُ في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربيُّ والعجميُّ، والقرويُّ والبدويُّ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحُسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتراكيب، والخلوّ من أَوَدِ النظم والتأليف، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا»[(٤)]. ولعل آخر عبارة له: «وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا» تنم على مدى تعلُّقه وتعلُّق النُّقاد بظاهر الكلام وفَنِّيته، إذ الشأن في جودة اللفظ وصحة السبك، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا، وليس يهم بعد ذلك أكان خيرًا أم شرًا أو كان جيدًا أم سيئًا؟!

(١) الحيوان: (٣/١٣١ – ١٣٢).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس: (٩٩).

(3) الموازنة بين الطائيين: (١/٤٢٣).

(4) كتاب الصناعتين: (٥٨). والأَوَد: الاعوجاج.

وقد سُخِّرت البلاغة العربية لخدمة النقد، واستغنى النقد بها عن سواها، مِمَّا جعل أحكامَه محصورةً بين الجودة والرداءة، محورُهُ غالبًا اللفظ والبيت والعبارة، فكان من الطبيعي بعد ذلك ألا ينظرَ النقدُ القديم في الأدب أو الفكر أو الفلسفة أو الأخلاق.

ولم يكن النقد العربي القديم يتصور فكرة المذاهب والمدارس على نحوٍ يكوِّن فيه عدد من الشعراء مذهبًا خاصًا بهم، كصنيع أبي تمام والمتنبي والمعري مثلاً، بل حرّموا ذلك ومنعوه، وفرضوا شروطهم، وأمْلَوا فروضهم على كل الشعراء، وهي غالبًا شروط تتعلق ببنية الكلام وفَنّيته، فتجعله على نحوٍ أفضل بلاغيًّا، وتناسوا جوهر الكلام وما يمكن أن يأتي به هذا الجوهر من فكرٍ أو فلسفةٍ أو غير ذلك. وليت أنهم توقَّفوا عند الصياغة البنيوية الشكلية للشعر فحسب، بل أنكروا على الشاعر تجاوز المظهر إلى الجوهر، كما أنكروا الغموض والإغراب والإدهاش، وحاربوا كل سبيلٍ يمكن أن يُسْهِمَ في تجديد الشِّعر العربي أو تطويره. لذلك لم يعرفِ العربُ النقد الموضوعي على وجهٍ عام، ولم يتصوروا وجود نقد منهجي على شَكْلِ مدارس واتجاهات وغايات في الحياة، وإن وُجد فقد أجهضته البلاغة لغلبتها على النقد، علمًا أنه كان في الإمكان مدُّ النقد العربي باتجاهات جديدة تستطيع أن تخلِّصه من الغنائية لتنقله إلى الموضوعية، ولاسيما تلك التي فرضها ظهور الإسلام، كإدخال مبدأ الفضيلة إلى النقد العربي، ومحاولة اقتباس النمط الأدبي القرآني الذي تجلَّى في القصص القرآني على نحو يشق آفاق موضوعات جديدةٍ يستطيع العرب محاكاتها أو بناء الشعر عليها، فلا يضطرون إلى تحوير معاني القدماء أو سرقتها. إلا أن ذلك لم يحصل حتى في القرون الذهبية للحضارة العربية، ولاسيما القرن الرابع، فكل ما عرفه النقد في هذا القرن لا يتجاوز المفاضلة

والموازنة بين الشعراء، وهما أمران لم يأتيا بجديد للنقد العربي، لأنهما لم يخرجا عن نطاق الصياغة والنظم وغير ذلك من الأمور البلاغية.

بعد هذه المقدمة المطوّلة عن الأوضاع العامة التي كان عليها النقد العربي القديم يمكن أن نسأل:ما موقف النُّقاد العرب من الأخلاق والفضيلة والدين الحنيف؟وهل أثرت الأوضاع السابقة في مواقفهم من هذه الأمور؟

معلوم أن مظاهر الفحش قد بدأت في العصر الجاهلي، إذ تعالت بعض أصوات الشعراء الجاهليين بالفحش والعهر، على نحو ما عُرف عن امرئ القيس والأعشى، فمن فحش امرئ القيس قوله[١]:

فَمِثْلِكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرضعٍ فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ[٢]

وقوله:

فجئتُ وقد نَضَّتْ لنومٍ ثيابها لدى السِّتْر إلا لِبْسة المتفضِّلِ[٣]

وقوله:

سموتُ إليها بعدما نام أهلُها سُموَّ حَبَاب الماء حالاً على حالِ[٤]

ومن فحش الأعشى قوله[٥]:

فَظَلِلْتُ أرعاها وظلَّ يحُوطُها حتى دنوتُ إذا الظلام دَنَا لها

وقوله[١]:

---

(1) ديوانه: (١٢).

(2) المحول: الصغيرالذي بلغ حولاً، أي عامًا.

(3) ديوانه: (١٤)، ونضت: نزعت.

(4) ديوانه:(٣١)، وسموت إليها: نهضتُ إليها شيئًا فشيئًا.

(5) ديوانه: (٢٧).

وأقررتُ عيني من الغانيا تِ إمّا نِكَاحًا وإمّا أُزَنْ

وقوله[٢]:

فقد أُخرِجُ الكاعب المسترا ة من خِدْرِها وأُشيعُ القمارا

وقوله:

فقد أُخالِسُ ربَّ البيتِ غفلَتَهُ وقد يحاذر مني ثم مايئلُ[٣]

بيد أن هذا الأمر لاينفي العفافَ عن كثير من الشعراء الجاهليين، فقد قال ابن سلاّم (ت٢٣١هـ) «كان من الشعراء من يتألَّهُ في جاهليته، ويتعفَّفُ في شعره، ولا يستبهرُ بالفواحش، ولا يتهكَّمُ في الهجاء»[٤]. وليست المشكلة في انتشار الرذيلة في الشعر الجاهلي، إذ لا دينَ يردعهم، ولا وازع يزجرهم إلا من تخلَّقَ بخُلُق حسن، وحكمة فاضلة، وإنما المشكلة في الشعر الإسلامي الذي استمرّ بالفحش والعهر، على حضِّ الإسلام على الأخلاق والفضيلة، ونهيه عن الفحش والرذيلة، فانظر مثلاً ما قال الفرزدق[٥]:

فقُلْنَ له: نواعده الثريا وذاك عليه مرتفع الرِّحام

وبيضٍ كالدمى قد بِتُّ أسرِي بهِنَّ إلى الخلاءِ عن النِّيام

مَشين إليَّ لم يُطمثنَ قبلي وهُنَّ أصحُّ من بَيْضِ النَّعام

ثلاث واثنتان فهُنَّ خمسٌ وسادسةٌ تميل إلى الشِّمام

(1) ديوانه: (١٧)، أزن: من الزنى.

(2) ديوانه: (٤٥)، والمستراة: المختارة.

(3) ديوانه: (٥٩)، ما يئل: لا ينجو.

(4) طبقات فحول الشعراء (٤١/١)، وينظر الموشح: (١٧٩).

(5) شرح ديوانه: (٨٣٥/٢ – ٨٣٦)، والأغاني: (١٠٩/١٦).

فبتنَ بجانبيَّ مصرّعاتٍ وبتُ أفضُّ أغلاق الخِتام

فقد تجاوز كل فحشٍ وعُهر، وزاد على ما جاء به الشعراء الجاهليون، وإن دلَّ هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن بعض الشعراء المسلمين لم يأخذ بمبادئ الدين الإسلامي وقواعده الأخلاقية الضابطة، علمًا أن الرسول ﷺ وبعض أصحابه أطلقوا ملاحظاتٍ نقديةً تنمُّ على اهتمام بالجانب الخلقي في الشعر، ففي الأخبار «أن قومًا أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عن أشعر الناس: فقال: ائتوا ابن الفُريعة؛ يعني حسان، فأتوه فقال: ذو القروح؛ يعني امرأ القيس، فرجعوا فأخبروا رسول الله ﷺ؛ فقال: صَدَقَ، رفيعٌ في الدنيا، خَامِلٌ في الآخرة، شريفٌ في الدنيا، وَضِيْع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار»[1]. فالموقف الإيماني الأخلاقي للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله ﷺ والميزان الذي يزن به شعر الشعراء هو ميزان الأخلاق والفضيلة أيًا كان حظُّ الشاعر من الإبداع.

فقد وظَّف النبيُّ الشعرَ في نُصرة الدين وإعلاء شأن الفضيلة: «فالهجاءُ الذي أيَّده الرسول الكريم ﷺ هو الهجاءُ الموجَّه إلى المشركين، الذي يرمي إلى نزع الشِّرك من النفوس وإزالةِ هالاتِ التقديسِ عن آباء وأجداد عاشوا في ظل الوثنية... والفخرُ الذي طَرِبَ له النبيُّ عليه الصلاة والسَّلام فخرٌ بقيم الإسلام، ومنافحة عن نبيِّ الإسلام ودين الإسلام... والمديحُ الذي اهتزَّ له النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسَّلام هو المديح الذي يصور الحقيقة لا يتجاوزها»[2]. إذ يُفهم من كثير من الأخبار أن الرسول ﷺ كان يستنهض فضيلة الصدق في الشعر، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أصدق كلمةٍ قالها الشاعر

(1) تاريخ مدينة دمشق: (٩/٢٢٤)، وينظر: شرح شواهد المغني: (١/٢٣).

(2) التفكير النقدي عند العرب: ٥٢.

كلمة لبيد؛ ألا كل شيءٍ ماخلا الله باطل»[١]، كذلك رُوي أن النبي ﷺ «أُنشد قول سُحيم[٢]:

الحمدُ لله حَمْدًا لا انقطاعَ له فليس إحسانُهُ عنّا بمقطُوعِ

فقال: أحسنَ وصدق، فإنَّ الله ليشكرُ مثل هذا، وإن سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة»[٣].

ومن هذا القبيل أيضًا أن النابغة الجعدي قال: «أنشدتُ النبيَّ ﷺ[٤]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنا وجُدُودُنا وإنّا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فغضب وقال: أين المظهرُ ياأبا ليلى؟ قلتُ: الجنة يارسول الله، قال: أجل، إن شاء الله، وتبسم، فقلت[٥]:

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يَكن له بوادر تحمي صَفْوَهُ أن يُكدَّرَا

ولا خيرَ في جهْلٍ إذا لم يكن له حليم إذا ماأَوْرَدَ القومُ أَصْدَرَا

فقال النبي ﷺ: أجدتَ، لايفضُضِ الله فاك مرتين، فعاش أكثر من مئة سنة، وكان من أحسن الناس ثغرًا»[٦].

---

(1) صحيح البخاري : (٧٢٩) تحت الرقم ٣٨٤١، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية. وابن حبان في صحيحه (٩٩/١٣) تحت الرقم (٥٧٨٤).

(2) خزانة الأدب: (١٠٣/٢).

(3) شرح شواهد المغني (٣٢٧/١).

(4) شعر النابغة الجعدي: (٥١).

(5) لم أقف عليها في ديوانه. يُنظر: العقد الفريد: (٩٥/١)، ونضرة الإغريض: (٣٠٥) – (٣٠٦).

(6) نضرة الإغريض (٣٠٥ – ٣٠٦)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٣٩٤/٦).

فالرسول الكريم يُنكر على النابغة غلوه الزائد في قوله: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا، ويستنهض فيه فضيلة الصدق، وعندما أتبعَ النابغة قوله الأول ببيتين في الحكمة أثنى عليه الرسول بقوله: لايفضض اللهُ فاك. وقوله هذا إنما هو حكم نقدي بالجودة، وقد استند الرسول الكريم في إصداره إلى معيار المعاني الحكمية، والأخلاق الفاضلة التي رأى الرسول أنها تحققت في بيتيه، ولم ينظر النبي الكريم إلى نظمه أو أسلوبه أو غير ذلك من الأمور البلاغية التي كانت المعيار الأساسي عند العرب، فالمعاني الفاضلة هي الغاية عند الرسول ﷺ، والصياغة إنما هي وسيلة وحسب.

ولا يختلف موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن موقف الرسول الكريم، فقد بنى على أساس الصدق غير قليل من الأحكام النقدية على الشعر والشعراء. فقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: «قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلتُ: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: وكان كذلك؟! قال: كان لايعاظل بين الكلام ولا يتْبَعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه»[1] ، فهذا حكم نقدي عام يقوم على تفضيل زهير على غيره من الشعراء استنادًا إلى عدة معايير كان من بينها فضيلة الصدق، فزهير لايمدح الرجل إلا بما فيه، فلا يعتمد الكذب أو النفاق. وكذلك يُروى في الأغاني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كَذَبَ الحطيئةُ حيث يقول:

وإنّ جيَادَ الخيلِ لاتستفزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوقَ المعاصمِ[2]

(1) طبقات فحول الشعراء (٦٣/١).

(2) ديوانه: (٣٣٦)، وقوله: جاعلات الريط: كناية عن النساء.

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ»[١].

وهكذا اقترنَ قولُ الشعر عند الرسول الكريم وعمر بن الخطاب بالناحية الإيمانية الأخلاقية، فحضّا على الخير والفضيلة، ونهيا عن الشر والرذيلة، فكان المضمون الأخلاقي هو الغاية، ولم يكن المظهر (الشكل) إلا وسيلةً للتعبير عن هذه الغاية.

إلا أن النقد العربي، كما يبدو، لم يتأثر بكل ذلك، بل حدثَ خلاف ماهو متوقع، فأبعدَ أكثرُ النُّقاد الدين والأخلاق عن الشعر، وقالوا: الدين بمعزل عن الشعر، والمعاني كلُّها معروضة للشاعر، أكانت فاضلةً أم غير فاضلة! فاحشة أم غير فاحشة، وكل ذلك لغلبة المفهوم البلاغي على النقد العربي، فكانت أخطرُ نتيجة نجمت عن إبعاد الدِّين والأخلاق الفاضلة عن مضمار الشعر المساهمةَ في شيوع معاني العُهر والكفر في الشعر العربي.

فما انفك النُّقاد العرب يقولون بتنحية الدِّين عن الشعر، ولعل أوَّل ناقد عربي يطالعنا بهذا الأمر هو الأصمعي(ت ٢١٦هـ) وذلك حين يقول: «الشعر نَكِدٌ بابه الشر، وهذا حسانٌ[٢] فَحْلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سَقَطَ شعره»[٣]. وقال في موضع آخر: «طريقُ الشِّعر إذا أدخلته في باب الخير لاَنَ؛ ألا ترى أن حسان بن ثابت علا في الجاهلية وفي الإسلام، فلما دَخَل شِعْرُه في باب الخير – من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم –

(1) الأغاني: (٢/١١٤).

(2) [(حسّان) مصروف إذا كان من (حَسُنَ)، وغير مصروف إذا كان من (حَسَّ) / المجلة].

(3) فحولة الشعراء: (٥٣).

لاَنَ. وطريقُ الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرَّحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخُمُر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان»[1].

فالأصمعي يرى أن إدخال الشعر في باب الخير مدعاة لضعفه وسقوطه، وهو يُمثِّلُ على ذلك بشعر حسان بن ثابت ويقول: إنه اشتدَّ وقوي في الجاهلية، ولما أسلَمَ ودَخَل شعره في باب الخير ضَعُفَ ولاَنَ، ورأى أن طريق الشعر الصحيح هو طريق الفحول الأوائل، كامرئ القيس والأعشى حيث الوقوف على الأطلال والهجاء المقذع والمديح الذي يصدر غالبًا عن مشاعر كاذبة، والتشبيب بالنساء والتغزل بهن والتعهر في وصفهنّ، وغير ذلك من الأغراض الشعرية التي لاتصدر عن الذات بل عن تقاليد عامة ومُثُلٍ عُليا يُطالب الشاعر بتحقيقها في شعره.

وأيًّا كانت إرادة الأصمعي فإنه يُفهم من قوله أن الشعر يقوى ويشتد إن عُزل عن الدين، أو إن عُزل عن الخير على أقلِّ تقدير لقول الأصمعي. ويبدو أن السبب نفسه هو الذي جعل الأصمعي ينفى الجودة عن شعر لبيد مع ما اشتمل عليه من معانٍ حكمية، وذِكْرٍ للخير والفضيلة على نحو مايرويه صاحب الموشح(ت٣٨٤هـ): «أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: قال لي الأصمعي: شعر لبيد كأنه طيلسان طبري؛ يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة، فقلت له: أفحلٌ هو؟ قال: ليس بفحل. قال أبو حاتم: وقال لي مرة: كان رجلاً صالحًا، كأني به ينفي عنه جودة الشعر»[2]، فالأصمعي يستجيد صنعة شعر لبيد وجودة سبكه، ولكنه ينفي عنه الحلاوة والتأثير لاعتماده الحِكَمَ

(1) فحولة الشعراء: (٣٢).

(2) الموشح: (١٠٠).

المأثورة، والمعاني الفاضلة، لأنها في رأيه تُضْعف الشعر وتنفي عنه الحلاوة، فهو رجل صالح وليس فحلاً.

أما قدامة بن جعفر (ت٣٣٧ هـ) فقد جنَّبَ الشعرَ سلطانَ الدين والأخلاق عندما أتاح للشاعر حرية القول فيما يروم من معانٍ طيِّبةٍ أو خبيثةٍ، فاضلة أو رذيلة؛ إذ قال: «وما يجب توطيده وتقديمهُ... **أن المعاني كلها معرّضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحبَّ وآثر من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه**، إذ كانت المعاني للشاعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعةٍ من أنه لابدَّ فيها من كل شيءٍ موضوع يقبلُ تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة، **وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح، وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة**»[1]. فالمعاني كلُّها متاحة للشاعر ولا يحظّر عليه شيء منها، أكانت رفيعة أم وضيعة، إذ الغاية تجويد الكلام وحسب. فقدامة بن جعفر لاينظر إلى المعنى ونوعه بل إلى طريقة تأتِّيه والتعبير عنه، فسواء عنده أكان المعنى فاحشًا أم غير فاحش إذا ما بلغ الشاعر مرتبة الجودة الفنية.

ولما كان الأمر كذلك عند قدامة وكانت نظرته للشعر تقف عند حدود الجودة الفنية، كان من الطبيعي أن يستسيغ أي معنى فاحشٍ إذا بلغ الشعر المرتبة السابقة، وهو حقًا ماحدث، فقد استجاد أبيات الفحش الشهيرة التي قالها امرؤ القيس، مزدريًا بذلك الذوق العام الذي كان ينكر على امرئ القيس قوله هذا، إذ

(1) نقد الشعر: (٦٥– ٦٦).

يقول قدامة: «فإني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله[١]:

فمِثْلِكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائمَ مُحوِلِ

إذا مابكى من خلفها انصرفت له بشقٍّ وتحتي شقها لم يحوَّلِ

ويذكر أن هذا معنى فاحشٌ، وليست فحاشة المعنى نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لايعيب جودة النِّجارة في الخشب – مثلاً – رداءتُه في ذاته»[٢].

إن قدامة بن جعفر يسوِّغ رداءة الجوهر في الشعر على أساس الجودة في المظهر، فليست رداءة الجوهر تُزيل جودة المظهر أو تؤثِّر فيه، كما أن رداءة الخشب في ذاته لاتلغي الجودة في المصنوع. وهذا مذهب غير صحيح، فكيف لاتؤثِّر رداءة الجوهر في جودة المظهر، وفِعل قدامة هذا شبيه بعزل الجسد عن الروح ثم القول إن خُبث الروح لايزيل جمال الوجه والشكل، ولايؤثِّر فيه، فما ينفع جمال الوجه إن كانت الروح خبيثة مُنتنةً، وما ينفع جمالُ الخشب المصنوع وحُسْنُ مظهره الخارجي إن كان نوع الخشب رديئًا، ومضمونه فاسدًا.

ولم يقتصر الأمر عند قدامة بن جعفر على عزل الدين عن الشعر، بأن أباح للشاعر حرية اختيارِ ما رامَ من معانٍ وما حُظِّر من كلام فحسب، بل أباح له الكذب الخُلقي أيضًا بحيث لو ناقض شاعرٌ نَفْسَهُ فقال في قصيدةٍ خبرًا ما، ثم قال خلافه في قصيدة أخرى لكان أمرًا مقبولاً في الشعر، بل كان ذلك عنده دليلاً على قوة الشاعر وقدرته على صنعته. وفي ذلك يقول: «ومما يجب تقديمه أيضًا أن مناقضةَ الشاعر نفسَه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئًا وصفًا حسنًا، ثم يذمُّه بعد ذلك ذمًّا حسنًا، غيرُ مُنكرٍ عليه، ولا معيب من فِعْلِهِ، إذا

(1) ديوانه: (١٢).

(2) نقد الشعر: (٦٦).

أحسنَ المدح والذمَّ، بل ذلك عندي دليلٌ على قوة الشاعر في صناعته، واقتداره عليها»[١]. لذلك مايرى من عيب يلحق امرأ القيس إذ ناقض نفسه في موضع فقال[٢]:

فلو أنَّ ماأسعى لأدنى معيشةٍ كفاني – ولم أطلُب – قليلٌ من المالِ
ولكنّما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدركُ المجدَ المؤثل أمثالي

ثم قال في موضع آخر[٣]:

فتملأ بيتنا أَقِطَ ًا وسمنًا وحسبُكَ من غنىً شِبَعٌ وريُّ

فامرؤ القيس يقول في أحد الشعرين: إن القليل يكفيه، ويقول في الآخر: إنه لايكفيه. ومع أن قدامة بن جعفر حاول في بادئ الأمر ردّ هذه الشبهة عن بيتي امرئ القيس وأن امرأ القيس لم يقصد المناقضة، فإنه عاد في النهاية فقال: «ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئًا، من أجل أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى ألا ينقض بعضه بعضًا، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة أيضًا لم يجر مجرى العيب، **لأن الشاعر ليس يُوصف بأن يكون صادقًا**، بل إنما يُراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني، كائنًا ماكان، أن يُجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ماقاله في وقت آخر»[٤]. فليس يُوصف الشاعر بأن يكون صادقًا أو كاذبًا، لأن مسألة الصدق والكذب أمرٌ لاعلاقة له بجودة الشعر، إذ لايطلب من

(1) نقد الشعر: (٦٦).
(2) ديوانه: (٣٩)، وينظر نقد الشعر:(٦٧)، والمؤثل: المثمر الذي له أصل.
(3) ديوانه: (١٣٧)، وينظر نقد الشعر (٦٧)، والأقِط: شيء يُصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن.
(4) نقد الشعر: (٦٨).

الشاعر شيء إلا تجويد الكلام وإتقان مظهره في الحاضر، بعيدًا عما قاله في وقت آخر، أكان ينافيه أم يوافقه!

وقد كان متوقعًا من قدامة بن جعفر أن يتعرض للمعاني الفاضلة وما يمكنها أن تؤديه من دور مهم في نفس الإنسان العربي، وذلك عندما شرع بتبيين مايعمُّ جميع المعاني فتظهر على أثر ذلك جيدة مستساغة، إلا أن شيئًا من ذلك لم يحدث لأن قدامة بن جعفر حَصَرَ جودة المعنى بفَنِّيَتِهِ، فتحدث عن التقسيم والمقابلة والتفسير والتتميم والمبالغة والتكافؤ والالتفات وغير ذلك من الأساليب البلاغية، التي اعتمدها مقاييس عامة يقيس بها جودة المعنى وسلامته، ولم يتطرق إلى الأخلاق أو الفضيلة التي كان في الإمكان أن يجعلها مرتبةً من مراتب جودة المعنى، وهو أمر ليس ببعيد عن قدامة، لأنه قبل أن يتحدث عن صفات الجودة التي تعتري المعاني الشعرية، والتي كما ذُكر حصرها في الفنون البلاغية السابقة وما يمكن أن تبثَّهُ في المعنى من حُسْنٍ وجَمال، كان قد تحدَّث عن صفات الجودة في أغراض الشعر في المعاني؛ فأول غرض وقف عليه هو المديح، وذهب إلى أن المديح قد يكون حسنًا إن أصاب فيه المتكلم المعنى ولم يخرج عن فضائل أربع هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة[1]، وذهب إلى أن المادح يكون مصيبًا إن قصد هذه الخصال، والمادح بغيرها يكون مخطئًا[2]، وهي حقًا فضائل ثمينة تُثري الشعر وتُعلي مقامه. إلا أن قدامة بن جعفر يحصر هذه الفضائل في فن المديح فلا يستجيدها إلا فيه، ولو أنه فعل خلاف ذلك لرفض بيتي امرئ القيس السابقين لأنهما أخلاّ بفضيلة أساسية من الفضائل الأربع، وهي فضيلة العِفَّة،

(1) يُنظر نقد الشعر: (٩٦).

(2) ينظر المصدر السابق: (٩٦).

وفوق ذلك كله – وهو الأهم – أن قدامة بن جعفر يذكر هذه الفضائل من باب الفخر لا من باب الحضِّ عليها. ومهما يكن من أمر فلو عمَّمَ قدامة هذه الفضائل، أو بعضها، على الأغراض الشعرية الأخرى وطالب الشعراء العرب باتباعها، لكان في الإمكان الحدُّ من ظاهرة الفساد الأخلاقي في الشعر العربي.

وبعد، فإن سيطرة الفكر البلاغي على قدامة بن جعفر جعله لاينظر إلا إلى فَنِّية القول وظاهره، فإن اتفقت هذه المزيَّة فيه أَخَذَ لاينظر إلى سواها من معانٍ أو غايات أو مشاعر، ولا يهتم أكان الكلام مدحًا أم ذمًّا؟ أيوافق الذوق العام أم لا؟ أيخالف الدين والأخلاق أم لا؟ وكان الأَوْلى به تعزيز الجانب الأخلاقي ودفع عجلة الشعر العربي نحو المثل الفاضلة، لا أن يُسوِّغ للشاعر مفاسد معانيه وفحشها، وليت أنه قرن الجودة الفنية بالجودة الخُلُقية في حُكْمه النقدي، ولكن أن يحكم بمقاييس الجودة الفنية وحدَها فذلك جَوْرٌ على الشعر العربي، وحرمانٌ له من مزاياه الكثيرة التي كان يمكنه أن يأخذها لو نظر إليه من جهتيه؛ الفنية والخلقية.

ولا يختلف الآمدي (ت ٣٧١هـ) عن قدامة بن جعفر، إذ لم يجعل من مبادئ الإسلام والتزامها مقياسًا من مقاييس جودة الشعر في معانيه، فهو يثني على بعض الأبيات ويصفها بالجودة مع أنها في غاية الفحش، ففي ذلك يقول: «وأحسنُ ماقيل في المضاجعة قول امرئ القيس[1]:

تقولُ وقد جَرَّدتُّها من ثيابها كما رُعتُ مكحولاً من العِينِ أتلَعَا[2]

(1) ديوانه: (٢٤١ – ٢٤٢)، ويُنظر الموازنة بين الطائيين (٢/١٤٠).

(2) رعتُ: أفزعتُ، مكحولاً من العين: أي ولد الظبية، والأتلع: الطويل العنق.

أجِدَّكَ لوشيءٌ أتانا رَسُولُهُ سواكَ ولكنْ لم نجدْ لكَ مَدْفَعا[١]
فَبِتْنَا تَصُدُّ الوحشُ عنَّا كأننا قتيلانِ لم يَعْلمْ لنا الناسُ مَصْرَعا[٢]
تجافى عن المأثور بيني وبينها وتُدني عليها السابريَّ المضلّعَا[٣]

وهذا لاشيءَ أجودُ منه ولا أبرع، وقد أخبرَ بالأمر على ماكان»[٤].

فالآمدي لايُثني على هذا المعنى وحسب بل يعده أحسنَ ماقيل في المضاجعة، فلا شيء أجود منه ولا أبرع، وكأن المضاجعة فنٌّ عريق، ومضمارٌ واسع يتسابق في ميدانه الشعراء، وهو أمر خطير إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلّ على البعد التام بين الشعر وبين الدين، وإلا فكيف يتحدث الآمدي بهذا الانشراح والبسط (الأريحية) عن هذا المعنى؟ ويبدو أن الذي شَجَّع الآمدي على نهج هذه السبيل ماكان يسمعه من شيوخه، نَقَدَةِ الشعر، من استحسانٍ وثناءٍ على مثل هذه المعاني، والدليل على ذلك تعليقه على قول البحتري[٥]:

ولم أنسَ ليلتنا في العِنا قِ لفَّ الصَّبَا بقضيبٍ قَضيبا

إذ قال: «وما زلتُ أسمع أهل العلم بالشعر يقولون: إن هذا البيت أجودُ ماقيل في العناق، لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجودِ لفظ، وأحسنِ نظم»[٦]، فقد

(1) لوشيء: يريد أحدٌ، أي: لو أحد أتانا رسوله لما أجبناه.
(2) تصدُّ: تصرف أنفسها عنا؛ أي تنكرنا.
(3) تجافى: ترتفع. المأثور: السيف. السابريُّ: ضربٌ من الثياب. المضلّع: الذي فيه ضرائب.
(4) الموازنة بين الطائيين: (١٤١/٢).
(5) ديوانه: (١٥٠/١)، ويُنظر الموازنة بين الطائيين: (١٣٩/٢).
(6) الموازنة بين الطائيين: (١٣٩/٢).

استحسن أهلُ العلم بالشعر – وهم نَقَدَتُهُ – هذا المعنى، مع أن أبا عبادة يتحدث فيه عن العناق ولفِّ الحبيب لصاحبه، وليس استحسانهم لمعنى العناق عائدًا إلى المعنى نفسه، ولكن إلى الهيئة التي صدر بها المعنى، وجودة صياغة هذه الهيئة، بدليل قولهم إنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظٍ وأحسن نظم، وقد تبعهم الآمدي في ذلك، فأخذ يردد أقوالهم ويحذو حذوهم.

ولما كانت نظرة الآمدي إلى الشعر مجرّدة من أي مظهر ديني، متأثرًا بذلك بمن قبله من النُّقاد، ذهب ينفي الغاية الخُلُقية والنفعية عن وظيفة الشعر، فهو يرى أن الشاعر لا يُطالب بأن يكون قوله صدقًا، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به، لأنه قد يوقعه خلاف ذلك، وكأَنَّ الآمدي يردِّدُ قول قدامة بن جعفر عندما ذهب سابقًا إلى القول بأن الشاعر لا يُوصف بأن يكون صادقًا، وقد عرض الآمدي لهذه الفكرة وهو بصدد قول بُزَرْجُمُهر في فضائل الكلام حيث قال: «إنَّ فضائلَ الكلام خمسٌ، إنْ نقصتْ منها فضيلةٌ واحدةٌ سَقَطْ فضلُ سائرها، وهي: أن يكون الكلام صدقًا، وأن يُوقعَ موقع الانتفاع به، وأن يُتكلم به في حينه، وأن يُحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة»[1]، فقال الآمدي معلِّقًا على قول بُزَرْجُمُهر: «وهذا إنما أراد به بُزَرْجُمُهر الكلامَ المنثورَ الذي يُخاطب به الملوك، ويُقدِّمه المتكلم أمام حاجته، **والشاعر لا يُطالب بأن يكون قوله صدقًا، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به؛ لأنه قد يقصد إلى أن يوقعه موقع الضرر**، ولا أن يجعل له وقتًا دون وقت. وبقيت الخلتان الأخريان وهما واجبتان في شعر كل شاعر، وذلك أن يُحسنَ تأليفه ولا يزيد فيه شيئًا على قدر حاجته، فصِحَّةُ التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى. فكلما كان أصحَّ تأليفًا كان أقومَ

(1) الموازنة بين الطائيين: (١/٤٢٧ – ٤٢٨).

بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه»[١].

فالآمدي ينفي فضائل الكلام عن الشعر ويُبيح للشاعر الكذب والضرر، فهو يرى أن الشاعر لا يطالب بأن يقول ما ينتفع به الناس من قول حكيم أو معنى مفيد، بل يُباح له الضرر بكل أشكاله كالهجاء الفاحش، والغزل المتهتك، وغير ذلك مما يُنافي الأخلاق والفضيلة.

ويُلحظ من قول بُزَرْجُمُهر السابق الفرقُ الواضح بين غاية الشعر الفارسي وغاية الشعر العربي، فقد قَرَن بُزَرْجُمُهر الشعر الفارسي ببعض الفضائل والمزايا، في حين حاول الآمدي نفي هذه الفضائل عن الشعر العربي، فما كان مقبولاً عند بُزَرْجُمُهر كان مرفوضًا عند الآمدي.

واللافت للانتباه أن هذه المزايا أو الفضائل يُكمِّل بعضها بعضًا في الشعر الفارسي، فإن سقطت فضيلة واحدة سقط فَضْلُ سائرها، حيث يقول بُزَرْجُمُهر: «فإنه إن كان الكلام صدقًا، ولم يُوقع موقع الانتفاع به بَطَلَ فضل الصدق فيه ولم ينتفع به، وإن كان صدقًا وأوقع موقع الانتفاع به ولم يُتكلم به في حينه لم يُغنه الصدق ولم ينتفع به، وإن كان صدقًا وأوقع موقع الانتفاع به وتُكلم به في حينه ولم يُحْسَن تأليفه، لم يستقر في قلب مستمعه، وبطل فضل الخلال الثلاث منه... »[٢].

ويُلحظ أيضًا أن الناحية البلاغية في فضائل الشعر الفارسي، وهي التي تجلّت في الفضائل الأخيرة التي ذكرها بُزَرْجُمُهر ، كوَّنت جزءًا ثانويًّا من هذه الفضائل، بخلاف النقد العربي عامة، الذي جعل الفضل الأكبر في البلاغة، فإن

(1) الموازنة بين الطائيين: (٤٢٨/١).

(2) الموازنة بين الطائيين (٤٢٨/١).

تحقَّق في النص الشعري فقد تمت الغاية. وهكذا كانت (النوعية) و(الكيفية) مصدرَ الأحكام النقدية عند الفرس، في حين كانت (الكيفية) وحدها مصدر أكثر أحكام العرب النقدية. ولم يحاول الآمدي الإفادة من التجربة الفارسية أو التنبيه على أهميتها، بل مضى يكرِّر ما قاله سلفه بأن صحة التأليف في الشعر هي أقوى دعائمه، بمعنى أن البلاغة هي أقوى دعائم الشعر وأهمها.

أما المرزباني (ت ٣٨٤هـ) فلم يصرِّح بموقفه من قضية الدين والأخلاق في الشعر، بل اكتفى بنقل الموقف العام من بيتي امرئ القيس الفاحشين حيث قال: «وعِيب أيضًا على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره، كقوله[1]:

ومِثْلكِ حُبْلى قد طرقت ومُرضعٍ فألهيتها عن ذي تَمائم مُحْوِلِ»[2]

فالمرزباني يستعمل لفظة (عِيب) بصيغة المجهول ليدل بذلك على أن فئة ما استهجنت قول امرئ القيس هذا لفحشه وعهره، دون أن يدليَ بدلوه في هذا الميدان.

ومن الطريف أن نذكر ما رواه المرزباني في هذا الموضع من أن فئة ما أنكرت على امرئ القيس قوله هذا، وليس إنكارها لفعل امرئ القيس الفاحش، بل أنه قصد الحُبْلى والمرضع دون البِكْرِ، وهو مَلِكٌ وابنُ مُلوك، ولا يليق ذلك بأبناء السادة والملوك[3]. فهذه الفئة لا تُنكر على امرئ القيس فعله المنكر، إنما تُنكر عليه اختياره لمن وقع عليه المنكر، ولو اختار غيرها لجاز له ذلك ولم يُعب عليه.

(1) ديوانه: (١٢).

(2) الموشح: (٤١).

(3) الموشح: (٤٢).

أمّا القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) فقد أعلن صراحةً أن الدِّيْنَ بمعزلٍ عن الشعر، وقد صرّح بذلك وهو بصدد الدفاع عن المتنبي، إذ أخذ عليه قومٌ ضَعْفَ العقيدة، وفسادَ المذهب في الديانة، فقال: «فلو كانت الدِّيانَةُ عارًا على الشعر، وكان سوءُ الاعتقاد سببًا لِتَأَخُّر الشاعر لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نُوَاس من الدواوين، ويحذف ذكره إن عُدَّت الطبقات، ولَكَانَ أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعْرَى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه، خُرسًا وبكاءً مفحمين، ولكنَّ الأمرين متباينان، **والدِّيْنُ بمعزلٍ عن الشِّعر**»[1].

فليست الديانة عارًا على الشعر، وليس سوءُ المعتقد الديني سببًا لتأخر الشاعر، ولو كان الأمر كذلك لوجب إخراج اسم أبي نواس وكعب بن زهير وغيرهم ممن أظهروا الكفر أو فساد العقيدة من ميدان الشعر. والجرجاني إنما يقول ذلك دفاعًا عن المتنبي واحتجاجًا له لتسويغ ما أظهره المتنبي في بعض أبياته من معانٍ توحي بفسادِ العقيدة[2].

---

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه: (٦٣).

(2) نحو قوله:

عاذلتي بالسِّفاه والزجر استمعي ما أبثُّ من أمري
باحَ لساني بمضمر السرِّ وذلك أني أقول بالدهرِ:
بين رياض السرور لي شيعٌ كافرةٌ بالحساب والحشرِ
موقنة بالممات جاحدةٌ لما رووه من ضغطة القبرِ
وليس بعد الممات منقلبٌ وإنما الموت بيضةُ العَقْرِ

وقوله:

وقد كان في إمكان الجرجاني تَنَحُّل الأعذار لأبي الطيب فيما أظهره من فساد العقيدة في بعض الأبيات، كأن يزعم خَطَأً نسبتها إلى أبي الطيب مثلاً، أو خروج المتنبي عن طور الوعي العقلي حين قال هذه الأبيات، لأن ذِكر الخمور والملذات يغلب على تلك الأبيات، مما قد يوحي بأنه قالها وهو في حال السُّكر، وغير ذلك مما قد يغض الطرف عما قاله المتنبي، أمّا أن يُنحِّيَ الدينَ عن الشعر ليسوِّغَ بعض ما قاله المتنبي من معانٍ تنمُّ على ضعف العقيدة أو فسادها، فذلك تجنٍّ على الدين والشعر، إذ المفترض بالدين أن يكون قانونًا ضابطًا لكل شيء في الوجود، فلِمَ يُستثنى الشاعر من هذا الوجود؟ لذلك فإن مذهب القاضي الجرجاني لا يبدو على وجه من الصواب حين قَبِلَ أشعار المتنبي التي توحي بفساد العقيدة.

أما ما ذهب إليه الجرجاني من شيوع الكفر في شعر الجاهلية، فعذر أهل الجاهلية أنهم كانوا على دين الجاهلية، ولكن ما عذر أهل الإسلام فيما أتوا به من

أأتركُ لذة الصهباء نقدًا لما وعدوه من لبنٍ وخَمْرِ
حياة ثم موتٌ ثم بَعْثٌ حديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عمرِ

وقوله:

فدعِ الملامةَ قد أطعتُ غَوايتي ونبذتُ موعظتي وراء جداري
ورأيتُ إيثار اللذاذة والهدى وتمتعًا من طيب هذي الدارِ؟؟
أحرى وأحزم من تنظّر آجلٍ ظني به رجمٌ من الأخبارِ
إني بعاجل ما ترين موكل وسواه إرجاف من الآثارِ
ما جاءنا أحد يخبر أنه في جنة مُذْ مات أو في النارِ

يُنظر الوساطة بين المتنبي وخصومه: (٦٣، ٦٤)، والموشح: (٤٢٧، ٤٢٩)، مع تغيير في رواية بعض الأبيات. ولم أقف عليها في ديوانه.

معانٍ تشي بالكفر وفساد الأخلاق والعقيدة؟

وكذلك لم يخرج ابن وكيع التِّنِّيسي (ت٣٩٣هـ) عن نهج السلف السابق، بل ردّد عبارتهم الشهيرة التي تحولت إلى مبدأ أساسي من مبادئ النقد العربي، فقال: «**لا يُلتمس الصدق من الشعراء، وإنما يُلتمس منهم حُسن القول. والصدق يُلتمس من أخبار الصالحين وشهود المسلمين**»[1].

وإلى مثل ذلك ذهب أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) ، فقال وهو يتحدث عن الخطابة وأنَّ لها الحظ الأوفر من أمر الدين وذِكر المواعظ وغير ذلك من الإرشادات التربوية والقيم الفضيلة: «ولا يقعُ الشعرُ في شيء من هذه الإشارات موقعًا، ولكن له مواضع لا ينجح فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها، وإن كان أكثره بُني على الكذب والاستحالة من الصفات المختلقة والنعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة؛ من قذف المحصنات وشهادات الزور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله، **وليس يُراد منه إلا حُسن اللفظ، وجودة المعنى**، هذا الذي سوّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذِكره فيه»[2].

فالعسكري يؤكِّد أن القيم الفضيلة، والإرشادات التربوية، والمواعظ الدينية، لا تقع في الشعر، إنما تقع في الخطابة، لذلك كان الشعر مملوءًا بالكذب الخُلُقي، من شهادة الزور، وقول البهتان، والكذب الفني؛ من المبالغة والغلو والإفراط، ثم يُسوِّغ كل ذلك فيقول: وليس يُراد من الشعر إلا حُسن اللفظ وجودة المعنى، وهو

(1) يُنظر المنصف في نقد الشعر : (٨٧).

(2) كتاب الصناعتين: (١٣٧).

الذي سوّغ قول الكذب. فهو يُعلن صراحةً أن الذي سوَّغ استعمال الكذب وشيوع الرذيلة في الشعر العربي هو الغاية البلاغية التي تهتم بالمظهر وتهمل الجوهر، والتي استحالت إلى مبدأ أساسي من مبادئ النقد العربي القديم. وقد كان العسكري وفيًّا لهذا المبدأ في أحكامه النقدية الجمالية، فلم ينظر إلى ما كان يقول الشاعر بل إلى طريقة هذا القول، وقد بدا هذا الأمر واضحًا عند تقويمه بيت امرئ القيس الشائع الفحش[1]:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذ قال: «لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة قال: إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه، لمعرفته بشغفها به وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه»[2] فلم ير العسكري في هذا البيت إلا المبالغة التي تحقَّقت شروطها، فأبدى إعجابه بها وبقائلها، وكأنه لم ينتبه إلى فحش المعنى ورذالته ومجانبته الحشمة والأخلاق، فهو يسوِّغ للشاعر مخالفة الدين على حساب البلاغة، وعلى هذا النحو درج أغلب النُّقاد العرب.

وبعد هذا الاطلاع على آراء جملة من أشهر النُّقاد العرب، وملاحظة مواقفهم المجمعة على عزل الدين والأخلاق عن الشعر، يمكننا القول إن النقد العربي لم يتأثر بالدين الحنيف فيستلهم بعض مبادئه ويحض الشعراء على اتِّباعها، بل كان النقد العربي عصيًّا على التغيير، موصدًا أبوابه أمام كل جديد، فإن أتى شاعر ما بصورة بعيدة أو غريبة شدّدوا النكير عليه، واتهموه بالخروج عن عمود الشعر العربي، وربما كانت علة ذلك الشعرَ الجاهليَّ، فقد كان مصدرَ تشريع النُّقاد

(1) ديوانه: (١٢).

(2) كتاب الصناعتين: (٣٦٥).

العرب، ووحيَ قوانينهم، ولم يكن الإسلام كذلك، أي لم يغيِّر أكثرُ النُّقاد العرب مصدر تشريعهم بعد نزول القرآن الكريم، فيتحولوا عن قوانين الجاهلية إلى قوانين الإسلام. بل ظلوا ينظرون إلى الشعر الجاهلي حتى قرون متأخرة على أنه القدوة المثلى، والمثل الأعلى، فكان من الطبيعي ألا يخرج الشعر الإسلامي عن سَمْتِهِ الجاهلي العام إلا في بعض الأغراض والخصائص، وأن يحتفظ بجُلِّ مقومات الشعر الجاهلي ومنها الفحش والعهر.

المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلَّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي،ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس،ط١، دار صادر بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٥م.

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس ، ط٢، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، د.ت.

٦- التفكير النقدي عند العرب: عيسى علي العاكوب، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧- الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م.

٨- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيثو، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م.

٩- خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

١٠- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، د.ط، د. ت.

١١- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، د.ط، د. ت.

١٢- ديوان البحتري، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف بمصر، د. ت.

١٣- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤- ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري: تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

١٥- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: أبو العلاء المعري، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار المعارف،د.ط، د.ت.

١٦- شرح ديوان الفرزدق، جمع وتعليق: عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، مصر، د. ط. د.ت.

١٧-شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي، ذُيِّل بتصحيحات وتعليقات الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، د.ط، د.ت.

١٨-شعر النابغة الجعدي، تحقيق: عبد العزيز رباح، ط١، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٩- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن قتيبة بن مسلم ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٣، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٠- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. د. ط.

٢١- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلاَّم ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.

٢٢- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، د. ط.

٢٣- فحولة الشعراء: أبو سعيد الأصمعي، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، ط١، المطبعة المنيرية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٢٤- كتاب الصناعتين: الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٢٥- المنصف في نقد الشعر: أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي، قرأه وعلَّق عليه: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، د.ط، د.ت.

٢٦- الموازنة بين الطائيين :أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق: السيد صقر، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٢٧- الموشح مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، 1965م.

٢٨- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفّر بن الفضل العلوي، تحقيق: نهى عارف الحسن، مطبعة طربين، دمشق، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٢٩- نقد الشعر: قدامة بن جعفر ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٣٠- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣١- الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب (القانون) لابن سينا

(القسم الثاني والثلاثون)

الدكتورة وفاء تقي الدين

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٨٢ الجزء ٤)

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم االثاني والثلاثون)(*)

د . وفاء تقي الدين

خُرْء**

خرء ١: ٤٦٤

تداوى القدماء بعقاقير نباتية وحيوانية ومعدنية. ومن العقاقير الحيوانية التي استعملوها في طبهم فضلات الحيوان على اختلاف أنواعها. وغالبًا ماتستعمل في الأطلية والكمادات وما أشبهها، لذلك ذكر ابن سينا في مفرداته الخرء فقال: «الماهية: ذكر في فصل الزاي عند بياننا الزبل. الخواص: كله مُسخّن محلّل

(*) نُشرت الأقسام الواحد والثلاثون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ٦٤٣) ، و (مج٨٢: ١٣٥، ٣٢، ٦١٥).

** الصيدنة ١٧٨، ومعجمات اللغة (خرأ). وانظر : (بعر، جعر، خثى، ذرق، زبل، سرقين).

مجفّف»، وفي القانون أسماء أخرى كثيرة مرادفة لكلمتي الخرء والزبل مثل الأخثاء والبعر والذرق والسرقين... الخ

واقتصر في المفردات على الكلمتين الأوليين لأنهما تدلان دلالة عامة، بخلاف الأسماء الأخرى ذات الدلالات الخاصة. وفي الفهرسة أحلت فضلات كل حيوان إلى اسم الحيوان نفسه إلا ما كانت تسميته بهذا الاسم من باب المجاز كما في (خرء الحمام) و (خرء العصافير) اللتين ستليان في معجمنا.

جاء في تاج العروس: «.. والخرء بالضم، ويفتح، العذرة، والجمع خروء وخرآن.. وقد يكون ذلك للجرذ والكلب.. وقد يكون ذلك للنمل والذباب.. الخ».

خرء أرنب	انظر (أرنب)
خرء الاسقنقور	انظر (اسقنقور)
خرء البازي	انظر (البازي)
خرء التمساح	انظر (تمساح)
خرء الثعلب	انظر (ثعلب)
خرء الثور	انظر (ثور)
خرء الحمام	انظر (حمام)
خرء الحيوانات	انظر (حيوان)
خرء الخطاطيف	انظر (خطاف)
خرء الخنزير	انظر (خنزير)
خرء الدجاج	انظر (دجاج)
خرء الديك	انظر (دجاج)
خرء الذئب	انظر (ذئب)
خرء الزرازير	انظر (زرزور)

خرء سام أبرص — انظر (سام أبرص)

خرء الضب — انظر (ضب)

خرء الفأر — انظر فأر

خرء القنفذ — انظر (قنفذ)

خرء الكلب — انظر (كلب)

خرء الورل — انظر (ورل)

خرء الحمام *

خرء الحمام ١: ٣٤٢

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على عقّار اسمه كود كندم فكان مما قاله فيه «... وبالرقّة يسمّونه خرء الحمام، وببغداد يسمى جوز جندم..»

ونجد مثل كلام ابن سينا السابق عند كل من الرازي وابن جلجل وابن جزلة وغيرهم، وتكلمت على هذا العقار بتوسع في باب الجيم من هذا المعجم. انظر مادة (جوز جندم)

خرء العصافير **

خرء العصافير ١: ٢٥٤/ ٢: ١٢٦/ ٣: ٢٨٠

تكلم ابن سينا في أدويته المفردة على الأشنان فكان مما قاله: «الأشنان أنواع

---

* الحاوي ٢٢: ٣٥٠، ومنهاج البيان ١٠٢أ، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥٧، والشامل ٢٥١، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣، ومعجم أسماء النبات ٨٦ (١٠). وانظر مادة (جوز جندم).

** الصيدنة ١٧٨، والجامع ١: ٣٨، ومعجم أسماء النبات ٦١ (٦). وانظر مادة (أشنان).

ألطفها الأبيض ويسمى خرء العصافير»

وذكر هذا الاسم أيضًا البيروني في الصيدنة إذ قال: «خرء العصافير بالسريانية زيلادصفرا» ولم يقل إنه نوع من الأشنان، أما ابن البيطار فنقل كلام ابن سينا نفسه.

وهكذا نستفيد من القانون فقط أن خرء العصافير اسم لنوع من الأشنان. وانظر مادة (أشنان) التي سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم.

خراطين*

خراطين ١: ٤٦٤/ ٢: ١٥٣، ١٥٤، ٢٨١، ٥٥٠

خراطين مجففة ١: ١٥٢/ ٢: ٤٠٨، ٥٠٣

خراطين مدقوقة ١: ٤٦٤

سلاقة الخراطين ٢: ١٥٤

طبيخ الخراطين ١: ٤٦٤

ذكر ابن سينا الخراطين في الأدوية المفردة فلم يصفها لأنها معروفة، بل بيّن من فوائدها الطبية أنه يضمّد بمدقوقها جراحات الأعصاب، وطبيخها مع شحم الوزّ نافع من وجع الأذن، وإذا شربت مع بعض الأشربة نفعت من اليرقان.. الخ.

ونجد مثل هذه الفوائد وأشباهها في كتب المفردات الأخرى. والخراطين هي تلك الديدان الحمر الطوال الحَلَقية التي تعيش في الطين والأماكن الندية، ومن أسمائها في المراجع: عروق الأرض، ودودة الأرض، وشحمتها، ولحمتها، وحُبْليل.

وجاء في لسان العرب عن الأزهري قوله إنه لايحسب هذه الكلمة عربية

---

* الحاوي ٢٠: ٤٢٤، ومنهاج البيان ١٠٢أ، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠٢)، ومفيد العلوم ٤٢، والجامع ٢: ٧٥، والشامل ٢٥١، والمعتمد ١٢٤، ومالايسع ٢٠٧، والتذكرة ١: ١٣٣، ومعجم الحيوان ٩٣ ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٩٨، ومعجمات اللغة (خرطن)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٣، وبرهان قاطع ٢: ٧٢٢ (خراتين)، ٧٢٣ (خراطين).

محضة، ونص المعجم الفارسي برهان قاطع على أنها معربة من الكلمة الفارسية خراتين على وزن سلاطين، والخراطين المعربة جمع لا مفرد له من لفظه، ويرى الأمير مصطفى الشهابي أن من المفيد إقرار مفرد لها هو ـ حسب اقتراحه ـ خُرطون.

خَرَب*

لحوم الخِرْبان ١: ٣٥٨، ٣٥٩

تكلم ابن سينا في مفردات القانون على اللحم فميز أنواعه المختلفة باختلاف الحيوان أو باختلاف أجزاء جسمه، فذكر لحوم الخربان وخواصها..

والخِرْبان جمع خَرَب، وهو الحُبَارى [1] وجاء في تاج العروس: «والخرب محركة ذكر الحبارى، وقيل هو الحبارى كلها.. والجمع أخراب وخِراب وخِربان بكسرهما».

خَرْبَق**

خربق، الخربق ١: ١٥٩، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٨٢، ٢٨٣،

* معجمات اللغة اللسان والتاج وغيرهما (خرب). وانظر مراجع مادة (حبارى)

(١) تكرر هذا الاسم في القانون أكثر من الحزب. انظر مادة (حبارى) في باب الحاء من معجمنا هذا.

** كتاب ديسقوريدس ٣٥٤ (لابورص)، ٣٦٠ (لابورس)، ٣٩٨ (الشراب المتخذ بالخربق الأسود)، والحاوي ٢٠: ٣٧، ٢٢: ٥٨، والملكي ٢: ١٢٨، ١٤٥، والصيدنة ١٧٦، ومنهاج البيان ١٠١أ (خربق أبيض)، ب (خربق أسود)، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٣٩٩)، ومفيد العلوم ٤١، والجامع لمفردات الأدوية ٢: ٥٤، والشامل ٢٥٠، والمعتمد ١٢٣، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٤، وحديقة الأزهار ٣٢٠ (٣٥٢) ٣٢١ (٣٥٣)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٢، ومعجم أسماء النبات ٩٢ (١٨)، ١٨٧ (١١) خربق أبيض، ٩٢ (١٩) خربق أسود، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٣١ (خربق، خربق أسود)، ٦٧٢ (خربق أبيض)، والمعجم الموحّد ٢٠، ١٠٣، ومعجمات اللغة القاموس واللسان والتاج وغيرها (خربق)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٢.

٣٣٤. ٣٤٠، ٣٥٨، ٣٩١، ٣٨٨، ٤٥٦،
٤٥٧/ ٢: ٢٠، ٢١، ٦٩، ٧٦، ٨٥، ٩٠، ٩٦،
٩٧، ١٤٣، ١٥١، ١٧١، ١٨٦، ١٩٨، ٢٤٤،
٢٥٢، ٣٧٤، ٣٨٩، ٣٩٣، ٤٠٩، ٤٣٥،
٤٦٦، ٤٩٥، ٥٨٤/ ٣: ٥٨، ١٣٢، ١٤٢،
١٧٨، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٠. ٢٥٠،
٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٨٦،
٢٨٩، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤٧.

خربق أبيض ١: ٢٤٨، ٤٥٥، **٤٥٦**، ٤٥٧/ ٢: ٢١، ٨٤،
٩٠، ٩٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٦،
١٥٩، ١٧٠، ١٧٤، ٢٢١، ٣٧٩، ٤١٦،
٤٣٥، ٥١٥، ٥٧٨، ٥٩٣، ٦٠٤/ ٣: ٢٢٥،
٢٢٦، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٩،
٣٠٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨،
٣٩٨، ٤٢٥، ٤٤٠.

خربق أسود ١: ٢٠٠، ٣٢٦، ٣٧٩. ٤٠٥، **٤٥٥**، ٤٥٧/
٢: ٢١، ٦٤، ١٥١، ١٥٢، ١٩١، ٢٥٢،
٣٩٨، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٢،
٥٧٦/ ٣: ٥٥، ١٤١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،
٢٣٢، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٥،
٢٨٦، ٢٩٠، ٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥،
٣٤٦، ٣٦٥، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٤٠.

الخربقان، خربقين[1] ٣: ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٤

خربق مطبوخ	١: ٤٥٧
خربق منقوع	١: ٤٥٧
أصل الخربق	١: ٤٥٥
إيارج الخربق	٣: ١٣٧
بزر الخربق الأسود	٢: ٦١٩
ترياق خناق الخربق	١: ٢٨٢
ثمر الخربق الأسود	١: ٤٥٥
حب الخربق	٣: ٢٥٠
رائحة الخربق الأسود	١: ٤٥٥
زهر الخربق الأسود	١: ٤٥٥
ساق الخربق الأبيض	١: ٤٥٦
ساق الخربق الأسود	١: ٤٥٥
سحيق الخربق	١: ٤٥٧
شراب الخربق الأسود	١: ٤٥٥
طبيخ الخربق	١: ٤٥٧
طبيخ الخربق الأبيض	٢: ١٦٠
طبيخ الخربق الأسود	٣: ٢٤٠
عروق الخربق الأبيض	١: ٤٥٦
عروق الخربق الأسود	١: ٤٥٥
عصارة الخربق الأبيض	٢: ١٦٠
أقراص الخربق	٢: **١٥٩**

(١) يريد نوعي الخربق الأبيض والأسود.

قشور الخربق الأبيض	٣: ٣٤٢
قشور الخربق الأسود	٣: ٣٤٢، ٤١٤
قشر الخربق الجريش	١: ٤٥٧
قشر الخربق السحيق	١: ٤٥٧
قشر الخربق المقطَّع	١: ٤٥٧
قشور عيدان الخربق الأسود مسحوقًا	١: ٤٥٥
لبن الخربق الأبيض	١: ٤٥٥
لبن الخربق الأسود	١: ٤٥٥
مرق الخربق الأسود بالدجاج	١: ٤٥٦
ورق الخربق الأبيض	١: ٤٥٦
ورق الخربق الأسود	١: ٤٥٥

يطلق اسم الخربق على عقارين نباتيين ذكرتهما المراجع العربية معًا أو متتاليين[1] لاشتراكهما في الاسم وفي بعض الاستعمالات الطبية، وأحدهما يدعى الخربق الأبيض، والاخر الخربق الأسود. وذكرهما ابن سينا في كتابه فتكلم أولاً على الخربق الأسود فنقل ماهيته عن ديسقوريدس إذ قال: «.. هو نبات له ورق أخضر شبيه بورق الدلب إلا أنه أصغر منه وأكبر تشريفًا مثل سفندوليون، وهو أشد منه سوادً، وفيه خشونة، وله ساق قصيرة، وزهر أبيض فيه لون فرفيري في هيئة العنقود[2]، وفي العنقود ثمر يشبه القرطم.. وله عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد كأنه رأس بصلة؛ وإنما يستعمل من الخربق

(١) أمّا ديسقوريدس فقد فصل كتابه بين الخربقين الأبيض والأسود بالكلام على سبعة عقاقير أخرى.

(٢) في القانون المطبوع «الورد» وهو تصحيف. وماأثبته من كتاب «ديسقوريدس ومن نقلوا عنه.

الأسود عروقه. وينبت في المواضع الخشنة [١] وأماكن صلبة يابسة. ومن الناس من يطرحه في الماء ويرشّ به البيوت، وذلك أنهم يظنون أنه طهور.. ينبغي لمن يحفر عنه أن يسرع الحفر، لأنه يعرض من رائحته ثقل في الرأس، وينبغي أن يحتاطوا قبل ذلك بأكل الثوم وشرب الشراب دفعًا لمضرة ذلك ويعملون به مثلما يُعمل بالخربق الأبيض ويسقونه كما يسقى..» ثم ذكر من فوائده أشياء كثيرة منها أنه يطلى على البهق والجرب وينفع من الفالج وأوجاع المفاصل، ويسكّن دويّ الأذن، ويقوي البصر... الخ»

وما قيل في الخربق الأسود في سائر المراجع العربية لايخرج عما جاء في كتاب القانون فقد نقل أكثرهم تحلية هذا النبات وفوائده عن ديسقوريدس، وربما أضاف بعضهم شيئًا أو أنقص شيئًا، وحرص ابن البيطار في كتابه الجامع على نقل ماقيل في هذا العقار ناسبًا كل كلام إلى قائله سواء كان من أطباء اليونان القدامى أو من الأطباء العرب، وصّرح ابن الحشّاء في مفيد العلوم بأن كل مايسمى خربقًا لم يعد موجودًا في عصره [٢] في المغرب إذ قال: «الأسود والأبيض منه غير معروف بالمغرب، وكل مااستعمل عنهما في المغرب من النباتات غير صحيح. وكانا يجلبان قديمًا من صقلية، ثم جُهل بها من وقت الفتنة»

والاسم العلمي للخربق الأسود هو Helleborus niger من الفصيلة الشقارية والقبيلة الخربقية.

والعقّار الآخر هو الخربق الأبيض الذي تكلم عليه ابن سينا بعد الخربق الأسود، فنقل ماهيته أيضًا من ديسقوريدس إذ قال: «هو نبات له ورق مثل لسان الحَمَل أو السلق البري، إلا أنه أقصر منه، وهو ثخين أسود، يضرب إلى الحمرة

(١) بعدها في القانون المطبوع «والكهوف» وحذفتها اعتمادًا على كتاب ديسقوريدس والكلام التالي.

(٢) هو من علماء القرن السابع الهجري ترجيحًا.

قليلاً، وله ساق طوله نحو من أربع أصابع مضمومة أجوف، وإذا ابتدأ جفافه يتقشر، وعروقه كثيرة دقاق مخرجها من رأس واحد مستطيل شبيه ببصلة، وينبت في أماكن جبلية، وينبغي أن يقلع في زمان حصاد الحنطة، وأجوده ماكان منبسط السطح انبساطًا معتدلاً، وكان أبيض هيّن التفتت كثير اللحم، ولا يكون حاد الأطراف شبيهًا بالإذخر، وإذا فتّت ظهر منه شيء شبيه بالغبار ونسج العنكبوت في الرقة، ولا يلذع اللسان لذعًا شديدًا على المكان ويجلب اللعاب فإن هذا الصنف منه رديء.. الخ» ثم ذكر من أفعاله وخواصه أن الأبيض أشد مرارة من الأسود، والأسود أشد حرارة، وإذا أكله الفأر مات.. وأكثر أفعاله تشبه أفعال الأسود.

والاسم العلمي للخربق الأبيض هو Veratrum album من الفصيلة السورنجانية.

معجمات اللغة الخربق في مادة مستقلة، فجاء في تاج العروس:

كجعفر، نبات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود كلاهما ينفع من والحبون والمفاصل.. ويسهل.. وإفراطه مهلك.. وهو سم للكلاب..

قال الليث: الخربق نبت كالسم يغشى على آكله، ولا يقتله» وكلمة خربق من أصل سرياني. قاله الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية.

خَرْدَل*

خَرْدَل ١: ٩٧، ١٥١، ١٨٥، ٢٣٣،

* كتاب ديسقوريدس ٤١ (صنعة سيانيينون وهو دهن الخردل)، ١٩٢ (لمبساني)، ٢١١ (سينيفي)، وكتاب النبات ١: ١٥٥، والحاوي ٢٠: ٣٨٣/ ٢٢: ٥٩، والملكي ٢: ١٠٩، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠١أ، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠٠)، والمختارات ٢: ١٩٦، ومفيد العلوم ٤١، وجامع مفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٢، والشامل ٢٢٢، ٢٤٩ (خردل بري)، والمعتمد ١٢، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٢ وحديقة الأزهار ٣١٣ (٣٤٦)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣١، ومعجم أسماء النبات ٣٢ (٩، ١٢) ١٦٩ (١٦، ١٧)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٣٧، ولسان العرب وتاج العروس وغيرهما من معجمات اللغة (خردل). (سفند اسفيد) التي ستلي في باب السين.

٢٣٤، ٢٦٠، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٤٣،
٣٥٤، ٣٨٨، ٤٢٤، **٤٥٣**، ٤٦٥/ ٢: ٢١،
٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٥١، ٨٣، ٨٥،
٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨،
١٣٢، ١٥١، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧،
١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤،
٢٠٧، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٥٣،
٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣٠٤،
٣١٨، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٠،
٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٤٢،
٤٦٦، ٤٨٢، ٥٢٠، ٥٤١، ٥٧١، ٥٨٤،
٥٩٨، ٦١٩، ٦٢٦/ ٣: ٢٩، ٤٩، ٥٣،
٥٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٢، ٢٠٥،
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٦٥،
٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٠،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٢٢، ٣٢٩،
٣٤٠، ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٣٤،
٤٣٥.

خردل أبيض ٢: ٤١٦، ٥٧٧/ ٣: ٢٨١، ٣٢٠، ٣٩٨

خردل بريّ ١: ٤٥٤

خردل طري ٢: ٤١٦

خردل مدقوق ٣: ٢٨٤

خردل مسحوق ٢: ١٨٨/ ٣: ٢٩٩

خردل مقلو ٢: ٢٢٦
أصول الخردل ١: ٤٥٤
بزر الخردل ٣: ٢٨٣، ٢٨٦
حب الخردل ٢: ١٨٩
دخان الخردل ١: ٤٥٤
دهن الخردل ١: ٤٥٤/ ٢: ١٩٣، ٤٦٦، ٦٢١/ ٣: ٢٧١، ٢٨٨، ٢٨٩
دواء الخردل ٢: ٧٠، ٦٢٦
رغوة الخردل ١: ٤٤٧/ ٢: ٤٧٠
ضماد الخردل ٢: ٣٣، ٤٤، ٧٠، ٩٠، ٩٤، ٢٥٤، ٤١٥
ضماد الخردل بالخل ١: ٢٣٣
أضمدة محمرّة خردلية ٢: ٤٦٠
لَطُوخ الخردل ٢: ٥١
لعاب الخردل ٣: ١٢٨، ٢٨٠
لعاب الخردل الأبيض ٢: ٢٢٣
ماء الخردل ١: ٤٥٤
ماء الخردل الرطب ٣: ٢٨٥
ورق الخردل ١: ٤٥٤
الخردليّ [أي الدواء الخردلي] ٣: ٥٥

الخردل من مفردات القانون ، واكتفى ابن سينا في تحديد ماهيته بالقول: «هو بقلة معروفة»ثم ذكر من خواصه أنه ينقي الوجه، ويحلل الأورام الحارة، وينفع من الجرب ووجع المفاصل، ويُستعمل في الأكحال، ويُذهب الخشونة المزمنة من قصبة الرئة، وينفع من الحميات.

وهو مما تكلم عليه ديسقوريدس في كتابه فذكر نوعين منه أولهما «لساني» الذي ذكره بعد أصناف من الحمّاض وقال فيه «هو بقلة برية معروفة أكثر غذاء وأحسن للمعدة من الحماض، وقد تطبخ وتؤكل». والآخر «سينيفي» الذي قال فيه «ينبغي أن يختار منه مالم يكن مفرط اليبس ولا كبير الحبة، وإذا دُقّ داخله فيه نداوة..» ثم تكلم على استعمالاته في الطب.

أما أبو حنيفة فقد أوضح في كتابه النبات أن اسم الخردل علم على حبّة النبات بالذات إذ قال: «الخردل هذه الحبة المعروفة، ويقال لشجرتها البرية الخرشاء..».

وفي القانون وغيره تحديد لبعض أنواع الخردل كالخردل الأبيض الذي يدعى أيضًا سفيد ستفد وهو معنى اسمه بالفارسية، واسمه العلمي Bras-sica أو Sinapis alba، وهو أكثر الأنواع استعمالاً في الطب ومنه يصنع الدهن المعروف بدهن الخردل. والخردل البري الذي يدعى أيضًا اللَّبْسان وتسمى شجرته الخرشاء، واسمه العلمي Sinapis arvensis ، وكلها نباتات عشبية من الفصيلة الصليبية، تنبت بين الزروع فتضرُّ بها.

يظهر مما في كتب الطب ومعجمات اللغة أن اسم الخردل يطلق على النبات، وعلى بزره بوجهٍ خاص، وإذا أطلق في كتب الطب فالمراد به البزر. وضبطت اللفظة في المعجمات بالفتح خَرْدل، قالوا: والواحدة خردلة.

خركوش *

الحشيشة المسماة خركوش ٣: ٢٦٦

* الحاوي ٢٢: ٣٤٩، ٣٥٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٧، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣ (خربوس)، ومعجم أسماء النبات ١٤٢ (٢٣)، وبرهان قاطع ٢: ٧٣٧. وانظر (لسان الحمل).

عصير الخركوش ٣: ٣٨٦

عرض ذكر هذا الاسم في الكلام على منبتات الشَّعر، حيث بيَّن ابن سينا نسخة دواء مركب ينفع في إنبات الشعر فكان من أخلاطه «الحشيشة المسماة خركوش»، وعرض مرة أخرى في تركيب أقراص نافعة من قروح المعى حيث قال: إن مفرداته تعجن بعصير الخركوش وتتخذ أقراصًا، ولم يرد هذا الاسم في مفردات القانون، ولم تبين ماهيته.

وفي كتاب الحاوي، في بيان الأسماء المجهولة قال الرازي إن الخركوش هو لسان الحمل، وجاء في موضع آخر من الكتاب نفسه أنه البسباسة، وفي الموضعين الحرف (ف) الذي يعني أن الاسم فارسي. والذي في سائر المراجع، وفي المعجم الفارسي برهان قاطع ـ ومنه نقلت الضبط ـ أن خركوش هو الاسم الفارسي لنبات لسان الحمل الذي يستعمل علاجًا للتخمة، وانظر نعت لسان الحمل واسمه العلمي في باب اللام من هذا المعجم.

خركوك

خركوك ٣: ٢٥٦

في الكتاب الرابع من كتب القانون تكلم ابن سينا في المقالة الخامسة من الفن السادس في لسوع الحشرات والرتيلاوات وعضوضها، فكان مما جاء في علاجها قوله: «والجرادة التي لاجناح لها العظيمة البدن التي تسمى خركوك[1] إذا جففت وشربت بشراب نفع..».

فهذا الاسم هو علم على صنف من الجراد لا أجنحة له، ولم أعثر عليه بهذا

(١) كذا في المطبوع بيولاق والمصورة، وهو بالحاء المهملة في المطبوع برومة.

اللغط في المخصص لابن سيده عند كلامه على الجراد وأصنافه وأسمائه، ولافي المعجم الفارسي وأرجح مع ذلك أنه اسم فارسي لذاك الصنف من الجراد

خُرْنُوب*

خرنوب ١: ١٥٥، ١٦٨، ٣٣٤، ٤٥٩/ ٢: ٤٣٢، ٤٣٩، ٥٣٨/ ٣: ٢٩٤، ٤٣٥

خرنوب شامي ١: ١٦٧، ٣٣٢، ٤٥٩/ ٢: ٢٣٥

خرنوب شامي رطب ١: ٤٥٩

خرنوب شامي يابس ١: ٤٥٩

خرنوب الشوك ٢: ٤٢١، ٤٣٨، ٥٣١

خرنوب نبطي ١: ٣٣٤، ٤٥٩، ٥٨٨/ ٢: ١٩٥، ٥٣١/ ٣: ٢٣٢، ٢٦٩

خرنوب نبطي رطب ١: ٤٥٩/ ٢: ١٧٣

خرنوب نبطي فج ١: ٤٥٩

ثمرة الخرنوب الشامي ١: ٤٥٩

جوارشن الخرنوب ٢: ٣٣٦، ٤٣٥

* كتاب ديسقوريدس ١١١ (قارطيا)، وكتاب النبات ١: ١٦٥ (خَرّوب وخُرْنُوب)، والحاوي ٢٠: ٣٧٨، والملكي ١: ١٩٠/ ٢: ١٢٠ (خرنوب شامي، نبطي)، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠٠ب، ٧٧ب (جوارشن الخرنوب)، وشرح أسماء العقار ٤١ (٣٩٢)، والمختارات ٢: ١٩٩، ومفيد العلوم ٤١، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥١ (خرنوب)، ٥٢ (خرنوب نبطي)، والشامل ٢٢٠ (خرنوب)، ٢٤٩ (خرنوب نبطي)، والمعتمد ١١٩، وملايسع ٢٠١، وحديقة الأزهار ٣١٠ (٣٤١)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣١، ومعجم أسماء النبات ٤٥ (٢٣)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢٥، والمعجم الموحد ١٢٩، واللسان والتاج وغيرهما (خرنب).

سويق الخرنوب	٢: ٤٣٥
شراب الخرنوب	٣: ٣٧٦
طبيخ الخرنوب	١: ٤٥٩/ ٣: ٢٣٩
عصير الخرنوب	٣: ٢٣٧
ماء الخرنوب الرطب	٢: ٣٣٦، ٤٨٢
ماء الخرنوب النبطي	٢: ١٢٤

ذكر ابن سينا الخرنوبَ في مفردات القانون، ولم يبّن ماهيتَه، لشهرته، بل بدأ بالكلام على أصنافه فقال إن أصلحه الشامي المجفف، والنبطي أشد يبساً وبرودة، وبين فوائده الطبية، ومنها أن المضمضة بطبيخه تنفع من وجع الأسنان، والنبطي ينفع دَلوكًا من الثآليل...الخ.

ووصفه أبو حنيفة في كتاب النبات فقال: «الخرنوب.. ضربان أحدهما الينبوته، وهي هذا الشوك الذي يُستوقد به، ترتفع نحو الذراع، ذو أفنان وحمل أحمّ خفيف كأنه نُفَّاخ بشع لايؤكل إلا في المجهدة، وفيه حب صلب زلآل. والآخر الذي يقال له الخروب الشامي، وهو حلو يؤكل، وله حب كحب الينبوت إلا أنه أكبر، وثمره طوال كالقثاء الصغار إلا أنه عريض، ويتخذ منه سويق ورُبّ.. الخ»

فالنوع الأول الذي وصفه أبو حنيفة هو المذكور في القانون باسم الخرنوب النبطي ويسمّى أيضًا خرنوب الشوك وخرنوب المعزى. والنوع الآخر الشامي أكثر استعمالاً في الطب، واسمه العلمي Ceratonia siliqua وهو الذي يصنع منه الهاضوم الذي سماه ابن سينا جوارشن الخرنوب.

جاء في كتاب النبات، يقال: خَرّوب وخُرْنُوب واحدته خَرُّوبة وخُرْنوبة، وضبط الاسمان ضبط ألفاظ في القاموس والتاج، وفيه «الخروب كتنور نبت معروف، والخرنوب بالضم على الأفصح، وقد تفتح هذه الأخيرة، وهي لغيّة،

واحدته خروبة [1] وخرنوبة، أبدلوا النون من إحدى الراءين كراهية التضعيف..» واقتصر ابن سينا في القانون على لغة واحدة. ولاسم الخروب أشباه في الآرامية والعبرية، ومن العربية انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية Caroubier.

خِرْوَع •

خِرْوَع	١: ٢٩٤، **٤٦٤**/ ٢: ٨٥، ٤٦١ ٥١٦/ ٣: ١٣٥
خروع أحمر	١: ٢٩٤
خروع مقشر	٣: ٣٠٢٢٠٣
بزر الخروع	٣: ٣٢٨
ثمر الخروع	١: ٤٦٤
جمر الخروع	١: ١٦٨
حب الخروع	١: /٤٦٤ ٢: ٤٦١/ ٣: ٣٣٤، ٣٩٨، ٣٩٩
حب الخروع المرضوض	٢: ٤٦١، ٤٦٢

(١) في التاج المطبوع «خرنوبة».

• كتاب ديسقوريدس ٣٥٩ (قيقى)، وكتاب النبات ١: ١٤٥، والحاوي ٢٠: ٣٨٠، ٤٨٤ (دهن الخروع)، والملكي ٢: ١٤٦، ١٢٢ (دهن الخروع)، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠٢أ، ١١٩، (دهن الخروع)، وشرح أسماء العقار ١٤ (٣٩٦)، ومفيد العلوم ١٤، والجامع ٢: ٥٣، والمعتمد ١٢١، والشامل ٢٤٩، ومالايسع ٢٠٣، وحديقة الأزهار ٣١٤ (٣٤٧)، وتذكرة أولي الزلباب ١: ١٣٢، ومعجم أسماء النبات ١٥٦ (١٧)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٦٤، والمعجم الموحد ١٤٧، ١٧٠. ولسان العرب وتاج العروس ومحيط المحيط (خرع).

حب الخروع مسحوقًا ١: ٤٦٥
حب الخروع المنقّى ٢: ٦٢٠
دقيق الخروع ٣: ٢٩٦
دهن حب الخروع ٢: ٤٦٣
دهن الخروع ١: ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣١٠، ٣٥٧، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٦٤ / ٢: ٢٢، ٣٥، ٤٢، ٨٨، ٩٤، ١٠٠، ١٤٠، ١٥٣، ١٦١، ٢٥٥، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٩٠، ٥١٦، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠١، ٦١٣، ٦١٩ / ٣: ١٢٦، ١٦٠، ١٧١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤١٤، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤٤٠
دهن الخروع الساذج **٣: ٣٩٩**
دهن الخروع الكبير **٣: ٣٩٩**
الدواء الخروعي ٣: ١٧٨
ساق الخروع ١: ٤٦٤
طحين حب الخروع ٣: ٢٠٥
عصارة ورق الخروع ٣: ١٧٥
أغصان الخروع ١: ٤٦٤

كسب الخروع [أي دهنه] ٣: ٢٢٦، ٢٩٦

ورق الخروع ٢: ١١٩، ١٣٦

ورق شجرة الخروع ١: ٤٦٤

الخروع من مفردات ابن سينا في كتاب القانون، وقد نقل ماهيته عن ديسقوريدس فقال: «خروع. الماهية: قال ديسقوريدس: من الناس من يسميه قراوطيا وهو القراد، وإنما سموه بهذا لأن حبه شبيه بالقراد،وهو شجرة صغيرة في مقدار شجرة صغيرة من التين ولها ورق شبيه بورق الدلب إلا أنه أكبر وأملس [١]وأشد سواداً، وساقها وأغصانها مجوفة مثل القصب، ولها ثمرة في عناقيد خشنة. وإذا قشر الثمر بدا الحب في شكل القراد ومنه يعصر الدهن المسمى اقنقس وهو دهن الخروع، وهذا لايصلح للطعام وإنما يصلح للسراج وأخلاط بعض المراهم وبعض الأدوية...» ثم ذكر من خواصه أنه محلل ملين وأن دهنه ملطف يصلح للجرب وحبه المسحوق يسهل.. وبيّن في موضع آخر من الكتاب أن دهنه يجب أن يسقى بالتدريج[٢]

وفي سائر المراجع نقول عن ديسقوريدس وغيره كالذي في القانون، وبيّن أبو حنيفة في كتاب النبات بعض خصائصه المعروفة عند العرب فقال: «لايرعاه شيء، وله ورقة عريضة متفرقة الأطراف.. يتخذ من حبه دهن يتداوى به الناس، وربم ضخمت الخروعة حتى تكون مثل التينة الضخمة، وليس شيء من الشجر أقصف عوداً ولا أضعف من الخروعة».

والاسم العلمي لنبات الخروع Ricinus communus من الفصيلة الغربيونية.

---

(١) كذا في القانون وكتاب ديسقوريدس، وأصلح ابن البيطار الخطأ فقال: «أشد ملاسة».

(٢) القانون ٢: ٤٦٤ .

أما الاسم العربي فمشتق من الخَرَع، وهو الرخاوة في الشيء. جاء في اللسان: «... ومنه قيل لهذه الشجرة الخروع لرخاوته..» وفي النبات: «خروع الأصل فيه شجرة الخروع المعروفة، ثم قيل لكل نبات قصيف ريّان من عشب أو شجر خروع..» وضُبط الخروع في القاموس كدرهم، وهو بهذا الضبط نفسه في سائر المراجع.

خَزّ *

كُبَّةٌ من خز وحرير ١: ٢١٠

في الكلام على الفَصْد وقواعده بيَّن ابن سينا الأدوات والأدوية التي يجب أن يتزود بها الفصّاد لأنه قد يحتاجها في عمله، فذكر من ذلك أن تكون معه كبة من خز وحرير ومِقيأ من خشب..الخ» وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه اسم الخز في كل القانون.

وذكر بعض الأطباء الخزَّ في مفرداتهم كابن الكتبي الذي قال في كتابه مالايسع الطبيب جهله إن الخز «اسم للإبريسم، وقيل إذا قرضه الدود سُمّي خزًا، وقيل كل مُحْتَرّ من الإبريسم خز، وقيل بل ماعمل من الإبريسم والصوف يسمّى خزًا» لكن الأنطاكي خطأه إذ قال في تذكرته: «خز: ليس هو الحرير كما ذكره مالايسع، بل هو دابة بحرية ذات قوائم أربعة في حجم السنانير، لونه لونها إلى الخضرة، يُعمل من جلدها ملابس نفيسة تتداولها ملوك الصين» ويؤيده ماجاء في كتب الحيوان بين أن الخز جنس من الحيوانات اللاحمة من فصيلة السمّوريّات له فراء دون فراء السمّور، واسمه العلمي Mustela martes

* الحيوان ٥: ٤٨٣ (الحاشية)، ومنهاج البيان ١٠٢ب، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٧، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤١٥، ومعجم الحيوان ١٦٦، ومعجمات اللغة (خزز). وانظر مادتي (إبريسم) و (حرير) السابقتين. والألفاظ الفارسية المعربة ٥٤

، وقال الدكتور معلوف في معجمه إنه «أكبر من ابن عرس، يقرب من السنور الأهلي في الحجم، وهو قريب جدًا من السمور لكن السمور أشد كمتة منه».

وفي معجمات اللغة أن الخز نوع من الثياب قال بعضهم تصنع من صوف وإبريسم وقال آخرون منها إبريسم خالص، وهكذا اختلف العلماء واللغويون في حقيقة مايراد باسم الخز، والذي أرجحه أنه ثياب مصنوعة من فراء ذلك الحيوان المسمى خزًا فأطلق اسم الخز عليها وهو قول صاحب المصباح. ولو كان المراد بها الإبريسم وهو الحرير لما قال ابن سينا « من خز وحرير».

خَزَف •

خزف	١: ٢٦٧، ٣٢٩، ٣٣٦، ٣/٤٥٩: ١٦٢
خزف أبيض	٣: ٢٧٨
خزف التنور	١: ٤٥٩، ٤٦٠ ٢: ٥٨٨ /٣: ٢٨٨
خزف جديد	٢: /٥٨٨ ٣: ٧٢، ٢٧٩
خزف رشّاح	١: ١٨٦
خزف السرطان البحري	١: ٤٥٩، ٤٦٠
خزف الغضائر الصيني	٢: ١٢٧
خزف الغضائر الصيني المدقوق	١: ٤٦٠
خزف مدقوق	٣: ١٥٩

• كتاب ديسقوريدس ٤٤٠ (خزف التنور)، والحاوي ٢٠: ٤٣٦، والملكي ٢: ١٣٢، ومنهاج البيان ١٠٢ب، والمختارات ٢: ٢٠٠، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٧، والمعتمد ١٢٥، وتذكرة أولي الألباب ١: ٣٣١، والكليات للكفوي ٢: ٢٧٧، والمعجم الموحد، كيميا ٣: ٣٨، ٩٢، ومعجمات اللغة (خزف). وانظر (آجر) و (صدف) و (قرميد) في معجمنا هذا.

خزف مسحوق ١: ٢١٤

إناء خزف ١: ٣٣٣، ٤١٨

حُكالة الخزف ٣: ٢٧٩

مرهم الخزف ١: ٤٥٩

ذكر ابن سينا الخزفَ في كتاب الأدوية المفردة فلم يحدد ماهيته لأنه معروف بل تكلم مباشرة على خواصه وفوائده الطبية فكان مما قاله إنه «مجفِّف جلاّء وخاصة خزف التنور.. خزف السرطان البحري مجفف يجلو النمش والكَلف.. خزف الغضائر الصيني المدقوق ينفع الظفرة.. خزف التنور يطلى به على النقرس، ويصنع منه مرهم مدمل للقروح».

ويطلق اسم الخزف على « كلّ ماعُمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخّارًا» كما قال مؤلف الكليات، ويؤيده ماجاء في كتب المفردات ومعجمات اللغة، وفصّل بعضهم في أنواع الخزف كالأنطاكي الذي قال تذكرته: «خزف: هو الفخار إذا شوي بحيث يبلغ الحرق، وهو قسمان مدهون بالمرداسنج وغيره كالزبادي المشهورة، وغير مدهون كالقدر والشقف، ومنه الآجر..» ولكن الملاحَظ أن ابن سينا وسع دلالة هذا الاسم حتى جعله يشمل الصدف إذ قال: خزف السرطان البَحري.. فهذا خزف حيواني يخالف الخزف الترابي المصنوع.. ولم أجد هذا عند غيره. وفي المعجمات الحديثة جُعل اسم الخزف ترجمة لنوعين من المصنوعات الفخارية الحديثة هما البورسلان Porcelaine والسيراميك Ceramique

ضبط اسم الخزف بالتحريك فجاء في لسان العرب «الخزف ماعمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارًا، واحدته خزفة. الجوهري: الخزف بالتحريك الجرّ ومايبيعه الخزّاف».

خَسّ*

خس ١: ٩٧، ١٥١، ١٧١، ١٨٦، ١٩٠، ٢١٣، ٢٦٨، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٤٥، ٣٨٩، ٤٣٠، ٤٣٥، **٤٥٨**، ٤٦٠/ ٢: ٢٣، ٣٩، 48، ٨٣، ١١٧، ١٩٩، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٥٧، ٣٧٥، ٤٣٩، ٥٢٧، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٤٨، ٦٢١/ ٣: ٣٣، ٣٦، ٥٣، ٧٣، ١١٧، ٢٤٦، ٢٩١، ٣٠٣

خس بري ١: ٢٥٧، ٤٥٨

خس بستاني ١: ٤٥٨

خس غير مغسول ١: ٤٥٨

الخس المر ٢: ٤٧٧

خس مسلوق ١: ٤٥٨

خس مطبوخ ١: ٤٥٨

* كتاب ديسقوريدس ٢٠٣ (ثريداقس ايمارس)، وكتاب النبات ١: ١٥٥ (خس)، ١٠٩ (حُوّاء) والحاوي ٢٠: ٤٣٠، والملكي ١: ١٨٣/ ٢: ١٠٦، والصيدنة ١٧٩ (خس)، ١٨٠ (خس البر)، ومنهاج البيان ١٠٣أ، والمختارات ١: ٢٥٦ (في البقول)/ ٢: ١٩٦، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٨، والمعتمد ١٢٦، والشامل ٢٢٣، ومالايسع ٢٠٧، وحديقة الأزهار ٣٠٦ (٣٣٧) خس، ٣١١ (٣٤٣) خس بري، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٣٣، وقاموس الأطباء ١: ٢١٢، ومعجم أسماء النبات ١٠٣ (٢٦)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٧٨، ٣٨٠، والمعجم الموحد ١٢٥، ومعجمات اللغة (خسس).

خس مطيَّب ١: ١٧١

خس نيء ١: ٤٥٨

أصل الخس ٢: ٥٦٤

بزر الخس ١: ١٥٦، ٢٢٠، ٤٤٥، ٤٥٨/ ٢: ٣٩، ١٦٤، ٢٧١، ٢٨١، ٣٤٣، ٤٠٥، ٤٩٨، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٤٥، ٥٤٦/ ٣: ٧٠، ٢٤٦، ٣٣٩، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٢٨.

بقل الخس ١: ٤٥٨

دهن بزر الخس ٢: ٢٣، ٥٠٨/ ٣: ٢١

دهن الخس ١: ١٥٦/ ٢: ٣٦، ٤٩، ٥٩، ٦٥، ٥٣٨

عصارة الخس ١: ١٥٥/ ٢: ١٦٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٣٢/ ٣: ٣٧، ٧٠، ٧٣، ١٣٧، ٢٦١، ٣٧٣، ٣٨٦

عصارة الخس المر ٢: ١٦٠

عصارة ورق الخس البري ١: ٤٥٢

لبن الخس ١: ٤٥٨

لبن الخس البري ١: ٢٥٧، ٤٥٨/ ٣: ٢٦٠

لبن الخس البستاني ١: ٤٥٨

ماء الخس ٢: ٥٩، ١١١، ١٥١/ ٣: ٢٨، ٣٧، ٤١، ٢٦١

ماء لخس المر ٣: ٢٥٧

مرق الخس ١: ٣٨٩

ورق الخس ١: ٣٣٣، ٤٣٥، ٤٥٩/ ٢: ٦٢١/ ٣: ١٥٣

خسيَّة ١: ١٧٧

الخس بقلة معروفة ذكرها ابن سينا في مفردات القانون فلم يصفها لكن تكلم على خواصها وفوائدها واستعمالاتها الطبية فقال: «خس:
منه في قوة الخشخاش الأسود.. الخواص: لاجلاء فيه ولا قبض... ينفع من الأورام الحارة والحمرة.. ينوّم، لبن البري منه يجلو قروح القرنية.. يسقى للسعة الرتيلاء..» ويتخذ منه دهن ومرق، ويصنع منه طبيخ يسمى الخسيّة ونصح ابن سينا بإطعامها لمن يعاني من الإعياء.

وهكذا اكتفت معظم المراجع ببيان أصناف الخس وفوائده، فهي كتاب النبات قال أبو حنيفة «الخس هذه البقلة المعروفة، وزعم بعض الرواة أنها من الأحرار» وفي كلامه على الحوّاء قال: «له زهرة بيضاء كأنه ورق الهندب، يتسطح على الأرض، يأكله الناس والدواب طيبٌ.. وأخبرني أبو نصر أن الحواءة خسة البر».

لنبات الخس هو Lactuca من الفصيلة المركبة، وهو أنواع منها مايزرع ومنها بري، ويستعمل بعضها في الطب. وقد بين الشهابي هذه الأنواع بالتفصيل في معجمه للألفاظ الزراعية.

معجمات اللغة عن الخس أنه نبات من أحرار البقول عريض الورق رخص لاطعم له؛ فإذا عسا صار مُرًّا.. الواحدة خسة.

خس الحمار *

خس الحمار ١: ٢٦٠، ٢٩٩، ٤٣٥، ٤٥٩
خس الحمار أبيض ١: ٤٥٩
خس الحمار أصفر ١: ٤٥٩
خس الحمار مكبوس بالخل ١: ٤٥٩

* منهاج البيان ١٠٣أ، والمختارات ٢: ١٩٦، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥٩، والشامل ٢٥١، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٩، والتذكرة ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ٩ (٢)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٨، وتاج العروس (خسس)، ومحيط المحيط ٢٣١ (خسس). وانظر (أبو حلسا) و (انخوسا) و (شنجار).

خس الحمار يابس ١: ٤٥٩

أصل خس الحمار ١: ٢٦٠، ٤٥٩، ٢: ٤٠٦

بزر خس الحمار ١: ٤٥٩

زهر خس الحمار ١: ٤٥٩

عروق خس الحمار ١: ٤٥٩

عصارة خس الحمار ١: ٤٥٩

ماء خس الحمار ١: ٤٥٩

ورق خس الحمار ١: ٢٦٠، ٤٥٩

هو من أدوية القانون المفردة جاء فيه قول ابن سينا: «خس الحمار. الماهية.: هو كورق الخس الدقيق كثير العدد إلى السواد أزغب أوراقه لاصقة بالأصل ثابتة تحبسه، ولون أصله إلى الحمرة، ويصبغ اليد والأرض أحمر، وينبت في أرض طيبة، وهو من جوهر مائي وأرضي، وهو الشنجار وقد قيل فيه .. الأصفر أقوى، والأبيض مائي ضعيف.. ينفع الأورام الصلبة.. يابسه ينقي الأثر الباقي في العين.. منق للكبد.. يدر الطمث بقوة..».

وفي فصل الشين ذكره باسمه الآخر شنجار وتكلم عليه بالتفصيل مبينًا أنواعه وفوائده وقال هو نفسه خس الحمار.

وجاء في معظم المراجع أن خس الحمار هو اسم مرادف للشنجار، وفي بعضها أنه يطلق على أحد أصناف الشنجار، وهو الصنف الكبير منه، نقله ابن البيطار وابن الكتبي وغيرهما، ولهذا النبات أسماء أخرى كثيرة ورد بعضها في القانون مثل شنجار وخس الحمار والكحلاء والحميراء وشجرة الدم ورجل الحمام وانخوسا وفيليوس وغيرها كثير، واسمه العلمي Alkanna tinctoria أو tinctoria، Anch ويتخذ من بعض أصنافه صباغ أحمر جميل.

خُزسرودارو *

خسرودارو ١: ٤٥٦، ٤٥٩

هو من العقاقير النباتية التي ذكرها ابن سينا في مفردات القانون وقال فيه «الماهية: قال ماسرجويه هو خولنجان، وقال غيره بخلاف ذلك.. حار يابس.. محلّل مُذيب.. ينفع من القولنج ووجع الكلى ويزيد في الباه..».

وأكثر المراجع على أن هذا الاسم يطلق على الخولنجان، وهو جذور نباتية عطرة تجلب من الهند وتشبه في فعلها القرفة. والاسم العلمي للنبات هو Alpinia galanga وقال الدكتور أحمد عيسى في معجمه إن الكشدي هو الذي أدخله في الاستعمال الطبي في القرن التاسع الميلادي

اسم خسرودارو معرب من الفارسية على الأرجح إذ جاء في برهان قاطع أنه اسم للخولنجان وهو منسوب - على قول بعضهم - إلى كسرى أنوشروان، وكلمة خسرو بالفارسية تعني الملك، وهي التي عربت إلى كسرى، وضبطت في برهان قاطع لفظًا بضم أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها وسكون الواو.

خَشَب

خشب ٢: ٥٣٩

خشب أعرابي ١: ٢٥٤

خشب هندي ١: ٢٥٤، ٢٦٠

خشب الأرزة انظر (أرز)

خشب الازاذدرخت انظر (ازاذدرخت)

خشب التنوب انظر (تنوب)

خشب حبّ الصنوبر انظر (صنوبر)

خشب الحماما انظر (حماما)

* الحاوي ٢٢: ٣٥٨ (خسره دارف)، والصيدنة ١٧٩، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ (جسرة دار)، ١٩٦ (خسرو دارد)، ومالايسع ٢٠٩، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ١٠ (١٣)، وبرهان قاطع ٢: ٧٤٩ (خسرودارو). وانظر مادة (خولنجان).

خشب الدفلى	انظر (دفلى)
خشب الرمان	(انظر رمّان)
خشب الزيتون	انظر (زيتون
خشب السرو	انظر (سرو)
خشب الشونيز	انظر (شونيز)
خشب الصنوبر	انظر (صنوبر)
خشب الطرفاء	انظر (طرفاء)
خشب الكافور	انظر (كافور)
رماد الخشب القابض	١: ٤٣٠

الخشب معروف، وهو ما غلظ من عيدان النبات، الواحدة منه خشبة، ويجمع على خُشبان. وفي عقاقير القانون أصناف كثيرة من الخشب يُتداوى بها، وقد ألحقت كلاً منها باسم شجرته.

خشخاش *

خشخاش، خشخاشة	١: ١٩٠، ٢٢٠، ٢٤٣، ٣٤٤، ٤٣٣،

* كتاب ديسقوريدس ٣٣١ (ميغن)، وكتاب النبات ١: ١٦٦، والحاوي ٢٠: ٤٠١، والملكي ١: ١٨٣، ٢٠٧ (شراب الخشخاش)٢: ٥٧٠ (أقراص الخشخاش)، ٥٩٢، ٥٩٣ (رب الخشخاش)، ٥٦٧ (لعوق الخشخاش)، والصيدنة ١٨٠، ومنهاج البيان ١٠٣ب، ١٣٢ (رب الخشاش)، ١٦٤ (شراب الخشخاش) ٢٣٣ب (لعوق الخشخاش)، ١٨٨ب (عصارة الخشخاش)، ٢٠٨أ (قرص الخشخاش)، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠١)، والمختارات ١: ٢٣٣، والجامع ٢: ٥٩ والشامل ٢٢٦، ٢٥١، والمعتمد ١٢٧، ومالايسع ٢٠٩، وتركيب مالايسع ٥٩أ (شراب الخشخاش)، ٧٥ب (قرص الخشخاش)، ٨٠ب، ٨١أ (لعوق الخشخاش)، والتذكرة ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ٨٧ (١٥)، ١٣٤ (٦، ٧، ٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٥٩، ٤٨٩، والمعجم الموحد ١٤٧، واللسان والقاموس والتاج (خشش) والمعجم الوسيط ١: ٢٣٥ (خشخش)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٥. وانظر مدة (أفيون) التي سبقت.

٤٤٥، **٤٥١**، ٤٥٢، ٤٥٣/ ٢: ٢٢،
٣٩، ٤٨، ٥٩، ٦١، ٦٨، ١١٢، ١١٧،
١٣٠، ١٦٨، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦،
٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٤٣١، ٤٣٢،
٤٣٣، ٤٩٠، ٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٨،
٥١٣، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٧، ٥٩٧/ ٣:
٣١، ٣٢، ٦١، ٣٠٢، ٣٣٠، ٣٣٩
٣٧٠، ٤٣٤.

خشخاش أبيض ١: ١٥٦، ٤٥٢، ٤٥٣/ ٢: ٥١٢/ ٣:
٣٠٣، ٣٨٢، ٣٨٨، ٤٣١

خشخاش أسود ١: ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٨/ ٢: ٥٣١/ ٣:
٣١، ٣٨٨، ٤٣١

خشخاش أصفر ١: ١٥٦

خشخاش بارد ١: ٤٥٣

خشخاش بحري مقرن ١: ٤٥٢

خشخاش بري ١: ٤٥١، ٤٥٢

خشخاش بستاني ١: ٤٥١، ٤٥٢

خشخاش بقشره ٣: ٤٢٩

خشخاش زبدي ١: ٢٧٩، ٤٥٢، ٤٥٣

خشخاش سواحلي ١: ٤٥٢

خشخاش طري بقشوره ٢: ٢٣٠

خشخاش مسحوق ٣: ٢٩٣

خشخاش مصري ١: ٣٧٣

خشخاش وبري ١: ٢٧٩
أصل الخشخاش البحري المقرن ١: ٤٥٣
أصل الخشخاش البري ١: ٤٥٢
أصل الخشخاش الزبدي ١: ٤٥٢
بخار الخشخاش ٣: ٣١
بزر الخشخاش ١: ١٥٦، ٣٩٢، ٤١٣، ٤٥٣/ ٢: ٤٨، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٤٣٣، ٤٩٠، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٣٨/ ٣: ٧١، ٢٤٢، ٣٠٢، ٣١٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٦٣، ٣٨٧، ٤٣٨
بزر الخشخاش الأبيض ٢: ٥٩، ٥٠٥/ ٣: ٣٠٣، ٤٣٧
بزر الخشخاش الأسود ١: ٤٥٢، ٤٥٣
بزر الخشخاش البري ١: ٤٥١، ٤٥٣
بزر الخشخاش البستاني ١: ٤٥١، ٤٥٣
بزر الخشخاش الزبدي ١: ٤٥٣
بزر الخشخاش المدقوق ٣: ٣٠٢
بزر الخشخاش المقلو ٢: ٢٨٠، ٢٩٨
بزر الخشخاش المصري ١: ٤٥٣
بزر الخشخاش اليابس ٢: ٢٣١
ثمر الخشخاش الزبدي ١: ٥٤٢
حب الخشخاش ٢: ٢٣٢/ ٣: ٣٦٢
حب الخشخاش الأبيض ٣: ٣١٦، ٣٦٢
دهن بزر الخشخاش ٢: ٢٣

دهن الخشخاش ١: ١٥٦، ٤٥٣/ ٢: ٥٩، ٥٠٨، ٥٤٢/ ٣: ٣١
دهن الخشخاش الأسود ٣: ١١٩
رب الخشخاش ٢: ٢٠٣، ٢٢٧، ٣٠٠
رمان الخشخاش ٣: ٤٢٩
رؤوس الخشخاش، رأس الخشخاش ١: ٤٥١
رؤوس الخشخاش الأسود ١: ٤٥١
رؤوس الخشخاش البري ١: ٤٥١
زهرة الخشخاش البري ١: ٤٥٢
زهر الخشخاش المقرن السواحلي ١: ٤٥٢
ساق الخشخاش البري ١: ٤٥٢
ساق الخشخاش الزبدي ١: ٤٥٢
شراب الخشخاش، أشربته ١: ٣٧٣، ٣٧٥/ ٢: ٣٩، ٤٨، ٥٤، ١٦٨، ١٦٩، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٤٢، ٥١٧/ ٣: ٢٩، ٣١، ٣٩، **٣٧٠**
شراب الخشخاش الأسود ٣: ٣٩
شراب الخشخاش البزري ٢: ٢٥٢
شراب الخشخاش الساذج ٢: ١٦٧، ١٦٨
شراب الخشخاش القشري ٢: ٢٥٢
صمغ الخشخاش ١: ٤٥١، ٤٥٢
طبيخ الخشخاش ١: ٤٥٣
طبيخ قشر الخشخاش، طبيخ قشوره ٢: ٤٣٢، ٤٤٦

أطلية خشخاشية ٢: ٥٩٩
طلاء متخذ من قشور الخشخاش ٢: ٥٩
عصارة الخشخاش ٢: ٥٩/ ٣: ٢٤٥، ٢٥٩، ٤٢٤، ٤٢٥
عصارة الخشخاش الأسود والمصري ١: ٢٥٦

عصارة قشر الخشخاش ٢: ٤٣٢
عصارة ورق الخشخاش الرطب ٣: ٧٠، ٣٧٣
عصارة ورق الخشخاش ورؤوسه ١: ٤٥١
أقراص الخشخاش ١: ٤٥١، ٤٥٢/ ٢: ٥١٤/ ٣: **٣٨٨**، ٤٠٩
أقراص الخشخاش الممسَّك ٢: ٤٣١
قشر الخشخاش، قشور الخشخاش ١: ١٥٦، ١٩٩، ٤٤٠، ٤٥٣/ ٢: ٥٩، ١٥٩، ١٦٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٤، ٣٤٣، ٤٣٣، ٥١٧
قشر الخشخاش الأسود ٢: ٢٣١، ٣٤٤
لبن الخشخاش ١: ٤٥٢/ ٣: ٤١٣، ٤٢٣
لعوق الخشخاش، اللعوقات الخشخاشية ١: ٤٥٣/ ٢: **٢٣٠**، ٢٣١/ ٣: ٣١، ٣٢، **٣٦٢**، ٤٠٩
ماء الخشخاش ٢: ٦٨
ماء طُبخ فيه الخشخاش ٢: ٦٥، ١١٧
ورق الخشخاش ١: ٤٤٧
ورق الخشخاش الأسود ١: ٤٥١
ورق الخشخاش البري ١: ٤٥٢
ورق الخشخاش الزبدي ١: ٤٥٢
ورق الخشخاش المقرن الساحلي ١: ٤٥٢

تكلم ابن سينا في مفردات القانون على الخشخاش فكان كلامه مفصلاً استغرق أكثر من صفحتين بينَّ فيهما ماهيَّة الخشخاش بأصنافه الكثيرة نقلاً عن ديسقوريدس الذي قال إن الخشخاش أصناف كثيرة، منها البستاني ويتخذ من بزره خبز يؤكل في الصحة.. ورؤوس هذا الصنف مستطيلة وبزره أبيض، ومنها البري، له رؤوس إلى العرض وبزره أسود، وآخر بري أصغر من الصنفين له رؤوس مستطيلة.. ومنها صنف يسمى السواحلي له ورق أبيض عليه زغب مشرف الطرف كتشريف المنشار، وزهره أصفر، وثمره صغار بغلف منحنية كالقرون وفيه بزر أسود.. وينبت في سواحل البحر.. ومنها الخشخاش الزبدي، سُمّي بذلك لأنه يشبه الزبد في بياضه، وهذا النبات كله أبيض، وساقه وورقه وثمره يشبه الزبد.. ثم بين الفوائد الطبية لهذه الأصناف وأهمها أنها مسكنة للآلام والأوجاع ومنومة ونافعة من السعال ومن الإسهال...

فالخشخاش نبات معروف له أصناف عديدة كلها مخدِّر منوِّم، ومنها مايزرع، ومنها ماينبت بريًا، وربما زرع البري لجمال أزهاره. قال الأنطاكي في تذكرته «إذا أطلق فإنما يراد به الخشخاش الذي يعرف في مصر بأبي النوم منه أبيض وأحمر وأسود»

للخشخاش بأصنافه المتعددة أسماء كثيرة في المراجع العربية منها رُمَّان السعال، وناركيو، ورمان الخس، وميقون من اليونانية، وبابلس لبذره من اليونانية أيضًا، وثمرته قد تسمى رؤوس الخشخاش، ورمان الخشخاش، وجراء الخشخاش...الخ

الاسم العلمي للخشخاش هو Papaver جنس نباتات عشبية حولية من الفصيلة الخشخاشية، والصنف المشهور المنوم الذي يستخرج الأفيون من ثماره وتعتصر بزوره فيخرج منها دهن يستعمل في صناعة الصابون هوPapaver sommiferum وفي كتاب القانون أدوية أخرى عديدة اشتقت من هذا

النبات ثمره وبزره منها البسيط كعصارة الخشخاش ولبنه ويراد بهما الأفيون. ومنها المركب مطبوخًا أو بلاطبخ كرُبّ الخشخاش وشرابه ولعوقه..الخ

أما في معجمات اللغة فمن معاني الخشخشة الصوت يصدر عن السلاح أو الثوب الجديد أو غيرهما، والخشخاش بالفتح كل شيء يابس إذا حُكّ بعضه ببعض صوّت، ولعل اسم الخشخاش لهذا النبات المعروف اشتق من هذا المعنى.

خُشْكار*

الخشكار ٢: ٢٨٢، ٤٥١

عرض هذا الاسم في القانون مرتين أثناء كلام ابن سينا على تغذية بعض المرضى إذ فضل أن يكون خبزهم خشكارًا.

فالخشكار صنف من أصناف الخبز، وهو ذلك الذي لم تنزع عنه نخالته، ويقابله الحُوّارى المصنوع من الدقيق الأبيض النقي، وهذا ماأكدته جميع المراجع، ومنها مفيد العلوم وفيه: «خشكار هو الدقيق الذي لم يُستقص طحنه ولا نخله»، ومنها منهاج الدكان الذي جاء فيه قول الكوهين العطار «خشكار هو الخبز من الدقيق الذي لم تنزع نخالته، وهو خبز العامة». فاسم الخشكار يطلق على الدقيق ويطلق على الخبز المصنوع منه والذي كانت الخاصة ترفع عن أكله، ثم تأكدت فوائده الطبية حديثًا، وتبين أنه خير لعافية البدن من الخبز المصنوع من دقيق نقي.

اسم خشكار معرَّب من الفارسية، وضُبط في المعجم الفارسي برهان قاطع بوزن هشيار أي بضم أوله وسكون ثانيه، والعامة تقول خشكار بكسر أوله.

---

* الحاوي ٢٠: ٢٨٩ (حنطة)، والصيدنة ١٨٠، ومفيد العلوم ٤٠، ومفردات ابن البيطار ٢: ٦٨، ومنهاج الدكان ١٨٨، والشامل ٢٥١، والتذكرة ١: ١٣٠ (خبز)، ومحيط المحيط ٢٣٤ (خشكر)، والمعجم الوسيط ١: ٢٣٦ (الخشكار)، وبرهان قاطع ٢: ٧٥٢.

(المقالات والآراء)

الحيوان يعظ الإنسان

د. عبد الكريم اليافي

تأمّل العرب وغيرهم من الأقوام طباع الحيوان ودرسوها، فوجدوا بعض وجوه الشبه بينها وبين طباع بعض الناس.

شيمة الثعلب المكر، وشيمة الذئب الغدر. ولكن مغبّة الغدر والمكر دمار مرتكبَيهما، كما أنّ في التعاون قوّة لا تُقهر. ولا غروَ أن يعمد الحكماء والشعراء إلى استغلال الحيوان، فيلقوا عليه مشكلات الإنسان، ويحاولوا تمثيلها على ألسنته وأعماله.

جاء في كتاب الحيوان للجاحظ: «قال أبو الحسن عن سلمة بن خطّاب الأزدي قال: لما تشاغل عبد الملك بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا له: قد أمكَنَتكَ الفرصةُ من العرب بتشاغل بعضِهم مع بعضٍ، لوُقوع بأسِهم بينَهم. فالرأيُ لكَ أن تغزوَهم إلى بلادهم. فإنك إن فعلت ذلك بهم نلتَ حاجتَكَ. فلا تَدَعْهم حتى تنقضيَ الحربُ التي بينهم فيُجمعوا عليك. فنَهاهُم عن ذلك وخطَّأَ رأيَهم. فأبَوا عليه إلاّ أن يغزُوا العربَ في بلادهم. فلما رأى ذلك منهم أمر بكلبَين فحَرَّش بينهما. فاقتَتَلا قتالاً شديداً. ثم دعا بثعلب فخلاّه. فلمّا رأى الكلبانِ الثعلبَ تركا ماكانا فيه، وأقبلا عليه حتى

قتلاهُ. فقال ملكُ الروم: كيف ترَونَ؟ هكذا العرب، تقتتل بينها فإذا رأونا تركوا ذلك، واجتمعوا علينا. فعرفوا صدقَهُ، ورجعوا عن رأيهم»[1].

هذا وقد نبغ الشاعر الروسي إيفان كريلّوف، وتأثر بالشاعر الفرنسي لافونتين، وترجم طائفة من قصصه على لسان الحيوان. لافونتين نفسه كان قد تأثَّر بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، الذي غدا عيالاً عليه كل من عالج مثلَ هذه القصص. فقد تُرجم كتاب كليلة ودمنة إلى الفرنسية بعنوان:

Le livre des lumières ونُشر سنة ١٦٦٤م.

كريلّوف هذا كتب قطعة شعرية حين غزا نابليون بونابرت روسيّا، فتعثر في ربوعها وأراضيها الشاسعة وبردها القارس، يلمّح فيها إلى ذلك التعثّر والخيبة. وقد كنا ترجمناها إلى العربية متقيِّدين بالنص الأصلي وهذه هي الترجمة:

ذئب في حظيرة الكلاب

تَسلَّلَ الذئبُ ليغتالَ الغَنَم لكنَّهُ ضلَّ الطريقَ المقتَحَم
في ليلةٍ حالكةِ الجِلبابِ فحَلّ في حَظيرةِ الكِلابِ
وهَبّ مَن في الحَيِّ مِن كُواهُ لما أحَسّ الوَغدَ في حِماهُ
وهرَّتِ الكلابُ في الزرائِبِ واستشرفَت لداهِم النَّوائبِ

(١) كتاب الحيوان، للجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٧ هـ، ٢: ١٧٢– ١٧٣.

تَصايَحَ الشبّانُ يا لَلسّارقِ هيّا إلى العِصِيِّ والبَنادِقِ
وطارَ كُلٌّ مالكاً صَوابَه وأسرَعوا فأقفلوا البَوّابَه
فصارَتِ الحَومةُ كالجَحيمِ تُنذِرُ بالنارِ على الرَّجيمِ
لما رأى الأرعَنُ ما دَهاه أقعَى لَدى الجِدار واستَذراه
أنيابُه اصطكَّت مِن الإبلاسِ وشَعرُه قفّ أمامَ النّاسِ
وعَينُه تَلتَهِم الجَماعة كم ودَّ لو يَفِرْسُها في ساعة
وما رأى أمامَهُ قَطيعا وإنّما رأى العِدا جمَيعا
وأيقنَ الهلاكَ والتَّبابا والعاجِلَ المخِيفَ والحِسابا
فلجأ الماكرُ للمفاوَضَه لعلّه يُغوي بها من عارَضَه
وصاحَ ياصَحبُ لِمَ الضَّوضاءُ آن لنا أن يُنْبَذَ العِداءُ
قد جِئتُ للصُّلحِ وللصَّداقة كم بَيننا فيما مَضى عَلاقة
بُنوّةُ الأعمام والأخوالِ تشهدُ بالصِّدق على مَقالي
فلْنَنْسَ ما فات ونَبْنِ الآتِيا ولنُرْسِ فيما بينَنا الأواخِيا
لا غَدْرَ، لا اغتِيالَ بينَ الغَنَمِ لسوف أحمِيها بروحِي ودَمِي
نعيشُ منذُ اليَوم كالأحباب واقَسَمِي بشَرَفِ الذِّئاب

ولاح من بينِ الجُموع ضارِي فؤادُه قد ضاقَ بالثَّرثار

قالَ لهُ كم بينَنا مِن فارِقِ أعرِفُهُ منذُ زمانٍ سابِقِ

فلونُكَ الغَبْرة والعَماءُ ولَونِيَ الشُّهبةُ والصَّفاءُ

وطبعُكَ الخِداعُ والخِيانة وطَبعِيَ الوَلاءُ والأمانة

هَيهات أن نَرَكَنَ للخُوّانِ إنّهُمُ للسَّلخِ والهَوانِ

وأهوَتِ الكِلابُ فوقَ الذئبِ تنهشُه مِن رأسِهِ والجَنْبِ

دراسة لغوية ضافية لجزء من مادة
(و ف ر): تَوَفَّرَ، تَوافَرَ

د. محمد مكي الحسني الجزائري

- **تَوَفَّر**:

أولاً: المعنى المجازي، وهو الذي أوردته المعاجم، فظنَّ كثيرون أنه المعنى الوحيد.

١- توفّر عليه: رعى حُرُماتِه وبَرَّهُ.

٢- توفر على كذا: صرف هِمَّته إليه.

- قال الثعالبي (فقه اللغة/ ١٠): استغرقتُ أربعة أشهر هناك بحَضْرته، **وتوفَّرتُ** على خدمته.
- قال د. إبراهيم السامرّائي في كتابٍ بتحقيقه جَعَلَ عنوانه: «رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ»/ ٢٠٧:

... فلم أَرَ بي حاجة كبيرة **للتوفّر على** إحدى النسختين الأُخْرَيَيْن.

- وَجَّهَ أحد الباحثين كلامه إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قائلاً:

... وأرجو مخلصًا أن **يتوفَّر المؤتمرُ على** حلَّ هذه المشكلة.

ثانيًا: المعنى الأصلي، الذي - ويا للعجب - لم تُوْرِدْهُ المعاجم!

تَوَفَّر الشيءُ: (مطاوع وَفَّرَهُ): **تَحَصَّل دون نقص** (مسالك القول/ ١٢٤؛ صلاح الدين الزعبلاوي).

تَوَفَّر الشيءُ: (مطاوع وَفَّرَهُ): **تجمَّع وحَصَل** (قل ولا تقل/ ١٦٧؛ د. مصطفى جواد).

١- حكى صاحب الأغاني (٢/ ١٤٥) قول بشّار: «إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء **فيتوفَّر حِسُّه**».

٢- قال المرتضى في أماليه (١/ ٥٦): «... **فيَتَوَفَّر** اللبنُ على الحلْب».

٣- قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (٧٩٠): «وإن العناية **مُتَوفّرة** من جهتهم».

٤- وقال الثعالبي (فقه اللغة/ ٦): «فَعَظُمت الفائدة، وعمَّت المصلحة، **وتَوَفَّرت العائدة**».

٥- قال صاحب «نفح الطيب ٢/ ٢٧»: «... ولم يكن فيها (أي إشبيلية) مالٌ **متوفِّر**.

٦- وقال لسان الدين بن الخطيب (نفح الطيب ٢/ ١٢٦): «والحمد لله على تضافر الأيدي في ذاته **وتوفُّر الأسباب**».

٧- وقال أيضًا (نفح الطيب ٢/ ١٢٨): «... وتأديةً لحقِّ سلفكم الذي **توفّرت حقوقه**».

٨- «وقال بعض الأعلام» (نفح الطيب ٢/ ١٩٧): «... ولما **توفّرت** دواعي النقد عليه من الفقهاء كثُر التأويل عليه».

٩- وقال سبط ابن الجوزي (مختصر مرآة الزمان /٨/ ٤١٣): «هو الذي أشار بخراب عسقلان **لتتوفر** العناية على حفظ القدس».

١٠- وقال أبو حيَّان التوحيدي في مقابساته: «ولهذا لا **تتوفر** القُوَّتان للإنسان الواحد».

١١- وقال الشيخ محمد الخضر حسين (محاضرات إسلامية/ ١٤٣): «نشؤوا في بيوت **توفّرت** فيها وسائل الرفاهية».

١٢- وقال د. مصطفى جواد (قل ولا تقل/ ١٣٧): «**توفَّرت الكفاءة** في فلان للوظيفة المذكورة، فعُيِّن فيها، ثم أظهر فيها **كفاية** وصرامة وشهامة».

١٣- وقال صلاح الدين الزعبلاوي (مسالك القول في النقد اللغوي/ ١٢٦):

توفّر **له** المال: تجمَّع في يديه وصار إلى ملكه وحوزته.

توفر **عليه** المال: تجمَّع في يديه ضافيًا وسابغًا.

- **تَوَافَرَ**:

جاء في «المعجم الوسيط»: توافر الشيءُ تَوَافُرًا: كَثُر واتَّسَع فهو وافر.

جاء في اللسان والتاج ومتن اللغة: «يقال: هم **مُتوافرون**: أي **هم كثير**، أو فيهم كثرة، **متكاثرون**».

وجاء في «أساس البلاغة»: (وكان ذلك وأصحاب رسول الله تعالى، ﷺ **متوافرون**).

وفيما يلي شواهد من كتب اللغة والأدب، تبيّن - بوضوح – استعمال «تَوافَرَ» بمعنى كَثُرَ، و«متوافر» بمعنى كثير، و«التوافُر» بمعنى الكثرة؛ **وهو ما أغْفلَتْه المعاجم!**

١- قال صاحب «الأغاني» (١/ ٨): «حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد رحمة الله عليه أمر المغنّين، وهم يومئذ **متوافرون**، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء».

٢- وقال (٩/ ١٥٢): «حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال: جلس الوليد بن يزيد يومًا للمغنّين وكانوا **متوافرين** عنده».

٣- وقال: «حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية **متوافرون**».

٤- وقال الجاحظ في «رسائله»:

«وهو من كان يُفتي أصحاب رسول الله ﷺ وهم **متوافرون**».

٥- وجاء في اللسان (٢/ ٥٤٨): «وقال ابن الأعرابي: معنى هذا أنهم كانوا **متوافرين** من قبلُ فانقرضوا فكان أول عيشهم زيادة، وآخره نقصانًا وذهابًا.

٦- وقال الإمام الذهبي (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١١):

«لقد رأيتنا ونحن **متوافرون** وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر».

٧- وجاء في «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» ٨/ ١٦٢ (للقلقشندي، ت ٨٢١هـ):

«والبركات **متوافرة** والخيرات متظاهرة».

٨- وجاء فيه (١١/ ٣٥٩): «لا زال جمال جميله للنفوس رائقا، وإفضاله **المتوافر** لكل إفضالٍ سابقا».

٩- وجاء في معجم البلدان (٣/ ٢١١) لياقوت، ت ٦٢٧هـ:

«وكان فيها من الناس الأعداد **المتوافرة**، ومن النخل أكثر من مئة وعشرين ألفًا».

١٠- وجاء في تاريخ بغداد، ١٢/ ٤٣ (لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ):

«وحضرت الصلاة عليه، وكان الجمع **متوافرًا جدًّا يفوت الإحصاء**؛ لم أر جمعًا على جنازة أعظم منه».

١١- وجاء في «الكامل في التاريخ» ٨/ ٣٥٠ (لمحمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، ت ٦٣٠هـ):

«وقاتلنا بالأمس شاه ملك، وهو في أعداد **متوافرة**».

١٢- وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في «مقدمته» (١/ ١٦٠):

«... واستعدى أهلُها (أي بغداد) الحكّامَ (على الزعرة من الشطار والحربية) فلم يُعْدُوهم، **فتوافَرَ** أهلُ الدين والصلاح **على** منع الفُسّاق وكفّ عاديتهم...».

- نلاحظ في هذا الشاهد (وفي الشواهد التي تليه) أن الفعل اللازم (توافَرَ) عُدِّي بحرف الاستعلاء (على)، وذلك **بتضمينه** معنى فعلٍ آخر يتعدّى بـ(على) وهو: تضافَرَ (أو تعاوَنَ...).

فمعنى قول ابن خلدون: ... تكاثر أهل الدين والصلاح وتعاونوا على منع الفُسّاق...

١٣- جاء في نفح الطيب (٦/ ٢٨١): «... في وطنٍ **توافر** العدوّ **على** حَصْره...»

المعنى: في وطنٍ تكاثر أعداؤه وتعاونوا على حصره.

١٤- وجاء في «مناهل العرفان في علوم القرآن» (١/ ٢٠٢) لمحمد عبد العظيم الزرقاني:

«... فلا جرم كان هذا التحدّي (للمشركين) من الدواعي التي **توافرت على** نقل القرآن وتواتره وجريانه على كل لسان...». المعنى: ... تكاثرت وتضافرت على نقل القرآن...

١٥- وجاء في البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ٦/ ٦٥:

«... لما اشتمل (القرآن) عليه من التركيب المعجز الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع **توافُر** دواعي أعدائه **على** معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم...».

المعنى: ... مع تكاثُر (كثرة) دواعي أعدائه وتضافُرها على معارضته.

١٦- وجاء في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٢/ ١٢٩، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ).

«... دلَّتْ على غزارة مادته و**توافُر** اطلاعه». أي: كثرة اطلاعه.

الخاتمة:

نرى بوضوح مما سبق، كيف استعمل الفصحاء الفعلين (تَوَفَّر) و(توافَرَ) ومشتقاتهما استعمالاً سليمًا.

وعلى هذا أرى أن الوجه أن يقال مثلاً:

يُقْبَل في المسابقة المعلَنة مَن توفَّرت فيه الشروط المذكورة.

لأن المعنى:

يُقْبَل في المسابقة المعلَنة مَن تَجَمَّعت وتحصَّلت فيه الشروط...

خلافًا للتركيب الشائع:

يقبل في المسابقة المعلن عنها (!) مَن توافرت فيه الشروط المذكورة.

لأن المعنى:

يقبل في المسابقة المعلن عنها مَن تكاثرت (!) فيه الشروط...

المستدرك على ديوان

محمّد بنِ حازمٍ الباهليّ

أ. شاكر العاشور

هو الشّاعرُ العبّاسيُّ محمّدُ بنُ حازمِ بنِ عمرو، الباهليُّ بالولاءِ، والمتوفّى سنةَ٢١٧ هـ أو٢١٨ هـ. انمازَ شِعرُهُ بالزُّهدِ والقَناعةِ وذَمِّ الحِرْصِ، إلى جانبِ إجادتِهِ في وصفِ الشَّيبِ ومديحِ الشَّباب.

قالَ عنهُ ابنُ المعتز:« هو أَجودُ الشُّعراءِ لفظاً، وأَلطفُهُمْ معنىً»[١]. وذكرَهُ المرْزُبانيُّ في مُعجمِهِ، فقالَ:« يقولُ المقطَّعاتِ، فيُحسِن»[٢]. وقالَ عنهُ الخطيبُ البغداديُّ:« كانَ حَسَنَ الشِّعرِ،مطبوعَ القول»[٣]. وقالَ ابنُ الجرّاح:« لهُ في الشَّيبِ أَشعارٌحِسان»[٤].

وعن ابنِ الأعرابيِّ قالَ[٥]:« أَحسنُ ما قالَ المحدَثونَ من شُعراءِ هذا الزَّمانِ في مديحِ الشَّبابِ وذَمِّ الشَّيب:

لاحينَ صَبْرٍ، فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ فَقْدُ الشَّبابِ بيومِ المرءِ مُتَّصِلُ[٦]»

---

(١) طبقات الشّعراء ٣٠٨ .

(٢) معجم الشُّعراء ٣٧١ .

(٣) تاريخ بغداد٢/٢٩٥ .

(٤) الورقة ١١٧ .

(٥) انظر: الأغاني١٤/٩٤ والورقة١١٨ وبكاء النّاس على الشَّباب١٠٢ .

(٦) البيت لمحمد بن حازم من قصيدةٍ في الأغاني١٤/٩٤-٩٥.

فعَقَّبَ على ذلك ابنُ الوَشّاءِ بقولِه:«وما أَساءَ ولاقَصَّرَ عن الأوّلِ حيثُ يقولُ في هذا المعنى:

أَبكي الشَّبابَ لنُدْمانٍ وغانيةٍ وللمغاني، وللأطلالِ، والكُثُبِ
وللصَّريخِ، وللآجامِ في غَلَسٍ وللقنا السُّمْرِ،والهِنْديّةِ القُضُبِ[٧]»

هذِهِ الآراءُ حبَّبتْ إليَّ أَنْ أُسْهِمَ في خدمةِ شِعرِ هذا الرَّجلِ؛ فتعقَّبتُ ما ذكَرَهُ ابنُ النَّديمِ[٨] من أَنَّ لمحَمَّدِ بنِ حازم ديواناً قوامُهُ سبعونَ ورقةً. فلمْ أَحظَ بوجودٍ لهُ في مكانٍ ما؛على الرُّغمِ من تساؤلاتي الكثيرة، وتنقيري في فهارس المخطوطاتِ المنشورةِ في العالم. فلم يعدْ أمامي غيرُ رحلةِ البحثِ عن المتناثرِ من شِعرِهِ في المظانِ، ولَمِّهِ من التَّشتّت. فلمّا اجتمعَ لديَّ مقدارٌ طيّبٌ منهُ، استخرتُ الباري– عزَّ وجلَّ– ونشرْتُهُ سنةَ١٩٧٧[٩].

وفي سنة١٩٨٢أَصدرَ الدكتور محمد خير البقاعيّ نشرتَهُ لديوان محمد بن حازم الباهلي عن دار قتيبة بدمشق، وأَعقبَ ذلكَ بمستدركٍ على عملِهِ، نشرَهُ في مجلة مجمع اللّغة العربيّة في الأردن[١٠].ثمَّ قامَ وليد السّراقبي بصنعِ مُستدركٍ سمّاهُ «ديوان الباهلي٠٠ تكملةُ التكملةِ وإصلاحُ الإصلاح»[١١]، استدركَ فيهِ بعضَ ما فاتني، وما فات الدكتور البقاعيّ.

(٧) البيتان لمحمد بن حازم في البصائر والذّخائر٤/١٠٨ .

(٨) الفهرست١٨٨ .

(٩) مجلة«المورد» التراثيّة العراقيّة– العدد الثاني– المجلّد السّادس١٩٧٧ .

(١٠) العدد الرّابع والثلاثون– السنة الثانية عشرة– كانون الثاني١٩٨٨ .

(١١) مجلة«عالَم الكتب» السّعوديّة– المجلد الخامس عشر– العدد الرّابع، تموز وآب١٩٩٤ .

وتتوالى الجهودُ في خدمة شِعرِ هذا الرَّجلِ؛ وتصدرُ في سنة٢٠٠٢ ، عن دار الجيل في بيروت نشرةٌ جديدة لديوان محمّد بن حازمٍ الباهليّ، بجمع وتحقيق الأستاذ مناور محمد الطّويل، وبإشراف الدكتور إميل يعقوب.وهي نشرةٌ لاريبَ في أَنَّها تفضلُ نشرتي ونشرة الدكتور البقاعيّ؛ ذلك أَنَّ الأستاذ مناور جَمَعَ شملَ المتناثرِ من شِعرِ الباهليِّ في نشرتي ونشرة الدكتور البقاعي، وفي المستدركين اللّذين صَنَعَهُما البقاعيُّ والسراقبي، وأضافَ إلى كلِّ ذلك ما وقفَ عليهِ من شعرٍ للباهليِّ لمْ يكن في النشرتين السّابقتينِ وفي المستدرَكين؛ فجاءَ عملُهُ أشملَ وأوفى، إلى جانبِ الدِّراسةِ الموعبةِ التي صَدَّرَ بها عملَهُ.

ولأَنَّ مُهمّةَ جمعِ الشِّعرِ لايُمكنها أَنْ تبلغَ المنشودَ،لِترامي أَطرافِ الخزانةِ العربيّةِ، فقد وقعتُ على أبياتٍ من شعرِ محمّدٍ بنِ حازمٍ الباهليِّ لمْ تحتجنْها دفّتا ديوانِهِ الشّامل، بتحقيق الأستاذ مناور، فرأيتُ أَنْ أُضيفَها إلى عملِهِ الجليل، على طريقِ اسْتكمالِ جمع شِعرِ هذا الشّاعر.

المُستدرَك

[١]

من الطويل:

١- إذا ماتَقَضّى الوُدُّ إلاّ تكاشُراً فهَجرٌ جميلٌ بالفَريقَينِ صالحُ
٢- تَلَوَّنْتَ أَخْلاقاً عَليَّ، كثيرةً ومازَجَ عَذْباً، من إخائِكَ، مالِحُ
٣- فلي عَنْكَ مُسْتَغنىً، وفي الأَرْضِ مَذْهَبٌ فَسيحٌ، ورِزْقُ اللّهِ غادٍ ورائِحُ
٤- عليكَ سَلامٌ لاتواصُلَ بَعدَهُ فلا القَلْبُ مَحْزونٌ ولا الدَّمْعُ سافِحُ
٥- لتعلَمَ أَنّي حينَ رُمْتَ قَطيعَتي وسامحْتَ في الهِجرانِ، أَنّي مُسامِحُ

٦- على أَنّني لاقاتِلٌ بعداوةٍ عليكَ،ولاصَبٌّ إلى السِّلْمِ جانِحُ
٧- نَعانيَ ناعٍ يومَ يَطْمَعُ صاحبٌ يرى البِشْرَ في وَجْهي لهُ، وهو كالِحُ

التَّخريج: الأُنس والعُرس١٦٦ ، وفيه البيتُ الأوّل١٦٠ .

[٢]

من الوافر:

١- صَديقي لاغَنِيتَ غِنىً يَصُدُّ ولاأُعْدِمْتَ إعْداماً يَجُدُّ
٢- ولكنْ بينَ ذاكَ، وبينَ هذا مَعاشٌ لايَفوتُكَ فيهِ كَدُّ
٣- حَذارِ تَفَرُّقٍ بَعْدَ ائْتِلافٍ فإنَّ المالَ لِلآمالِ ضِدُّ
٤- هُما ابنا عِلَّةٍ في كلِّ حالٍ فما بين الغِنى والْفَقْرِ وُدُّ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٦ .

[٣]

من الطويل:

١- لَعَمْري لَئِنْ غالَتْكَ عِنْدي غوائلٌ وَأَبْحَرَ عَذْبٌ مِنْكَ ماعَزَّني وِرْدُ
٢- وَما أَنا والرَّنْقُ الأُجاجُ أُسيغُهُ وَعِنْديَ عِدٌّ من زُلالٍ لَهُ بَرْدُ
٣- وَمازالتِ الأَيّامُ تَسْعى بصاحِبٍ إلى صاحبٍ، والدَّهْرُ ليسَ لهُ عَهْدُ
٤- أَقَرُّ لِعيْنِي من إخاءِ تكاشُرٍ إذا ماانقضى الوُدُّ القَطيعةُ والبُعْدُ
٥- وَلي من صَديقٍ بالأَذى مُتَسَرِّعٍ إليَّ، وممّنْ لا يوافقُني بدُّ

التَّخريج: الأَبيات عدا [٤] في الأُنس والعُرس١٦٤ ، وفيه البيتان [٤-٥]

. ١٦٠

[٤]

من الطويل:

١- وَلِي صاحِبٌ أُصفيهِ وُدّي،وإنَّهُ لَيُنْصِفُني ،في وُدِّهِ، ويَزيدُ

٢- أَمِنْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بيني وَبينَهُ إذا دَبَّ، بينَ الصّاحِبَيْنِ،حَسودُ

التَّخريج: الأُنسُ والعرس٧٤ .

[٥]

من الكامل:

١- ياخاضِبَ الشَّيْبِ الذي في كُلِّ ثالثةٍ يَعودُ

٢- إنَّ النُّصولَ إذا بَدا فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَديدُ

٣- وَلَهُ بَديهةُ رَوْعَةٍ مَكْروهُها،أَبَداً،عَتيدُ

٤- فَدَعِ المشيبَ كَما أَرا.. دَ،فَلَنْ يَعودَ كَما تُريدُ[١٢]

التَّخريج : تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[٦]

من الكامل:

١- قَدْ ذُقْتَني فَوَجَدْتَني مُرّا وَبَلَوْتَني فَوَجَدْتَني حُرّا

٢- سَهْلَ الخَلائِقِ، ذا مُحافَظَةٍ آبى الصَّغارَ، وأَمْنَعُ القَسْرا

(١٢) تُنسبُ الأبيات لمحمود الورّاق في ديوانِهِ ٦٠ .

٣- وَإذا أَرادَ هَضيمَتي رَجُلٌ أَبْليتُ،دونَ تَهَضُّمي،عُذْرا
٤- وَإذا تَجَبَّرَ صاحِبٌ وَزَها يوماً عَليَّ، أَعَرتُهُ كِبْرا
٥- وَإذا اسْتَكانَ لِذي الغِنى ضَرِعٌ يرجو جداهُ،رَمَقْتُهُ شَزْرا
٦- وَإذا تَضَيَّفَني الزَّمانُ بصرْفِهِ وكَبا عَلَيَّ قَرَيْتُهُ صَبْرا
٧- وَإذا نَبا بيَ مَنْزِلٌ وَجَفا عنّي،تَرَكْتُ عراصَهُ قَفْرا
٨- إنَّ القَناعةَ، ماعَلِمْتَ،غِنىً والحِرْصَ يُورثُ أَهلَهُ فَقْرا

التَّخريج: الدُّرّ الفريد٢/٣٣٩ ، وفيهِ الأوّل فقط٤/٣٠٣ [١٣].

[٧]

من الطويل:

١- وإنَّ التَّواني زَوَّجَ العَجْزَ بِنْتَهُ وَساقَ إليها، حينَ زَوَّجَها، مَهْرا
٢- فِراشاً وَطِيّاً، ثُمَّ قالَ لَها:اتكي فَقَصْراكُما لابُدَّ أَنْ تَلِدا فَقْرا[١٤]

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٢٩٥ .

[٨]

(١٣) واضحٌ أَنَّ الأستاذ مناور لم يُحسن الإفادة من مصادره؛ إذْ أَثبت البيت الأول فقط من هذه القطعة في الديوان عن مخطوطة الدُّرّ الفريد٤/٣٠٣، ولم يلتفتْ إلى أَنَّ صاحب الدّرّ الفريد أَثبتَ القطعةَ بأبياتِها الثَّمانية في الصّفحة٣٣٩ من الجزء الثّاني.

(١٤) يُنسب البيتان لأَبي المعافي في عيون الأخبار١/٢٤٤ وديوان المعاني٢/١٩١ ومحاضرات الأدباء٢/١٦٢(ابن المعافى) ، ولهلال بن العلاء الرَّقّي في المستطرف٢/٣١٧ .

من السّريع:

١- في غَيْرِ سِتْرِ اللّهِ مَنْ سارا لاقَرَّبَ اللّهُ بِهِ الدّارا
٢- لَوْ سَخِطَ اللّهُ على نارِهِ لَعَذَّبَ اللّهُ بِهِ النّارا

التَّخريج: ذَمُّ الثُّقَلاء (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[٩]

من الطويل:

١- يَرى الحُرُّ أَحْوالاً فَلا يَسْتَطيعُها وَفي صَدْرِهِ نَفْسٌ أَجَلُّ من الدَّهْرِ
٢- فَلا الدَّهْرُ يُرْضيهِ بِبَسْطَةِ كَفِّهِ وَلا هُوَ يَرْضى بالقَليلِ من الوَفْرِ
٣- إِذا نالَ من دُنْياهُ حَظّاً نالَهُ فَعُسْرٌ إِلى يُسْرٍ، ويُسْرٌ إِلى عُسْرِ
٤- وَبينَهُما وَعْدٌ وَجُودٌ وَنائِلٌ وَبَذْلٌ يُؤَدِّيهِ إِلى الحَمْدِ والشُّكْرِ
٥- فَأَيّامُهُ تَمْضي بأَيّامِ غَيرِهِ وَبينَهُما حُسْنُ الأَحاديثِ وَالذِّكْرِ

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٣٢٦ .

[١٠]

من الطويل:

١- وَكُنْتَ أَخي أَيّامَ عُودُكَ يابِسٌ فَلَمّا اكْتَسى،وَاخْضَرَّ صِرْتَ مَعَ اليُسْرِ
٢- وَما قُلْتُ حتّى لَمْ أَجِدْ مُتَلَوَّماً عَليكَ، وَحتّى لَمْ أَجِدْ مَوْضِعَ العُذْرِ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٥ .

[١١]

من المنسرح:

١ – لازلتَ في غُرْبَةٍ وَفي سَفَرٍ حتّى تَحُطَّ الرِّحالَ في سَقَرِ

٢– فَبِئْسَ ضَيْفُ الكريمِ مُغْتَرِباً وَبِئْسَ جارُ الأَقوامِ في الحَضَرِ

التَّخريج: ذَمُّ الثُّقَلاء (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[١٢]

من الطويل:

١– وَمازالتِ الأَيّامُ تَسْتَدْرِجُ الفتى وَتُمْلي لَهُ من حيثُ يَدْري،ولا يَدري

التَّخريج: محاضرات الأُدباء٤/٦٢ .

[١٣]

من الوافر:

١– رَخيصٌ:«كَيفَ أَنتَ» إذا التَقينا وَغالٍ عِنْدَهُمْ صِلَةُ الصَّديقِ

٢– فَإِنْ يَكُنِ الرَّخيصُ تُريدُ مِنْهُمْ فَقِفْ لَهُمُ على ظَهْرِ الطَّريقِ

٣– تَجِدْ مِنْهُمْ مُسالَمَةً وَبِرّاً وَتَسْليماً يَزيدُ على الحُقوقِ

التَّخريج: تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٨).

[١٤]

من الكامل:

١– لاتَقْبَلَنَّ نَميمَةً بُلِّغْتَها إِنَّ النَّميمَةَ سُمُّها مَسْلولُ

٢– وَأَخو النَّميمَةِ للمُروءةِ قاطِعٌ وَأَخو النَّميمَةِ للبِلاءِ رَسولُ

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٤١٠ .

[١٥]

من الطويل:

١- رُجوعُ الفتى بالحَقِّ أَحْسَنُ بالفتى وَأَوْلى بِهِ من أَنْ يَلِجَّ بباطِلِ
٢- وَأَحْرِ بِمِثْلي أَنْ يُراجِعَ رُشْدَهُ بِتَرْكِ لِجاجٍ، أَوْ مُماراة جاهلِ
٣- أَقِلْني،فَقَدْ أَصْبَحْتُ رَهْناً لِزَلَّةٍ وَكَمْ زَلَّةٍ لاتُسْتَقالُ لِعاقِلِ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس٣١٩ .

وإنَّني حينَ أُقدِّمُ إضافتي هذِهِ ،فلستُ أَدَّعي أَنَّني استوفيتُ في هذا المستدركِ كلَّ مافاتَ الأستاذ مناور من شِعرِ لمحمّدِ بنِ حازمٍ الباهليِّ؛ ذلكَ أَنَّ هذا الرَّجُلَ غزيرُ الشِّعرِ، وأَنَّ شِعرَهُ مبثوثٌ في الكثير من المظانِ التي لم تصل إلينا، أَو التي لم نستطع الوقوفَ عليها، وندعو اللّهَ- جَلَّتْ قُدْرتُهُ- أَنْ يوفِّقَ الأستاذ مناور، أَو غيرَهُ من الغيارى إلى الوقوف على مايَسدُّ البُثوقَ، ويَرتقُ الفُتوقَ. واللّهُ الموفِّق.

المصـادر

- **الأَغاني** (دارالكتب).
- **الأُنسُ والعُرس**- لأبي منصور الآبي- تح: الدكتورة أيفلين فريد يارد- دار النَّمير للطّباعة- دمشق١٩٩٩ .
- **أَوهامُ المُحَقّقين**-الدكتور محمد حسين الأَعرجي- منشورات دار المدى- دمشق٢٠٠٤ .

- **بكاءُ النّاسِ على الشَّباب**- لابنِ الجوزي- تح: هلال ناجي- (مجلّة المورد)- العدد الثالث-المجلّد الثاني(ص٩١-١٠٤)١٩٧٣ .
- **تاريخ بغداد**- للخطيب البغدادي- القاهرة١٩٣١ .
- **الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد**- لابن آيدمر- مخطوطٌ نَشَرَهُ بالتَّصوير فؤاد سزكين- فرانكفورت- ألمانيا الإتّحاديّة١٩٨٨-١٩٨٩ .
- **ديوان محمود الورّاق**- جمعهُ وحقَّقَهُ: عدنان محمد راغب العُبيدي- بغداد١٩٦٩ .
- **طبقات الشُّعراء**- لابنِ المعتز- تح: عبد السَّتّار أَحمد فرّاج- دار المعارف بمصر١٩٦٨ – ط٢ .
- **الفهرست**- لابن النَّديم- تح: رضا تجدد- طهران١٩٧١ .
- **محاضرات الأُدباء**- للرّاغب الأَصفهاني- تح:د.رياض عبد الحميد مراد- دار صادر- بيروت- ط١-٢٠٠٤ .
- **المُستطرف**-للأبشيهي- تح: إبراهيم صالح- دار صادر- بيروت١٩٩٩ .
- **معجم الشُّعراء**- للمرزباني- تح: عبد السّتار أَحمد فرّاج- دار إحياء الكتب العربيّة- القاهرة١٩٦٠ .
- **(كتاب) المناقب والمثالب**- لأَبي الوَفاء ريحان بن عبد الواحد الخوارزميّ- عُني بتحقيقِهِ: إبراهيم صالح- دار البشائر بدمشق- ط١-١٩٩٩.
- **الورقة**- لابن الجرّاح- تح: عبد الوهّاب عزّام وعبد السَّتار أَحمد فرّاج- دار المعارف بمصر- ط٢(د.ت).

(أنباء مجمعية وثقافية)

التقرير السنوي عن أعمال
المجمع في دورة عام ٢٠٠٦ م

أعدّه بإشراف أمين المجمع

الأستاذ عدنان عبد ربه

فيما يلي عرض لأهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال:

أولاً- أعمال مجلس المجمع: عقد مجلس المجمع في هذه الدورة إحدى وعشرين جلسة، بحث فيها الأمور الآتية:

١- وافق على إيفاد الأستاذين الدكتور شاكر الفحام، والدكتور إحسان النص، إلى القاهرة للمشاركة في اجتماعات لجنة المعجم التاريخي التي انعقدت في المدة من ٤ إلى ٦ نيسان ٢٠٠٦م.

٢- ألف لجنة من السادة: الدكتورمروان المحاسني، الدكتورعبد الله واثق شهيد، الدكتورمكي الحسني الجزائري، الدكتور موفق دعبول، لدراسة مشروع اللائحة الداخلية للنظام الأساسي للهيئة العليا للذخيرة اللغوية العربية.

٣- رشح الدكتور رشدي راشد من جمهورية مصر العربية لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م، في ميدان الدراسات الإسلامية، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في ميدان خدمة الإسلام.

٤- ألف لجنة من السادة: الدكتور مروان المحاسني، الدكتورعبد الله واثق شهيد، الدكتور إحسان النص، لوضع قواعد اختيار الأعضاء المراسلين، وتحديد

واجباتهم وحقوقهم.

٥- عقد جلسة خاصة لتقويم أداء اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وكلف الدكتور إحسان النص والأستاذ شحادة الخوري وضع مقترحات للنهوض بالاتحاد وتنشيط أعماله، والسعي للتواصل المفيد بين المجامع كلها.

٦- وافق على قرار لجنة النشاط الثقافي عقد المؤتمر الخامس للمجمع من ٢٠ إلى ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦م، كما أقر المحاور التي وضعتها اللجنة لهذا المؤتمر.

٧- أقر التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٥م، وأوصى بطبعه في مجلة المجمع.

٨- انتخب الأستاذ الدكتور محمود السيد عضوًا في مكتب المجمع خلفًا للدكتور عبد الحليم سويدان رحمه الله.

٩- رشح الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي، عضو المجمع، لنيل جائزة كاتالونيا لعام ٢٠٠٧م.

١٠- تداول ما جرى في الاجتماع الذي عقدته السيدة الدكتورة نجاح العطار، نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٢٨، وضمَّ بعض السادة الوزراء والسيد رئيس المجمع، من أجل حماية اللغة العربية والتمكين لها، وطلبت فيه إلى المجمع تقديم تقرير يتضمن الوسائل التي يتبعها في حماية اللغة العربية والنهوض بها. وأقر المجلس تأليف لجنة برئاسة السيد رئيس المجمع وستة أعضاء، لدراسة محضر الاجتماع الذي عقدته الدكتورة نجاح العطار، ورفع التوصيات المناسبة لحماية اللغة العربية.

١١- رشح الدكتور محمد هيثم الخياط، عضو المجمع، لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م في ميدان اللغة العربية والأدب، ضمن

موضوع:قضايا المصطلحية في اللغة العربية،كما رشح الدكتور وهبة الزحيلي لنيل الجائزة في ميدان الدراسات الإسلامية، ضمن موضوع: أحكام العلاقات الدولية في الإسلام في حالتي السلم والحرب.

١٢- وافق على إيفاد الأستاذين الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، والدكتور إحسان النص عضو المجمع، إلى القاهرة، للمشاركة في الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع القاهرة الذي سيعقد في المدة من ١٧ إلى ٢٠٠٧/٣/١٩م، ومؤتمر المجمع الذي سيعقد مدة أسبوعين بدءًا من ٢٠٠٧/٣/٢٠

١٣- ألف لجنه من السادة: الدكتور عبدالله واثق شهيد، الدكتور مكي الحسني الجزائري، الدكتور موفق دعبول، لدراسة مشروع الذخيرة اللغوية العربية، والمشاركة التي سيقدمها المجمع في إنجازه، وبيان آلية العمل فيه.

١٤- وافق على عقد الاجتماع الخامس لشبكه تعريب العلوم الصحية في منظمة الصحة العالمية في دمشق، بالتعاون مع المجمع وكلية الطب في جامعة دمشق، وفوض إلى السيد نائب رئيس المجمع التنسيق مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في المنظمة وكلية الطب في جامعة دمشق،لإنجاح الاجتماع.

١٥- وافق على استضافة الدكتور يانوش دانيتسكي (رئيس قسم اللغة العربية والإسلامية في معهد الدراسات الاستشراقية في جامعة وارسو) لإلقاء محاضرة مساء الأربعاء ٢٠٠٦/٢/٨ في قاعة محاضرات المجمع بعنوان: «ترجمات الأدب العربي إلى اللغة البولونية».

١٦- أقر متابعة التنسيق مع المجمع التونسي (بيت الحكمة) لتنظيم لقاء سوري تونسي بعنوان: «ثقافة العلم عند العرب قديمًا وحاضرًا»، وكلَّف اللجنة التي ألفها المجلس عام ٢٠٠٥ من السادة:

الدكتور مروان المحاسني، الدكتور عبد الله واثق شهيد، الأستاذ جورج صدقني، الأستاذ شحادة الخوري، دراسة الموضوع، وتقديم تقرير عنه إلى المجلس.

واتفق على أن يشارك في اللقاء الدكتور مروان المحاسني، الدكتور موفق دعبول، والأستاذ شحادة الخوري، والدكتور مكي الحسني من المجمع، والدكتور نشأت حمارنة من دمشق، وثلاثة باحثين مختصين من معهد التراث العلمي العربي بحلب.

١٧– انتخب الدكتور مازن المبارك عضوًا في المجمع.

١٨– فوض إلى السيد نائب رئيس المجمع، رئيس اللجنة المؤلفة في العام الماضي (لدراسة موضوع إنشاء موقع للمجمع على الشابكة «الإنترنت»، تقديم الاقتراحات المناسبة بهذا الشأن.

١٩– كلَّف الدكتور محمود السيد إعداد بحث للمشاركة في العيد الماسي لمجمع القاهرة، ومؤتمره السنوي في دورته الثالثة والسبعين.

ثانيًا– أعمال مكتب المجمع

عقد مكتب المجمع في هذه الدورة أربعًا وعشرين جلسة، بحث فيها شؤون المجمع، ودار الكتب الظاهرية، وانتهى إلى جملةٍ من القرارات والأعمال، أهمها:

١– الموافقة على ترميم دار الكتب الظاهرية، وتكليف الدكتور المهندس موفق دغمان، مدير وحدة دمشق للعمارة والتراث، إعدادَ الدراسة الهندسية اللازمة للمشروع، وقد بلغت تكلفة الدراسة/٢.٨٣٩.٩١٥/ ليرة سورية، وتمَّ تكليف الدكتور المهندس مُسلَّم السَّقا أميني، مدير مؤسسة التراث والعمارة تدقيقَها، وبلغت تكلفة التدقيق/٩٤٦.٦٤٠/ليرة سورية.

٢– الموافقة على كسوةِ مدخلي المجمع الشمالي والجنوبي وتحميلهما مع

سطح المرأب والقبو، وغرفتي الاستعلامات والسائقين، وتكليف شركة الدراسات إعداد الدراسة الهندسية لذلك.

٣- الموافقة على الاشتراك في معرض الكتاب الثاني والعشرين الذي أقيم في مكتبة الأسد في المدة من ١- ٢٠٠٦/٨/١٠م، والموافقة على الاشتراك، بصحيفة واحدة من كلٍّ من الصحف الصادرة عن الجبهة الوطنية التقدمية، وهي سبع صحف.

٤- إيفاد بعض العاملين لاتباع دورات تأهيل وتدريب في اختصاصات متنوعة، وهم:المهندس جلال رمضان:دورة برنامج التصميم والتحليل الإنشائي، والمراقب الفني رؤوف يوسف :دورة إدارة مشاريع، والآنسة ريم القزّاز، والسيدة ابتسام حجازي: دورة تدريبية في السكرتارية التنفيذية.

٥- التعاقد مع الأستاذ مأمون صاغرجي لمتابعة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، الذي كانت تقوم به الأستاذة سكينة الشهابي رحمها الله.

٦- ندب القائمة بالأعمال المهندسة زهيرة حمزة، العاملة في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، إلى الهيئة الفنيّة في المعلوماتية في المجمع مدة عام.

٧- نقل الأستاذ حسين أسود العامل من الفئة الأولى إلى عضوية الهيئة الفنية بصفة قائم بالأعمال في المجمع، ونقل الأستاذ مصطفى الخطيب من الفئة الثانية إلى الفئة الأولى بعد حصوله على إجازة في الآداب، قسم اللغة الإنكليزية.

٨- إضافة الندوة العلمية التي أُقيمت بعنوان :«مشروع البرمجيات الحرة» برئاسة الأستاذ مروان البواب عضو المجمع المراسل، وذلك بناءً على كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مدة يومين .

٩- استخدام ثلاثة عاملين مدّة ثلاثة أشهر لحاجة المجمع إليهم،وهم:

حارس، وعاملة حاسوب، وعاملة إدارية ومحاسبة.

الموافقة على إنشاء موقع للمجمع على الشابكة (الإنترنت) بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط.

ثالثًا – أعمال لجان المجمع

١– لجنة المجلة والمطبوعات:

عقدت اللجنة في هذه الدورة تسع عشرة جلسة، قامت فيها بالأعمال الآتية:

وافقت على طباعة المجلد السابع والستين من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، رحمها الله.

وافقت على اقتراح الدكتور مكي الحسني الجزائري إرسال كتب إلى الأعضاء المراسلين وغيرهم لاستكتابهم في موضوعات محددة، أو في موضوعات يختارونها لنشرها في المجلة.

وافقت على طباعة كتاب (معجم أسماء الأفعال في اللغة العربية) تأليف الدكتور أيمن الشوا.

أقرت قائمة تعويضات كُتّاب المقالات التي نُشرت في مجلة المجمع، كما أقرت قائمة تعويضات مقوّمي تلك المقالات.

وافقت على طباعة كتاب ديوان أبي النجم العجلي، صنعة: الدكتور محمد أديب جمران.

قررت نشْر بحوث ندوة اللغة العربية والتعليم، في مجلة المجمع، وبحوث المؤتمرات التي عقدها المجمع في كتب مستقلة.

قررت أن تعهد بمراجعة كتاب (علم الدلالة في المعجم العربي) للدكتور عبد القادر سلامي إلى الدكتور أحمد قدور عميد كلية الآداب في جامعة حلب.

وافقت على دفع المجلد (٦٨) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق: الأستاذة سكينة الشهابي رحمها الله، إلى مطبعة دار البعث.

تابعت مناقشة المقترحات التي جمعها الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري من بعض السادة الأعضاء حول سبل تطوير بنية مجلة المجمع.

٢–لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

عقدت لجنة المخطوطات وإحياء التراث في هذه الدورة أربع عشرة جلسة اطّلعت خلالها على الكتب التالية:

(أثر المحتسب في الدراسات النحوية) تأليف: الدكتور حازم سليمان الحلي. واعتذرت اللجنة من عدم طبع الكتاب.

(كتاب الأحجار) صنعة: الصاحب بن عبَّاد، تحقيق: الأستاذ هلال ناجي، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع.

(كتاب الدواهي) تصنيف: أبي عبيدة، معمر بن المثنى، وأبي العباس، محمد بن الحسن، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع أيضًا.

ابن دينار الهاشمي الأحول، تحقيق: الأستاذ هلال ناجي، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع.

«تاريخ مدينة دمشق» تأليف: ابن عساكر «الجزء الخمسون» تحقيق الأساتذة: رياض مراد، محمود الأرناؤوط، ياسين الخطيب، وأعيد الكتاب إلى محققيه لتصحيح بعض الأخطاء الموجودة فيه.

«البرق المتألق في محاسن جِلِّق» تأليف: ابن الرّاعي، تحقيق: الأستاذ محمد أديب الجادر، وقد قررت اللجنة طبعه.

٣– لجنة المكتبة

عقدت اللجنة في هذه الدورة جلستين، اتخذت فيهما القرارات الآتية:

اشتراك المجمع في معرض مكتبة الأسد الثاني والعشرين الذي أقيم في ٢٠٠٦/٨/١ بجناح مستقل.

ترشيح عاملين في المجمع والظاهرية إلى دورة في ترميم الكتب والمخطوطات بمكتبة الأسد.

إجراء الفهرستين الوصفية والتحليلية للكتب والمخطوطات في المجمع والظاهرية.

الاقتراح على المكتب إحالة دراسة إجراء صيانة شاملة وإصلاح لأنظمة التهوية والإنارة والحرارة في مستودعات الكتب إلى مكتب هندسي مختص.

متابعة إنشاء موقع للمجمع على الشابكة الدولية.

هذا وقد بلغ عدد الكتب العربية التي زودت بها مكتبة المجمع (٧٠٤) كتب، منها (٥٢٠) إهداء.

٤– لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية والكيميائية والمعلوماتية.

أ– (مصطلحات الفيزياء):

عقدت اللجنة في هذه الدورة عشر جلسات، جرى فيها:

– إنجاز المرحلة الثانية من معجم مصطلحات الفيزياء الموحدة (مشروع توحيد المصطلحات بين الجامعات السورية) وتضم:

– إضافة المصطلح الفرنسي المقابل لمصطلحات الفيزياء في اللغة الإنكليزية، وإضافة الأصل اليوناني واللاتيني.

– الاجتماع بممثلي الجامعات السورية عن أقسام الفيزياء الأساتذة: الدكتور

بسام معصراني (دمشق)، والدكتور مصطفى أفيوني (حلب)، والدكتور معد النجار (حمص)، والدكتور حسن سلمان (اللاذقية) ومناقشة ملاحظات أقسام الفيزياء حول المشروع.

– الشروع في المرحلة الثالثة من المعجم، وهي مرحلة إعداد نسخة منقحة من المعجم الثلاثي اللغات، تضاف فيها تعريفات مصطلحاته، تمهيدًا لإخراج المرحلة الرابعة والأخيرة، التي تستكمل فيها المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية التي لم ترد في الكتب الجامعية المدروسة، مأخوذة من معجمٍ أو أكثر من المعجمات المعتمدة على نطاقٍ واسع.

ب– (مصطلحات الكيمياء):

عقدت اللجنة في هذه الدورة تسع جلسات تم فيها:

– اقتراح التعاقد مع الخبراء: الأساتذة الدكتور وفائي حقي، والدكتور عبد الحليم منصور، والدكتور أحمد حاج سعيد، والدكتورة هيفاء العظمة، والدكتور محيي الدين جمعة، للعمل في مشروع توحيد مصطلحات الكيمياء بين الجامعات السورية.

– دراسة المصطلحات المبدوءة بالأحرف: (a-b-c-d-e-f) من هذا المشروع. وما زال العمل مستمرًا لدراسة المصطلحات المبدوءة ببقية الحروف.

٥ – لجنة النشاط الثقافي:

عقدت اللجنة في هذه الدورة ستًا وعشرين جلسة، اتخذت فيها القرارات الآتية:

– إلغاء المحاضرات الافتتاحية الخاصة بجلسات المؤتمر الخامس، باستثناء المحاضرة التي تلي حفل الافتتاح.

– اقترحت دعوة الأعضاء المراسلين لحضور المؤتمر الخامس، فاختارت الدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور محمد علي آذرشب، من خارج سورية، والدكتور علي

أبو زيد، والدكتور مازن المبارك، والبطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص، والدكتور جورج عبد المسيح من لبنان، والدكتور محمود فاخوري والدكتور عبد الإله نبهان، والدكتور عبد الكريم الأشتر من خارج دمشق.

– طلبت اللجنة من أمينها إعداد بطاقة تقويم خاصة بالمؤتمر الخامس توزع على المشاركين والحضور.

اقتُرح الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيسُ المجمع الأردني، لإلقاء كلمة في حفل الافتتاح الذي سيقام في مكتبة الأسد ممثلاً عن الباحثين المشاركين في المؤتمر الخامس.

٦– لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

عقدت اللجنة سبع عشرة جلسة نظرت فيها في البحوث الآتية:

«**أخطاء شائعة**» إعداد الأستاذ الدكتور إحسان النص وقد صححتها اللجنة، وأحالتها على المجلس لمناقشتها وإقرارها ثم طبعها.

«**من مواضع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحه**» للدكتور محمود السيد، وبعد مناقشته وتعديل بعض فقراته أحيل على مجلة المجمع لطبعه.

«**علامات الترقيم**» للأستاذ شحادة الخوري، وقد أعيد النظر فيه عدة مرات وصحح، ووضعت شواهد مناسبة له، ثم أحيل على مجلة المجمع لطبعه.

ناقشت اللجنة بحثًا آخر بعنوان «**أخطاء شائعة**» أعدها الدكتور إحسان النص والدكتور محمود السيد، وما زالت قيد المناقشة.

شرعت اللجنة في مناقشة القرارات الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دوراته الثامنة والأربعين إلى الثامنة والستين.

٧– لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية :

عقدت لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية في هذه الدورة اثني عشر اجتماعًا درست خلالها المصطلحات التي تبدأ بالحرف /a/ ووصلت إلى الحرف /d/.

٨ – لجنة مصطلحات علوم الأحياء النباتية:

بلغ عدد جلسات اللجنة في هذه الدورة عشر جلسات جرى فيها :

تقاسم السادة أعضاء اللجنة مصطلحات الكتب الجامعية الخاصة بعلم النبات كلّ حسب اختصاصه، لدراستها ووضع التعريف والشرح المناسبين، وبدأت اللجنة بدراسة بعض هذه المصطلحات وإقرارها. ولا يزال العمل جاريًا على هذا النحو. وقد تم إلى الآن وضع التعريف والشرح المناسبين مع ترجمة المصطلح إلى اللغة الفرنسية لنحو (٤٠٠) مصطلح.

٩ – لجنة العلوم الزراعية:

عقدت لجنة العلوم الزراعية في هذه الدورة اثنتي عشرة جلسة جرى فيها إنهاء الحرف (a) من مصطلحات قسم الاقتصاد الزراعي، وبلغ عدد مصطلحات هذا الحرف (٢٦٥) مصطلحًا، وتقوم اللجنة بتعريف مصطلحات الحرف (a) من قسم الإنتاج الحيواني، ووصلت حتى الرقم (١٦٠).

١٠ – لجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية:

بلغ عدد جلسات لجنة العلوم الجيولوجية في هذه الدورة ثماني عشرة جلسة درست فيها مصطلحات الحرف الأول (a) وأوشكت على الانتهاء من الصفحات الخمسين الأولى، وتمت طباعة مصطلحات جديدة من الصفحة (٥١ حتى ٧٥).

١١– لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها:

عقدت اللجنة في هذه الدورة ثلاث عشرة جلسة جرى فيها ما يلي:

التنسيق بين بعض المقابلات العربية للمصطلحات المشتركة بين علوم

الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان، مما أنجزته لجان العلوم الفرعية المتخصصة من مشروع توحيد المصطلحات بين الجامعات السورية.

الاطلاع على باب الملابس وأنواعها من مشروع معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة الذي تعده لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة المعاصرة في المجمع، والتنسيق بين المصطلحات الواردة فيه وبين ما قد يرد في علومٍ أخرى خارج مجال الألبسة.

١٢–لجنة ألفاظ الحضارة المعاصرة:

تابعت لجنة ألفاظ الحضارة عملها خلال عام ٢٠٠٦ لتنفيذ مشروع معجم الحضارة المعاصرة فعقدت أربعين جلسة، درست فيها البطاقات المعدَّة لباب الملابس من القسم الأول: الحياة اليومية، وقد أعدها مساعد اللجنة الأستاذ حسان عبود طلب، وعددها /٢١٣/ بطاقة، فأقرت مصطلحاتها الإنكليزية والفرنسية ومقابلاتها العربية، معتمدة على أوثق المراجع، ومتبعة الطرائق المعتمدة في وضع المصطلح.

وقد وضعت إزاء كل مصطلح عربي تعريفًا له توخَّت فيه الوضوح والإيجاز.

كذلك قامت بدراسة مجموعة من أسماء الملابس مكملة للبطاقات السابقة، ويبلغ عددها /٨٤/ اسمًا، وبدراسة مجموعة ثانية باللغة العربية لأسماء ملابس عربية مازالت تستعمل في بلادنا في العصر الحاضر، ويبلغ عددها /٦٩/ اسمًا.

وستقوم اللجنة بطبع ما أقرته ضمن جداول تُعرض على مجلس المجمع لاتخاذ قرار بإخراجه باسم المجمع.

كما قامت بتقديم بعض المقترحات المفيدة إلى الخبراء العاملين معها لإغناء أعمالهم بألفاظ جديدة تضاف إليها في أبواب محددة.

– دار الكتب الظاهرية:

استمر العمل في خدمة القراء والباحثين في المكتبة حتى نهاية الشهر الخامس، وتوقف استقبال القراء مع بداية الشهر السادس بسبب نقل الكتب من الظاهرية إلى مبنى العادلية.

تم نقل الكتب المسجلة في سجلات رسمية من الظاهرية إلى العادلية، ووضعت على رفوفها وفق ما كانت موضوعة في الظاهرية بترتيبها وأرقامها.

نقلت الكتب غير المسجلة ضمن سجلات رسمية ومعظمها كتب بلغات غير متداولة في الدار، كالعثمانية القديمة والفارسية والروسية والإسبانية وغيرها، ووضعت في إحدى قاعات العادلية، بانتظار الانتهاء من ترميم الظاهرية.

نقلت المجلات والدوريات الأجنبية من الظاهرية إلى العادلية، ووضعت في غرفة خاصة في العادلية.

بلغ عدد المشتركين في المكتبة (٥٠١٠) مشتركين.

ورد خلال عام ٢٠٠٦ (١٤٥) عددًا من الدوريات ضمن خمسة وثلاثين عنوانًا.

وقام المجمع بشراء /٤٤/ كتابًا باللغة العربية من معرض كتاب مكتبة الأسد و/٢٢/ كتابًا باللغات الأجنبية.

مكتبة المجمع:

جرى إغناء مكتبة المجمع هذا العام بـ (٧٠٤) كتب، منها (٥٢٠) إهداء، و(١٨٤) شراءً.

وبهذا يصبح عدد الكتب في المكتبة العربية (٢٩٥٢٤) كتاب.

كما زودت المكتبة الأجنبية في المجمع بـ(٥٠) كتابًا منها (٣٦) كتابًا إهداء و(١٤) كتابًا شراء. وبذا يصبح عدد الكتب الأجنبية في المجمع (٧٨٤٦)

كتاب. وزودت المكتبة أيضًا بـ(٢٤) مجلة أجنبية متنوعة، وأصبح مجموع عناوين المجلات الأجنبية (٢٩٦) عنوان.

مؤتمر المجمع

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، عقد المجمع مؤتمره الخامس بعنوان «اللغة العربية في عصر المعلوماتية» وذلك في المدة من ٢٠ – ٢٢ تشرين الثاني من عام ٢٠٠٦ في قاعة محاضراته. وقد شارك في المؤتمر عدد كبير من الباحثين العرب من داخل القطر وخارجه وناقشوا فيه المحاور الآتية:

المحور الأول – اللغة العربية ومجتمع المعرفة.

المحور الثاني – اللغة العربية وتقانة المعلومات.

المحور الثالث – اللغة العربية والفجوة الرقمية.

المحور الرابع – المحتوى العربي على الشابكة (الإنترنت).

بدأ المؤتمر بحفل افتتاح أقيم في قاعة المحاضرات في مكتبة الأسد، في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٠/١١/ ٢٠٠٦، حضره حشد كبير من السادة الوزراء وأعضاء مجلس الشعب والسفراء العرب ورؤساء مجامع اللغة العربية والعلماء والأدباء، إضافة إلى جمهور كبير من المثقفين والمهتمين باللغة العربية.

وقد مثلت السيدة الدكتورة نجاح العطار في حفل الافتتاح سيادة رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد، وألقت كلمة أكدت فيها تقدير السيد الرئيس لمكانة اللغة وأهمية الفكر، وبينت أهمية الثقافة ودورها في بناء الإنسان والارتقاء بالوطن وتقدمه ورسم حدود المستقبل، وأكدت أن قوة هذه الثقافة من قوة اللغة.

ثم ألقى الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق كلمةً

استعرض فيها الموضوعات والمحاور التي سيتناولها المؤتمر في جلساته.

ثم كانت كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الذي تحدث باسم الباحثين المشاركين في المؤتمر، مبينًا أهمية البحث عن موقع اللغة العربية الفصيحة في عصر المعلوماتية والثورة التقنية في وسائل الاتصالات المسموعة والمقروءة والمرئية، شاكرًا الدور الريادي الذي تقوم به سورية في حماية اللغة العربية والتراث العربي.

ثم كانت المحاضرة الختامية في حفل الافتتاح للدكتور نبيل علي، مدير مؤسسة هندسة اللغة العربية في القاهرة وكانت بعنوان: «اللغة العربية والانفجار المعرفي» وقد تحدث فيها عن المعرفة وظاهرة انفجارها وعن العلاقة بين اللغة والمعرفة.

ثم عقدت بعد ذلك أربع جلسات في قاعة المحاضرات في المجمع على مدى الأيام الثلاثة للمؤتمر ناقشت موضوعات المؤتمر المدرجة في محاوره.

وختم المؤتمر بجلسة خصصت لقراءة التوصيات التي خلص إليها، قامت بوضعها لجنة الصياغة. ورفع المشاركون برقية شكر وتقدير إلى السيد رئيس الجمهورية لرعايته هذا المؤتمر.

ثم ألقى الدكتور علي القاسمي كلمة ضيوف المؤتمر، عبّر فيها عن شكرهم وتقديرهم لسورية، لما لقوه من حرارة الاستقبال وكرم الضيافة ولطف المعاملة، ومبديًا إعجاب السادة الباحثين بما تميز به هذا المؤتمر من حسن التخطيط والإعداد ودقة التنظيم، منوهًا بالمشاركة المكثفة المهمة للعلماء المعلوماتيين السوريين الشباب في أعمال هذا المؤتمر، وما قدّموه من حلول لبعض مشكلات استعمال اللغة العربية في الحاسوب.

كذلك ألقى الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق كلمة اختتم فيها أعمال المؤتمر الخامس، مستعرضًا ما جرى فيه من أعمال ومناقشات،

شاكرًا للسادة الباحثين مشاركتهم الغنية وجهودهم الموفقة راجيًا متابعة العمل في تعزيز العربية ورفع شأنها.

حفلات المجمع ومحاضراته

أقام المجمع مساء يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٩/٢٠ في قاعة محاضراته حفل استقبال للأستاذ الدكتور مازن المبارك عضو المجمع الجديد

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور المبارك عضوًا في جلسته الثانية عشرة التي انعقدت بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١٤ وصدر المرسوم ذو الرقم (٢٤١) والتاريخ ٢٠٠٦/٧/٥ بتعيينه عضوًا في المجمع .

وقد ألقيت في حفل الاستقبال الكلمات الآتية :

–كلمة رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام.

–كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد في استقبال العضو الجديد.

–كلمة الأستاذ الدكتور مازن المبارك وقد تحدث فيها عن سلفه الأستاذ عاصم البيطار رحمه الله .

وفي نهاية الحفل قام السيد رئيس المجمع بتقليد الدكتور مازن المبارك شعار المجمع.

وشارك المجمع جامعة دمشق ونقابة المعلمين في حفل التأبين الذي أقيم على مدرج جامعة دمشق في ٢٠٠٦/٦/٢٣ للأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، عضو المجمع الذي توفاه الله بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٢٤ وهو من مؤسسي كلية العلوم في جامعة دمشق، وشغل منصب وزير الزراعة، ووكيلٍ لجامعة دمشق. وكان علمًا من أعلام الفكر واللغة في جامعة دمشق ومجمع اللغة العربية.

وقد ألقيت في الحفل الكلمات الآتية:

–كلمة جامعة دمشق للأستاذ الدكتور وائل معلاّ رئيس الجامعة.

–كلمة مجمع اللغة العربية للأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع.

-كلمة نقابة المعلمين للأستاذ الدكتور أحمد المناديلي.

-كلمة عمادة كلية العلوم للأستاذة الدكتورة ابتسام حمد – عميدة الكلية.

-كلمة أصدقاء الفقيد للأستاذ الدكتور محمد أبو حرب.

-كلمة طلاب الفقيد للأستاذ الدكتور محيي الدين عيسى.

-كلمة أسرة الفقيد للدكتور رائد سويدان – نجل الفقيد.

أما المحاضرات التي ألقيت في قاعة المجمع فهي:

١- محاضرة الدكتور يانوش دانيتسكي، رئيس قسم اللغة العربية والإسلامية في معهد الدراسات الاستشراقية في جامعة وارسو، وعنوانها «ترجمات الأدب العربي إلى اللغة البولونية»، وألقيت مساء الأربعاء ٨/ شباط ٢٠٠٦.

٢- محاضرة الدكتور إحسان النص وعنوانها «السخرية من الذات في الأدب العربي القديم»، وألقيت مساء الأربعاء ٢٠٠٦/٣/١٥ .

٣- محاضرة الدكتور عبد الكريم اليافي وعنوانها " «جذور لفظي السلطة والسلطان في فقه اللغة العربية وتصوراتهما الأولى في العلوم الإنسانية الحديثة» وألقيت مساء الاربعاء ٢٠٠٦/٤/١٩.

موازنة المجمع:

تشمل موازنة المجمع مجموع الموازنتين الجارية والاستثمارية :

أ-الموازنة الجارية:

بلغ الاعتماد الكلي للموازنة الجارية في عام ٢٠٠٦ (٢٤.٤٥٧.٨٥٧) ل.س أربعة وعشرين مليونًا، وأربعمئة وسبعة وخمسين ألفًا، وثمانمئة وسبعًا وخمسين ليرة سورية، وبلغ مجموع ما أنفق منها في العام نفسه (٢٤.٤٠٠.٦٠٤) ل.س أربعة وعشرين مليونًا، وأربعمئة ألف، وستمئة وأربع ليرات سورية.

وقد بلغت نسبة الإنفاق في هذه الموزنة ٩٩.٨ ٪

ب– الموازنة الاستثمارية

بلغ الاعتماد الكلي للموازنة الاستثمارية في عام ٢٠٠٦ (١١.٠٠٠.٠٠٠) ل.س أحد عشر مليون ليرة سورية.

وبلغ مجموع ما أنفق منها (١٠.٠١٣.٩٢٠) ل.س عشرة ملايين، وثلاثة عشر ألفًا، وتسع مئة وعشرين ليرة سورية.

وبلغت نسبة الانفاق في هذه الموازنة ٩١٪

وبذلك فإن نسبة الإنفاق في موازنة المجمع ٩٧.٤ ٪

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٧

أ – الكتب العربية

أ. سعد الدين المصطفى

- **آفاق العمارة الإسلامية المعاصرة**/ د. محيي الدين خطيب سلقيني، حلب، فرع نقابة المهندسين، ١٩٩٥م.
- **أبحاث المؤتمر السنوي الرابع والعشرين للعلوم**/ إعداد: د. مصطفى موالدي، م. ياسمين شويش، إشراف: أ. د. علاء الدين لولح، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **أبحاث الندوة العالمية الثامنة لتاريخ العلوم عند العرب**/ إعداد: د. مصطفى موالدي، أ. مصطفى شيخ حمزة، إشراف: أ. د. علاء الدين لولح، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **أثر الشعر العربي في الشعر الفارسي**/ د. فكتور يوسف الكك، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٥٨، الحولية ٢٧).
- **إجازة القراءات/ الحافظ حسين فهمي الإسكداري، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.**
- **إضاءات حلبية**/ م. عبد الله حجار، حلب، المطبعة الرقمية، ط١، ٢٠٠٧م.

- **التيارات والمذاهب الفنية والأدبية**/ د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **الخوف من السرطان**/ د. احمد محمد عبد الخالق، د. مايسة أحمد النيّال، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٥٧، الحولية ٢٧).
- **الأديب – النص – الناقد، مقالات: د. طه حسين وآخرون**، اختيار: حسن حميد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧.
- **الاكتفاء بما روي من أصحاب الكساء**/ ابن عساكر علي بن الحسن، تلخيص: محمد حسين الحسيني الجلالي، دمشق: دار كنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- **الأعلاق الخطيرة في ذكرى أمراء الشام والجزيرة**/ تأليف ابن شداد، جـ١، حققه: يحيى زكريا عبّارة، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **الحركة الفكرية في حلب**/ عائشة الدّباغ، حلب: مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **الدراري في ذكر الذراري**/ كمال الدين بن العديم، عُني به محمد كمال، حلب: مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **الرسالة**/ الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٣هـ.
- **الشرق الأوسط عشية الحداثة**/ تأليف: أبراهام ماركوس، ترجمة: هيثم حمام، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **العلامة... الشيخ محمد بدر الدين الحسني**/ د. مازن المبارك، د. هشام

برهاني، دمشق: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٧م.

- **العمارة البيئية**/ د. محيي الدين خطيب سلقيني، دار قابس، ط١، ١٩٩٤م.
- **الفن والصنعة في مذهب أبي تمّام**/ د. محمود الربداوي، جامعة دمشق، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- **الماء في التراث العربي الإسلامي**/ د. بغداد عبد المنعم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، (إحياء التراث العربي؛ ١٤٢) ٢٠٠٦م.
- **المعجم**/ أحمد بن حجر الهيتمي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٣هـ.
- **المكتبة في القرن الحادي والعشرين**/ بيتربروفي، ترجمة: د. سليمان بن صالح العقلا، أ. سماء زكي المحاسني، الرياض: النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **الملاحظات والتعقيبات حول كتاب لباب النقول في موافقات جامع الأصول لابن الأثير**/ تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، طبع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٥هـ.
- **إلهيات النجاة**/ الشيخ الرئيس ابن سينا حسين بن عبد الله، تحقيق: سيّد يحيى يثربي، قم، إيران، ١٣٨٥هـ.
- **الموسم**/ محمد سعيد الطريحي، هولندا: المركز الوثائقي لتراث أهل البيت.
- **النقد العربي القديم**/ د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **أوراق الذهب فيما كتب عن حلب**/ عامر مبيض، دمشق: دار حراء، ط١،

١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة**/ محمد جعفر الأُسترآبادي، إعداد مركز العلوم والثقافة الإسلامية، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ.
- **البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة**/ د. علي فهمي خُشيم، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ومجمع اللغة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.
- **تتمَّة ديوان الصنوبري**/ حققها: لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب: دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- **تبصرة المتعلمين في أحكام الدين**/ تأليف: الحسن بن يوسف بن المطهر، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.
- **تحفة الأحباب للمسترشدين من الطلاب**/ داود الناصري، تحقيق: د. داود الدليمي ود.عبد الرحمن العيساوي، بغداد: ديوان الوقف السني، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**/ لأبي بكر بن الحسين بن عمر ابن محمد المراغي الشافعي، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **ثورة الزنج**/ د. عصام سخنيني، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م، (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة، ٢٥٩، الحولية ٢٧).
- **جريدة النسب لمعرفة من انتسب**/ تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- **جواهر اللآلئ في سلسة آل الجلالي**/ تأليف: محمد حسن الجلالي،

ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- **حاشية إرشاد الأذهان**/ زين الدين بن علي العاملي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ.
- **حلب القديمة والحديثة**/ فؤاد هلال، حلب: ٢٠٠٧م.
- **حلب ترحب بكم جولة أثرية**/ عامر رشيد مبيض، حلب: دار القلم، ٢٠٠٦م.
- **حلب حضارة وعمارة**/ ميكل أرنال، حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- **حلب عبر العصور**/ جورج بلوا دو روترو، ترجمة: د. زبيدة القاضي، حلب: مركز الإنماء، ط١، ٢٠٠٢م.
- **حلب عمارة المدينة القديمة نماذج وتجارب**/ محمود زين العابدين، حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **حلب ذاكرة الأيام**/ عامر رشيد مبيض، حلب: دار القلم العربي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **حلب والحروب الصليبية**/ إعداد جميل جمول، جامعة دمشق، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **حمص مسيرة مدينة (١٩٢٠- ٢٠٠٦)**/ أحمد الحاج يونس، سلسلة الدراسات التاريخية، دمشق: دار إنانا، ٢٠٠٧م.
- **خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد**/ تأليف: محمد سعيد الراوي، حققه: د. عماد عبد السلام رؤوف، بغداد: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **دراسات أدبية ونقدية في قضايا المصطلح والنقد وعلم الجمال**/ د. محمود الربداوي، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٤م.
- **رشحات عين الحياة**/ حسين الكاشفي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٧هـ.
- **سعد الله الجابري وحوار مع التاريخ**/ رياض الجابري، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٦م.
- **سلسلة الرواة للإجازات والإثبات**/ د. ت.
- **سانحة أدب من ساحة حلب، ويليه: القول المبذول في تراجم النُّغول**/ محمد خورشيد أفندي الكردي، تحقيق: محمد كمال، حلب: دار فُصّلت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **شخصيات وصور أدبية**/ د. إبراهيم الكيلاني، دمشق: دار طلاس، ١٩٩٣م.
- **شرح الأربعين النووية**/ تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **شروح التسهيل كتاب التذييل والتكميل**/ أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: د. وليد السراقبي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **عمر أبو ريشة والفنون الجميلة**/ د. أحمد زيّاد محبّك، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م (سلسة النقد الأدبي).
- **عودة الكواكبي**/ د. محمد جمال طحّان، حلب: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **غاية الأماني في حياة شيخنا الطهراني**/ محمد حسين الحسيني الجلالي، ، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.

- **فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي**/ أبو محمد الأعرابي، الأسود الغندجاني، دمشق: دار العصماء، ٢٠٠٧م.
- **فهرس التراث**/ تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **في سبيل العربية**/ د. محمد هيثم الخياط، القاهرة: مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **قراءة في الإبداع الأدبي الحلبي**/ محمود محمد أسد، مطبعة جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **كتاب معاني الحماسة**/ الحسين بن علي النمري، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مطبعة المدني، المؤسسة المصرية السعودية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- **كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي**/ د. محمود الربداوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- **مبادئ النقد**/ د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **مختصر التواريخ الشرعية**/ محمد النعمان المفيد، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المدنية، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **مختارات من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد**/ تصنيف زكرياء محمد القزويني، قاسم وهب، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **محافظة حلب في قوافي الذهب**/ جمع ودراسة وتحقيق: د. كارين صادر، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **مقدمة في أصول التصريف**/ طاهر بن أحمد بن بابشاذ، حققه: د. حسين علي السعدي، أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ديوان الوقف السني، بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **مدارس حلب الأثرية**/ تأليف: م. لمياء الجاسر، حلب: دار الرضوان، دار الأنصاري، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- **مقدمة الأدب**/ الزمخشري محمود بن عمر، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، ، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٧هـ.
- **مسرح حلب في مئة عام ١٩٠٠- ٢٠٠٠م**/ محمد هلال دملخي، دمشق، دار عكرمة، ٢٠٠١م.
- **معادن الذهب في الأعيان المشرفة**/ أبو الوفاء العرضي، تحقيق: محمد التونجي، حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **مسيحيون ومسلمون معًا**/ د. إيليا طعمة، حلب، مطبعة الروم، ٢٠٠٦م.
- **مشروع توحيد المصطلحات العلمية في الجامعات السورية، معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية**، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **مشيخة الحديث**/ محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة.
- **مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين**/ تحقيق: عمر بن موفق النشوقاتي، بيروت: دار البشائر، دمشق: دار الغوثاني، ٢٠٠٧م.
- **معاني الأحرف العربية**/ إياد الحصني، دمشق: المؤلف، ٢٠٠٦م.
- **معجم التراث (بيت السكن (أدب، لغة، تاريخ)**/ سعد بن عبد الله بن

جنيدل، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ.

- **مقالة في تحقيق إقامة الحدود في هذه الأعصار**/ محمد باقر الشفتي، تحقيق: علي أوسط ناطفي، لطيف فرادي، إعداد مركز العلوم والثقافة الإسلامية، إيران، ١٤٢٧هـ.
- **مقومات السعادة الزوجية كما يريدها الشباب الكويتيون**/ د. عيسى محمد البلهان، د. فهد الناصر، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧، (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٥٦، الحولية ٢٧).
- **مؤتمر الإعلام العربي، رؤية شاملة**/ وزارة التعليم العالي، دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٤م.
- **مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري**/ وزارة التعليم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٦.
- **ندوة الإخاء الديني**/ وزارة الأوقاف، دمشق: مطبعة ألف باء الأديب، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- **نصوص من الأدب العباسي**/ د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥)	٢٠٠٧م	سورية
٢ – رسالة معهد التراث	(٧٩) مج (٢٨)	٢٠٠٦م	سورية
٣– صوت فلسطين	(٤٦٨، ٤٦٩)	٢٠٠٧م	سورية
٤– مجلة جامعة تشرين	علوم صحية العدد (٢)	٢٠٠٦م	سورية
	علوم اقتصادية وقانونية العدد (٢، ٣)	٢٠٠٦م	سورية
٥– مجلة جامعة دمشق	علوم زراعية العدد(٢)مج(٢٢)	٢٠٠٦م	سورية
	علوم هندسية العدد(١)مج(٢٢)		
	علوم تربوية العدد(٢)مج(٢٢)		
٦– نضال الفلاحين	العدد (٤٢)	٢٠٠٦م	سورية
٧– دراسات	علوم إدارية العدد(٣٣)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم إنسانية واجتماعية العدد (٢، ٣)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم الشريعة والقانون العدد (١، ٢)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم تربوية العدد (٢)	٢٠٠٦م	الأردن
٨– الشريعة	العدد (٤٩٣)	٢٠٠٧م	الأردن
٩– المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها	المجلد (١) العدد (١)	٢٠٠٥م	الأردن
	المجلد (٢) العدد(١، ٤)	٢٠٠٦	الأردن
	المجلد (٣) العدد (١)	٢٠٠٧م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١٠- آفاق الثقافة والتراث	السنة (١٤) العدد (٥٦)	٢٠٠٧م	الإمارات العربية المتحدة
١١- مجلة الآداب واللغات	الأعداد (٤، ٥)	٢٠٠٥م	الجزائر
١٢- الحج والعمرة	السنة (٦٢) العدد (١)	٢٠٠٧م	السعودية
١٣-الفيصل	الأعداد (٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠)	٢٠٠٧م	السعودية
١٤- البيان	العدد (٤٣٩)	٢٠٠٧م	الكويت
١٥- العربي	العدد (٥٧٩)	٢٠٠٧م	الكويت
١٦- مجلة العلوم	العدد (١) مج (٢٣)	٢٠٠٧م	الكويت
١٧- صوت الأمة	الأعداد (١، ٢، ٣) مج (٣٩)	٢٠٠٧م	الهند

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى المعدني

1- Books:

- Le parfait secrétaire.
- Labor's untold stoty/Richard O.Boyer.
- The Progress of Julius/Daphne du Maurier.
- The loving spirit/ Daphne du Maurier.
- Histoires croustillantes/ Jean-charles.
- Loose chippings/ Thomas Gerald Wheeler.
- Principes fondamentaux/ Jean Baby.
- Cours de théorie de tissage/ F.Guicherd.
- English for textile institutes.
- Access to english getting on/ Michael Coles.
- ATour of Soviet Uzbekistan/ Victor Vitkovich.

2 – Periodicals:

- AJames, No.22 (1-2), 2006.
- AL-Abhath, Vol 54, 2006.
- Deutschland, No.3, 2007.
- Mims, October 2006.
- ميراث شهاب, Vol.11, No.3-4, 2006.
- Resistance, No.5-6, 2007.

فهرس الجزء الرابع
من المجلد الثاني والثمانين

البحوث والدراسات

بدوي الجبل: شاعر المحبة والحرية والانتماء القومي	د. محمود السيد	٦٨١
أبو بكر الكُتندي (حياته وأدبه ومجموع شعره)	د. محمد رضوان الداية	٦٩١
صفات الكلمة الحسنة المقبولة عند ابن الأثير	د. محمد أديوان	٧٥٣
أسماء الذات : أصولها ودلالتها في السياق	أ. محمود الحسن	٧٧٥
القِيَم الدينية في ميزان النقد القديم	أ. حسين الأسود	٧٩٩
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٣٢)	د. وفاء تقي الدين	٨٢٧

المقالات والآراء

الحيوان يعظ الإنسان	د. عبد الكريم اليافي	٨٦١
تَوَفَّر وتَوافَر: دراسة لغوية	د. محمد مكي الحسني الجزائري	٨٦٥
المستدرَك على ديوان محمد بن حازم الباهلي	أ. شاكر العاشور	٨٧١

أنباء مجمعية وثقافية

التقرير السنوي عن أعمال المجمع في عام ٢٠٠٦	٨٨١
الكتب والمجلات المهداة في الربع الثالث من عام ٢٠٠٧	٨٩٩
فهرس الجزء	٩١١

الفهارس العامة للمجلد الحادي والثمانين

أ– فهرس أسماء كتّاب المقالات

د. إحسان النص ٢٩
د. أحمد زياد محبك ٩٩
د. أسيدة بشير شهبندر ٤١٩
أ. حسين الأسود ٧٩٩
د. حمود حسين يونس ٥٤١
أ. سعد الدين المصطفى ٥٧٧
أ. شاكر العاشور ٨٧١
د. عباس هاني الجراخ ٢٧٧
د. عبد الكريم الأشتر ٣٦١ ، ٤٤٧
د. عبد الكريم اليافي ١٦٩ ، ٦٤٧ ، ٨٦١
د. عبد الله واثق شهيد ٣
د. عبد الهادي خضير الحطاب ٤٦٥
د. عزة حسن ١٧١
د. علي مصطفى عشّا ٥١٣
د. مازن المبارك ٥٥ ، ٢١٩
د. محمد أديوان ٧٥٣
د. محمد رضوان الداية ٣٦٧ ، ٦٩١
د. محمد مكي الحسني الجزائري ٦٥٩ ، ٨٦٥
أ. محمود الحسن ١٠٩ ، ٧٧٥
د. محمود السيد ٦٨١
أ. مقبل التام الأحمدي ٣٠١
د. ملاذ زليخة ٥٩٧
د. هلال ناجي ٦٥ ، ٢٤٩

د. وفاء تقي الدين ١٣٥ ، ٣٢٧ ، ٦١٥ ، ٨٢٧

ب – فهرس عناوين المقالات

أبو بكر الكُتندي (حياته وأدبه ومجموع شعره) ٦٩١
أسماء أعضاء المجمع في مطلع عام ٢٠٠٧م ١٩١
أسماء الذات : أصولها ودلالتها في السياق ٧٧٥
الألفاظ الفارسية في الشعر الجاهلي – الأعشى نموذجًا ٥٧٧
أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية ٩٩
بدوي الجبل: شاعر المحبة والحرية والانتماء القومي ٦٨١
التقرير السنوي عن أعمال المجمع في عام ٢٠٠٦ ٨٨١
تَوَفَّر وتَوافَر: دراسة لغوية ٨٦٥
جدل العصبية القبليّة والقِيم في نماذج من الشعر الجاهلي ٥١٣
الحارث بن أسد المحاسبي ٦٤٧
الحيوان يعظ الإنسان ٨٦١
دراسة نقدية لكتاب: (دراسات في كتب التراجم والسير) ٣٦١
دقة الألفاظ وإيحاءاتها في شعر المتنبي ٤٦٥
الرؤى الفكرية والفنية في شعر بدوي الجبل ٤٤٧
السجلاّت والزبر المتوارثة من الجاهلية في اليمن ٣٠١
صفات الكلمة الحسنة المقبولة عند ابن الأثير ٧٥٣
صيغ المشتقات بين الوضع والاستعمال ١٠٩
فهرس الجزء الأول ٢١٥
فهرس الجزء الثاني ٤٤٤
فهرس الجزء الجزء الثالث ٦٧٨
فهرس الجزء الرابع ٩١١
الفهارس العامة للمجلد (٨٢) ٩١٤

في تيسير تعليم مباحث النحو	٦٥
قراءة في شواهد سيبويه الشعرية	٤١٩
قرار انتخاب أعضاء مراسلين	٤٣١
القِيَم الدينية في ميزان النقد القديم	٧٩٩
كتاب الأحجار للصاحب بن عباد (تحقيق)	٢٤٩
الكتب والمجلات المهداة في الربع الرابع من عام ٢٠٠٦	٢٠٦
الكتب والمجلات المهداة في الربع الأول من عام ٢٠٠٧	٤٣٣
الكتب والمجلات المهداة في الربع الثاني من عام ٢٠٠٧	٦٦٣
الكتب والمجلات المهداة في الربع الثالث من عام ٢٠٠٧	٨٩٩
ما أُلِّف في مناهج التحقيق	٢٧٧
المجامع (٣)	٣
المدرسة الظاهرية بدمشق	١٧١
مراجعة في كتاب: (نَور الكمائم وسجع الحمائم)	٣٦٧
المستدرَك على ديوان محمد بن حازم الباهلي	٨٧١
مشروع المعجم التاريخي للغة العربية	٢٩
مصادر الفعل الرباعي عند سيبويه وابن الحاجب	٥٩٧
مِصداقيّة ؟ !	٦٥٩
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق٢٩)	١٣٥
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق٣٠)	٣٢٧
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٣١)	٦١٥
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٣٢)	٨٢٧
من تاريخ التعريب (القسم الأول)	٥٥
من تاريخ التعريب (القسم الثاني)	٢١٩
من نقاوة اللغة العربية	١٦٩
النفي والإثبات في نقد الباقلاني	٥٤١